

أحمد عمران

العلاقة الجدلية

بين

التاريخ والطقوس المسيحية

حوار يدور في فضاء اللاهوت المسيحي



منشورات
دار الوعي
بيروت - لبنان

العلاقة الجدلية

بين

التاريخ والطقوس المسيحية

حوار يدور في فضاء اللاهوت المسيحي

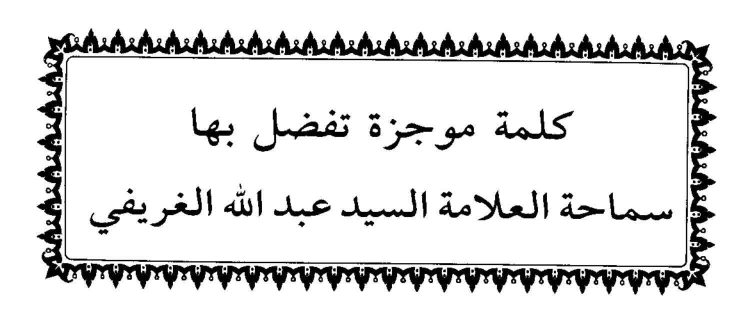
تأليف

الأستاذ أحمد عمران

منشورات

دار الوعي

بيروت ـ لبنان



كلمة موجزة تفضل بها
سماحة العلامة السيد عبد الله الغريفي

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ المهذَّب الاستاذ أحمد عمران دام توفيقه.

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فأحمل اليكم أحر الأشواق وأصدق المشاعر سائلاً المولى القدير أن يمنحكم دوام الصحة والتوفيق...

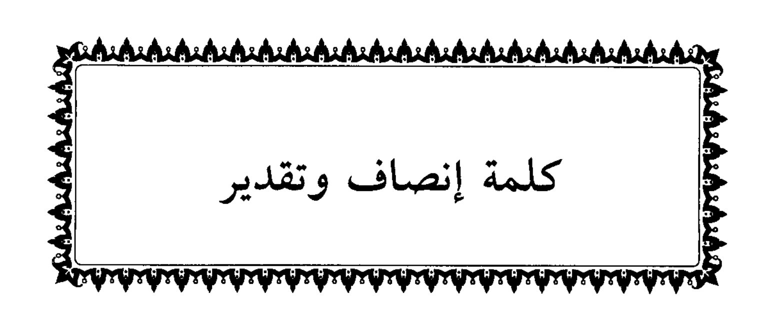
أخي الكريم: قرأت بعض الأوراق الثمينة جداً من بحثكم القيّم «العلاقة الجدلية بين التاريخ والطقوس المسيحية»... ولا يسعني في هذه العجالة، ومن خلال هذه الكلمات الخجولة الاّ أن أؤكد إفتخاري وإعتزازي بقلمكم الجريء الذي يتصدى بكل ثبات وقوة ووضوح للدفاع عن العقيدة الربانية الحقة، فلا زلت مسدّداً بروح القدس وأنت تواصل العطاء العلمي المبارك منافحاً عن الإسلام والقرآن في زحمة التحديات الفكرية والثقافية الصعبة....

دعواتي لك بالتأييد والتسديد....

أخوكم

عبد الله الغريفي

في الخامس من شهر شعبان ١٤١٧ هـ



كلمة إنصاف وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

أرسل الأخ الكريم الأستاذ أحمد عمران المحامي اللامع والكاتب المحقق الدقيق إلي هذا الكتاب، الذي يحتوي أجوبة عن ٣٨ سؤالاً حول العقائد المسيحية، فتصفحته وأكبرت كاتبه ومقدرته على تحليل الوقائع التاريخية، واطلاعه على الأناجيل المتداولة (العهد الجديد) والتوراة (أو العهد القديم).

ومن خلال تتبعي للمناقشات الجدلية التاريخية لهذه العقائد المتوارثة، أستطيع تقرير ما يأتي:

يحتاج غرس العقيدة الصحيحة إلى مجموعة ثابتة مقبولة من الأدلة المتيقنة، نقلية كانت أو عقلية، وهذا مفقود في وضع الأناجيل تحت مجهر التحليل والموازنة والتقويم.

وبرهان هذا واضح، لأن هذه الأناجيل ليست قطعاً باعتراف المسيحيين أنفسهم هي الكتاب المنزَّل على السيد المسيح عليه السلام. وإنما هي مجرد سرد تاريخي، وقصص معروضة من غير توثيق علمي، كتبها بعضُ رجال الدين المسيحي، في فترة زمنية متأخرة عن غياب المسيح عليه السلام، إما في النصف الثاني من المائة الأولى بعد الميلاد أو فيما بعد ذلك، وبعض كاتبي الأناجيل مثل «لوقا» لم يكونوا من تلاميذ المسيح ولا من تلامذة الحواريين أصحاب المسيح.

وأدى وجود هذه الأناجيل وهي كثيرة اعتمد المسيحيون منها أربعة، إلى وجو ظاهرة واضحة من التعارض والاختلاف والتناقض، كاختلاف الأناجيل في إيراد قواعد الدستور المسيحي حتى يوم الدينونة وفي قصة صلب المسيح أيضاً، وفلسفة بنوة المسيح لله تعالى، وفي بعض الطقوس الكنسية مثل التعميد والعشاء الرباني وغير ذلك.

ويلاحظ أن الوثنية الرومانية أثرت في تكوين عقائد المسيحية وكذلك الفلسفة اليونانية والآرامية التي أثرت تأثير واضحاً في اعتماد عقيدة التثليث، وفي تغليب الطبيعة الناسوتية أو الإلهية للمسيح على الطبيعة البشرية، وفي تنازل الإله عن سلطانه وصلاحياته للمسيح كحساب البشر وحرية إدخال الجنة وفداء الأتباع بالصلب.

وقد استقرت هذه العقيدة بعد خلافات شديدة في مجمع نيقية عام ٣٢٥ م الذي أصدر قراراته بصيغة قانون ملزم مفروض بقوة السلطان وإذا كانت هذه العقيدة التثليثية هي الأصل المقرر في مبدأ الدين، فلماذا الخلاف والإلزام الجبري؟!

ثم كيف يقبل عقل سليم تنازل الإله عن سلطانه لبشر، وكيف كان مصير الكون وسريان نظامه أثناء صلب المسيح على حسب ما يعتقدون؟!

وهل يقبل مشرِّع وضعي فضلاً عن المشرع الإلهي إصدار نظام، ثم إعطاء سلطة التحليل والتحريم للمسيح ورجال الدين؟!

ولماذا العداء بين اليهود والنصارى إن كان الصلب باختيار المسيح لتخليص آدم وذريته من الخطيئة القديمة؟!

وهل الأسمى إخضاع رسول كريم أرسله ربه برسالة إصلاحية، لتقويم الناس، ولا سيما اعوجاج اليهود، لمهانة الصلب ومذلة القتل، دون أن يغار الله رب العالمين على رسوله، وينقذه من مكائد الأعداء والرومان ومخازي اليهود؟!

ألا إن. . . المناقشات التي أثارها الأستاذ أحمد عمران والإجابات

ولكن هل يمكن من الناحية الواقعية التوصل إلى نتيجة حاسمة أو قرار حتمي في هذا؟

إن النظام الديني المسيحي في الماضي والحاضر وكل زمان متأثر تأثراً واضحاً بالموروثات والمسلَّمات التاريخية المقررة، ويصعب على أربابه التخلي عن تلك النظريات، لاقتران ذلك بأوضاع معروفة واعتبارات واقعية.

لكن يمكن لبعض الأفراد إعمال عقولهم ونقضهم تلك الموروثات، والتخلصُ من تلك التقاليد المنقولة، كما هو واضح حين مناقشة رجال الفكر والحكمة والعلم لمشتملات هذا النظام الكنسي البشري وليس الإلهي المنزل القائم على الوحي الصحيح.

إن الأجوبة التي فطن لها الأستاذ عمران تفيد حينئذ أحرار الفكر لا أسرى التقليد.

إن العصبيات والمصالح والحفاظ على المكاسب تمنع وجود انقلاب جماعي أو ردة إلى الحق والصواب في ضوء الواقع والفكر الصائب.

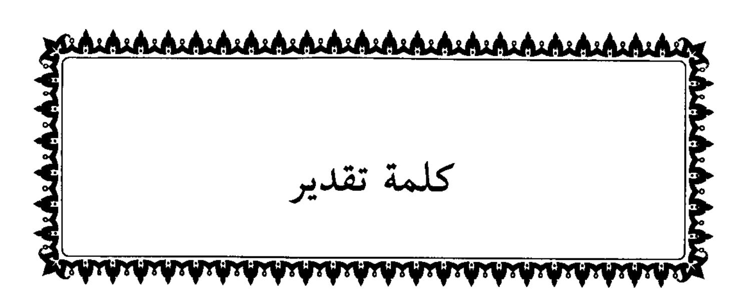
ألا إن خلاصة هذه المناقشات تكمن في اعتقاد مسيحي مستقر، ألا وهو توكيل الله المسيح في صلاحياته، والوكالة كما ذكر الأستاذ عمران ص ١٠١ منصب خطير إن كانت من عند الله وهي تقتضي وضعين:

أولهما: عجز الموكل عن إتمام العمل أو انشغاله عنه بسواه.

الثاني: أهلية الوكيل لتنفيذ العمل كما يشاء الموكل.

وهذان الوضعان مرفوضان شكلاً وموضوعاً، لأن الله تعالى لا ينسب إليه عجز، ولا يشغله أمر عن أمر، ولأن أياً من مخلوقاته لا يستطيع أن يكون وكيلاً في تنفيذ أعماله عنه.

ا ـ د. وهبة الزحيلي



كلمة تقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي وصديقي الباحث الاستاذ أحمد عمران المحترم:

جزاكَ الله خيراً عن جهادك الذي لا يتوقف. يا من تحلّى بالحافز الروحي المستمد من حقيقة بعث الله لخاتم النبيين ليكون للناس، شاهداً، ومبشراً، ونذيراً، يا من تمكن بفضل هذا الاتصال الروحي من ايجاد موصل الاستمرار في شريعة الله سبحانه بين القديم والحديث حتى الشريعة الاسلامية التي اكمل الله بها الدين وأتمّ نعمته على الخلائق أجمعين.

وبعد:

لقد قرأت ما كتبت في مؤلفك الكبير الذي يدور في فضاء اللاهوت المسيحي، فوجدتني أردد، أن العلماء والادباء في العالم هم من عظماء الرجال الذين يترجمون من وجهة اقوامهم. وان ظهور كل واحد منهم جارٍ على سُنّة النشوء والارتقاء.

وعدت من جديد لأقرأ فإجد بين دفتي الكتاب، ما رسخ في ذاكرتي من صورة جلية لشخصية الأستاذ أحمد عمران القوية الثابتة، الشخصية

الكاملة التي ألقت في قلوب علماء وباحثي هذا الجيل احتراماً وهيبة لصاحبها، وخلفت في نفوسهم أساساً جديداً للبحث العلمي.

عندما نقرأ كتاب «العلاقة الجدلية بين التاريخ والطقوس المسيحية» تجد أنه بدأ بأسئلة وجهها الأديب المؤلف واعتبرها حيرات يرجو ممن يطلع عليها إعطاء الايضاح الذي يقطع الشك باليقين، وهمه من وراء ذلك الارتقاء اكثر في سلم العلم والايمان ليخشى الله اكثر؛ «ويخشى الله من عباده العلماءُ».

لا خلاف ان الجميع يعلم ان الاستاذ أحمد عمران يحفظ لسانه في تخريف من قول، إذا سُئل شفي جوابه، وإذا قال ينطق بكلام يجمع بين المهابة والحلاوة فيدخل الألباب مستقراً في عقل السامع وقلبه فلا يجد حاجة في طلب معاودته.

وشاءَ القدر أن يكلف المؤمنون بالمسيحية من رأوا أنه قادر على الايضاح والجواب. ووقع اختيارهم على الاستاذ «اسبير جبور» وهو من مكان محامياً زميلاً لفترة من الزمن ومن ثم هجر المهنة ليتفرغ للبحث في علم اللاهوت.

وبعد ان درس الاستاذ أحمد عمران هذه الاجوبة فقرة فقرة بل قل كلمة كلمة رأى أن واجبه العلمي يملي عليه أن لا يترك هذه الاجوبة بدون تعليق، لأن ذلك سيكون سبباً في أن تغرق عقول من يطلع عليها في تيه عميق.

فلم يجد بدّاً من الرّد على الرّد بأدب الكلام وكلام الاديب، بالعبارة الصادقة الواضحة التي تستند الى ما جاء في كتب العلماء الذين بحثوا في الديانات من أعماق التاريخ البشري حتى الأناجيل المعترف بها والتي لم يعترف بها.

ــ وكانت المناظرة بين الاستاذين ــ

استاذ يحمل رتبة شماس يؤمن بالكنيسة ايماناً مطلقاً جعله في اجوبته مقيداً بما فرضته وما تفرضه من آراء متعصباً لهذه الآراء بحيث أنه لا يريد أن يرى النور إلاّ من خلال نوافذها، ووصل به هذا الايمان إلى درجة أنه يؤكد أن الله سبحانه أعطى للكنيسة حلّ الخطايا ومسكها. وجعل الكاهن القائم على خدمتها وكيلاً لله على الأرض.

واستاذ باحث يهتدي بالنور أنّى وجد ويؤمن بأن الله سبحانه هو نور السموات والأرض، الذي لا حول ولا قوة إلاّ به، ولا يمكن أن ينسب إليه العجز، ولا يشغله أمر عن أمر.

فزيّن رده بالمؤيدات التي جاءت في النصوص الكتابية والثوابت التاريخية التي تردد فحواها على السنة المفكرين والعلماء والفلاسفة الذين بحثوا في علم اللاهوت قبل وبعد السيد المسيح عليه السلام.

فجاء ما كتبه الاستاذ الكبير أحمد عمران معبراً أفضل التعبير عن الخلق والوجود، وعن الرسل والأنبياء عليهم جميعاً السلام. وشمل بحثه الكثير الكثير منه:

تمجيد السيد المسيح ـ والعشاء الأخير ـ والصلب والقيامة ـ والثالوث واللغة ـ والكاهن ـ والتوراة ـ بعلم يترامى أصوله إلى التاريخ القديم، ويتقدم باطراد إلى أحدث الفلسفات بدقة في التعبير هي محط الابداع ومهبط التحليل الذي يعتمد بشكل اساسي على فلسفات قديمة أنبأت بالثالوث وآمنت به.

وفي كل ما كتب الاستاذ أحمد عمران تقرأ خبرةً عملية في التاريخ واللغة تصل بك إلى نتاج منهجٍ فكري متراصّ لا يعجز عن الإدلاء

بالحجة الأقوى وهو في صدد تحليل أية فكرة وأية مسألة جاءت في اجوبة الاستاذ «الشماس اسبيرو جبور».

إن سعة اطلاع الاستاذ الكريم هذه تتبين بشكل جلي في تعاطيه مع العهد القديم، والعهد الجديد، والأناجيل، بلغةٍ تحمل المعاني من جهة، وتنتج من جهة اخرى مهارات التحليل والابداع، فتظهر بجلاء العلاقة القائمة بين هذه وبين الملاحم السورية المتجلية بالأساطير التي لها منزلة كبرى في العبادات وفي الفكر والشعور الانسانيين، والتي تسمو على كل ما عرف ويعرف من قضايا الفكر والشعور.

فطوبى لمن يتسنى له الاطلاع على هذا الحوار الذي يدور في فضاء اللاهوت المسيحي، لأنه يزكي الايمان بعدم الشك بأن اليد اليهودية التي عبثت بالتوراة لم تنج منها الاناجيل. وما اجتماع نيقية سنة ٣٢٥ م الذي صدرت مقرراته بصيغة قانون ملزم مفروض بقوة السلطان، والذي توصل به المجتمعون إلى اعتماد الاناجيل الأربعة وحرق ما عداها، ما هذا الاجتماع، وما خرج به، إلاَّ من انتاج الفكر اليهودي الذي همه التفريق بين ابناء الدين الواحد، وكان له ذلك إذ تحقق نتيجة لهذا الاجتماع ما اراده وابتغاه.

وليس انتقاصاً من جهد أو عطاء أحد أن نقول:

ان الاستاذ الباحث أحمد عمران قدم لهذا الشعب لمسيحيه ومسلميه ما لم يقم أحد بتقديمه، وحسبه هذا الكتاب كتاب «العلاقة الجدلية بين التاريخ والطقوس المسيحية».

وكتاب الحقيقة الصعبة في الميزان.

وكتاب القراءة المعاصرة للقرآن في الميزان.

وكتاب القرآن والمسيحية في الميزان.

التي يكتسب قارئُها من كل كلمة منها معنى ومن كل جملة حقاً ـ أراد اولئك «الذين ردَّ عليهم الاستاذ أحمد عمران في مؤلفاته المبينة اعلاه» بما كتبوه الضلال والتضليل.

وفي كل هذا يكون الجهد الذي انفقه هذا الباحث الكبير المجتهد جزءاً من صناعة انبثقت عن كلية نفسه الانسانية لتبقى للأجيال تراثاً فيه نظرة متألقة عن رؤى جديدة تتحدث عن قضايا جوهرية فيما يتعلق بشرعة الله سبحانه الممتدة من آدم عليه السلام إلى خاتم النبيين الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فهنيئاً لك هذا الجهاد وهنيئاً لك هذا العطاء.

وباختصار شديد ومع احترامي لشخصك الكريم اقول:

«لقد زنت بحوثك بميزان الحق والحقيقة، وأقمت فيما كتبت الوزن بالقسط ولم تخسر الميزان».

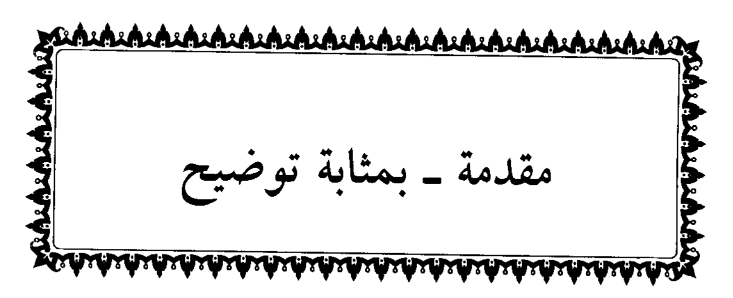
فإلى مزيد من العطاء والجهاد وفقك الله وأمد بعمرك آمين.

١٩٩٦/١٢/١٦

اخوك

شفيق اسماعيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مقدمة ـ بمثابة توضيح

هذا الكتاب، أو هذا البحث، دفعت به إلى الظهور، مصادفة لم يخطط لها، ولم يرافقها تدبير. وخلاصة الوقائع:

هي أن المؤلف، كان قد وضع كتاب «الحقيقة الصعبة في الميزان» «ردَّ فيه على أبي موسى الحريري» في كتابه «قس ونبي» وصحّح أخطاءه التاريخية واللغوية والقرآنية. وقد طبع الكتاب طبعته الأولى في «دار النخبة العلمية ببيروت» كما طبع الطبعة الثانية في «مؤسسة الأعلمي للمطبوعات».

وفي أواخر صيف عام ١٩٩٥، حضر إلى منزل المؤلف بطرطوس «موفَدٌ» من قبل بعض آباء الكنيسة الأجلاء، وطلب نسخة من «الحقيقة الصعبة في الميزان» لكي يُصار إلى الرد عليه، انتصاراً لفكر «أبي موسى الحريري».

رحب المؤلف بهذه المبادرة وسلمه نسخة من الكتاب، ثم وضع ثمانية وثلاثين سؤالاً استيضاحياً، أرفقها بنسخة الكتاب وأحب إيضاحها بالأجوبة الحاسمة.

وفي أواخر عام ١٩٩٥، وردت الأجوبة ممهورة بتوقيع «الشمَّاس» المحامي، الأستاذ اسپيرو جبور، مرفقة برسالتين. أولاهما إلى الأب ابراهيم سروج، والثانية إلى المؤلف، ولما كان قد ورد في الرسالتين ما يشير إلى عزم الأستاذ اسپيرو على طباعة الأسئلة والأجوبة وتوزيعها على الإخوة الأرثوذوكس في حمص وسواها، فقد طلب المؤلف من الموفد، أن يبلغ من يلزم رغبته في التريث ريثما يطلع على الأجوبة، إذ قد يكون له عليها بعض التعقيب.

ثم عكفت بعدها، تحليلاً، ودراسة، فتبين لي أنها ـ في مجملها ـ لا تعبر تعبيراً دقيقاً عن الحقيقة الإنجيلية، ولا تتفق تماماً مع تاريخ الكنيسة والتاريخ العام. فوضعت هذا الكتاب، معتمداً على الرصيد الثقافي الضَّحل، الذي أحمله، وعلى المراجع التي لا يمكن الطعن في مصداقيتها.

وإذ قمت بهذا العمل، وسلمته إلى من تبرَّع ـ مشكوراً ـ بنشره بعد طباعته لن يفوتني تسجيل أمرين شديدين:

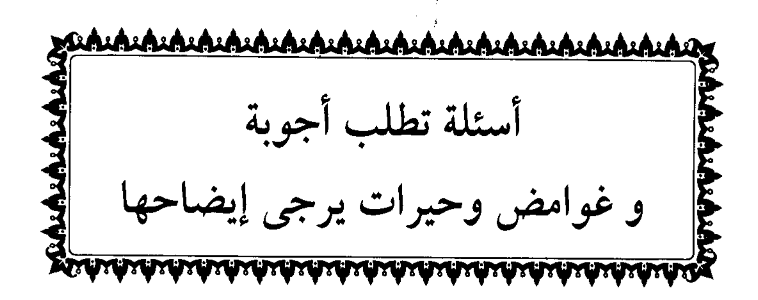
أولهما: تأكيد الاعتذار من الأستاذ اسپيرو إن لم تجد الطباعة قبولاً لديه وتذكيره في ذات الوقت، أن فكرة الطباعة والنشر، كانت فكرته الأولى.

الثاني: إنني لن يدفعني الغرور إلى الزعم بأن ما كتبته هو الحقيقة دون سواه لأني من المؤمنين بأن الحقيقة هي أعزُّ من أن تُحصَر أو تُمتلك.

لذلك: أرجو من آباء الفكر وحملة الأقلام أن يكملوا هذا البحث بما

فاته من الحقائق وأن يصححوا ما فيه من أخطاء عقائدية أو فلسفية فذلك يثلج صدري لأن جميعه يصب في نهر المعرفة الكبير.

طرطوس في ١/٩/١٩٩٦ المحامي أحمد عمران



أسئلة تطلب أجوبة
و غوامض وحيرات يرجى إيضاحها

١ ـ من المعلوم أن الرسولين «بطرس وبولس» أعدما في يوم واحد في روما بعهد «نارون» عام ٦٣ أو ٦٥ ميلادية، وأن «أورشليم» كانت منذ البدء مركز النصرانية، ومُنطَلَق بعوث التبشير، إلى العالم[١].

ـ فمتى صارت روما مركزاً للنصرانية بديلاً عن «أورشليم»؟

ـ وما هي أسباب التبدل؟ ومتى افتتحت أول كنيسة في روما؟ ومتى صارت تدعى كاثوليكية؟ وهل لذلك جميعه داعم من نصوص الإنجيل أو أعمال الرسل؟

٢ ـ متى نشأت الرهبانية؟

هل قامت على نصوص إنجيلية؟ أو على ممارسات الرسل؟.

وما هو أصل الكلمة في «الآرامية التي نطق بها المسيح» أو في العبرانية؟

ولماذا صار تعريبها بلفظ «الرهبانية»؟ وهذه أصلها من الرهبة؟[٢]

---

(١) هو الامبراطور الروماني نيرون. وقد ورد في تاريخ «ابن البطريق» باسم «نارون».

(٢) في القرآن: ﴿**ورهبانية ابتدعوها، ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما** =

٣ ـ هل يوجد أساس إنجيلي لاعتبار يوم الأحد، «نهاية الأسبوع»؟

وما هي مؤيدات تقديسه وتمييزه حتى صار اليوم الأعظم للكنيسة؟

مع العلم أن هذا اليوم، هو يوم «إله الشمس» «Sunday» عند اليونان الوثنيين؟

٤ ـ ويوم ١٢/٢٥ من كل عام الذي اعتبر، يوم الميلاد، حيث يحتفل فيه بأعظم عيد في العالم المسيحي، بداعي أنه «عيد ميلاد السيد المسيح» هذا اليوم.

يؤكد التاريخ: أنه يوم «مولد إله الشمس» عند اليونان. ويوم ميلاد بوذا عند البوذيين ويوم ميلاد الذي كان يعبد في فارس وروما؟

كذلك «الصليب» هو رمز وثني يوناني، وكان يسمى عند قدماء اليونان الوثنيين «صليب النور» فهل يوجد توضيح لذلك؟

٥ ـ «وأخيراً ظهر للأحد عشر، وهم متكئون، ووبَّخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذي نظروه قد قام. وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» (مرقس: ١٦/ ١٥ ـ ١٦ ومتى ٢٨/ ١٦ ـ ١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠).

الأسئلة:

ـ هل كان أصحاب الأناجيل الأربعة من بين الأحد عشر تلميذاً الذين صدر إليهم الأمر بالكرازة في العالم أجمع؟[1].

= **رعوها حق رعايتها...** ﴾ (٥٧/ ٢٧ ـ سورة الحديد).

(١) تحدثت المراجع التاريخية عن أصحاب الأناجيل بالآتي:

=

ـ «لقد أعطى المسيح لتلاميذه سلطاناً على شفاء الأمراض في السماء وعلى الأرض» (متى: ٢٨/١٨ ومرقس: ١٦/١٨ ـ ١٩) فهل توجد أمراض وشيخوخة في السماء؟

وهل يوجد نص إنجيلي يفيد بأن هذا السلطان اعطي إلى «أصحاب الأناجيل الأربعة»؟

ـ لماذا لم يترك سمعان وتوما ويعقوب وبطرس وباقي التلامذة الأحد عشر، أناجيل؟ مع أنهم أُمروا «بالكرازة بالإنجيل» بين جميع الأمم؟

وقاموا بالتبشير فعلاً واستشهد أكثرهم في سبيله؟

٦ ـ يقيم بعض المؤرخين، شكوكاً، حول كاتب الإنجيل الأول.

ففي هذا الإنجيل عبارة وحيدة (٩/٩) «وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية اسمه «متى» فقال له: «اتبعني» فقام وتبعه».

= ـ إن «متى» فقط، هو من الحواريين الاثني عشر الذين أقامهم المسيح ليكونوا معه ويكرزوا: «ثم صعد إلى الجبل ودعا الذين أرادهم فذهبوا إليه، وأقام اثني عشر ليكونوا معه وليرسلهم ليكرزوا. ويكون لهم سلطان على شفاء الأمراض وإخراج الشياطين. وجعل لسمعان اسم بطرس. ويعقوب بن زبدي ويوحنا أخا يعقوب وجعل لهما اسما «بوانرجس» أي إبني الرعد وأندراوس وفيلبس وبرثولماوس ومتى وتوما ويعقوب بن حلفا وتداوس وسمعان القانوي ويهوذا الاسخريوطي الذي أسلمه. (مرقس ٣/١٦ ـ ١٩).

ـ إن «يوحنا» لم يشاهد المسيح، لأن إنجيله كتب في سنة ٩٥ أو ٩٨ ميلادية. لذلك يرجح المؤرخون ومنهم دائرة المعارف البريطانية أنه ليس أحد التلاميذ الذي ورد: باسم «يوحنا أخي يعقوب» أما «لوقا» فهو طبيب روماني من تلاميذ بولس لم يشاهد المسيح. و«مرقس» ليس من التلامذة الذين عددهم مرقس نفسه، بل هو ابن اخت «برنابا».

ولكن مرقس (٢/ ١٣) أورد هذه الحادثة بالنص الآتي: «وفيما هو مجتاز رأى «لاوي بن حلفى» جالساً عند مكان الجباية فقال له: اتبعني، فقام وتبعه».

أما إنجيلا يوحنا، ولوقا، فلم يوردا شيئاً عن هذه الواقعة، وبما أنه ليس في الأناجيل غير هاتين الصيغتين، كما لم يرد فيها اسم «لاوي بن حلفى» مرة ثانية، ولم يرد أن هذا الاسم هو الاسم العبراني لـ «متى» لذلك قام الشك حول شخصية كاتب هذا الإنجيل. ؟؟؟

٧ ـ من الثابت أن السيد المسيح تكلم وخطب وخاطب «باللغة الآرامية» التي كانت اللغة الأكثر انتشاراً.

ـ فهل كتب إنجيل باللغة الآرامية؟

ـ وما هي اللغة التي كتب بها كل إنجيل؟ حينما كتبه صاحبه لأول مرة؟

ـ وهل يوجد أي من هذه الأناجيل الأربعة، بالآرامية أو العبرية؟

ـ وما هو أقدم إنجيل في العالم؟

٨ ـ «ولمَّا سمع يسوع أن يوحنا أسلم انصرف إلى الجليل» (متى ٤/ ١٢).

«وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت» (متى ٤/ ٢٣).

«وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (مرقس ١/ ١٤ ـ ١٥).

فأين الإنجيل الذي دعا المسيح إلى الإيمان به؟

مع أن الأناجيل الأربعة، كتبها أصحابها، وكان أقدمها بعد ثلاثة

عقود من الصلب؟ ولم يذكر أي منها أنه الإنجيل الذي بشر به المسيح. كما لم يذكر أي منها أنها إملاءٌ من المسيح؟ (لقد كانوا في العهد الأول يطلقون على الأناجيل اسم «مذكرات الرسل» وليس الأناجيل).

٩ ـ لقد ظل السيد المسيح، يدعى «عيسى الناصري» إلى أن صلب بهذا الاسم.

وصرح في كثير من المواقف أنه «لم يرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (متى ١٥/ ٢٤).

فمن أطلق على أتباعه اسم «المسيحيين»؟ مع أنهم كانوا يسمون «نصارى أو ناصريين»؟

١٠ ـ تكررت عبارة «ملكوت الله» و«ملكوت السماوات» (مرقس ١/ ١٤ ـ ١٥ ومتى ٣/ ١ ـ ٢) سواء على لسان «المعمدان» أو «المسيح».

«طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السماوات» (متى ٥/ ١٠).

وفي الصلوات اليومية: «ليأت ملكوتك...».

فأين هذا الملكوت؟ وإلى أين سيأتي؟ وهل هو من المِلْك؟ وهل يعني مملكة المسيح المقبلة ذات الألف سنة السعيدة؟ وهل لها علاقة بالجنة؟ أم أنها على هذه الأرض؟

١١ ـ تحدث إنجيل متى عن «تأسيس القربان المقدس» في العشاء الأخير حيث قدس المسيح الخبز والخمر، فأصبحا جسده وروحه. وقد تكرر هذا الفعل بألفاظ مختلفة في إنجيلي مرقس ولوقا (متى: ٢٦ ـ ومرقس: ١٤/ ٢٢ ـ ٢٣ ـ ولوقا: ٢٢/ ١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠).

فلماذا غابت هذه الحادثة الهامة من الإنجيل الرابع؟

علماً بأنها دخلت فيما بعد إلى العقيدة والطقوس. وتصوروا لها أيقونة خاصة مقدسة هي أيقونة «العشاء الأخير» حيث يجلس المسيح بين حوارييه للمرة الأخيرة. وفي الصورة التي أبدعها رافاييل ـ أعظم مصوري العصور ـ يجلس يوحنا الحبيب إلى جانب المسيح ويضع رأسه على صدره.

١٢ ـ ثمة اختلاف بين الأناجيل حول تحديد «وقت تسليم المسيح».

ففي متى (٢٦) ومرقس (١٤) ولوقا (٢٢) كان التسليم بعد عشاء الفصح. أما في يوحنا (١٩/ ١١ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤ ـ ١٥) فقد جاء:

«أجاب يسوع لم يكن لك علي سلطان البتة، لو لم تكن قد أعطيت من فوق، لذلك **الذي أسلمني إليك له خطية عظيمة**. كان بيلاطس يطلب أن يطلقه ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين إن أطلقت هذا فلست محباً لقيصر... فلما سمع بيلاطس هذا القول أخرج يسوع وجلس على كرسي الولاية في موضع يقال له البلاط وبالعبرانية «جباثا» **وكان استعداد الفصح، ونحو الساعة السادسة**».

١٣ ـ عدّد إنجيل متى، الخوارق، التي حصلت بعد أن «أسلم يسوع الروح» وهي:

«انشقاق حجاب الهيكل من فوق إلى أسفل ـ اثنين» و «زلزال الأرض» و « تشقق الصخور» و «انفتاح القبور» و «قيام كثير من أجساد القديسين منها وخروجهم من مراقدهم ودخولهم المدينة. وظهورهم للكثيرين» (متى: ٢٧/ ٥٠ ـ ٥٥).

ـ أما في لوقا (٢٣/ ٤٤ ـ ٤٧):

فليس من هذه الخوارق غير انشقاق حجاب الهيكل وإظلام الشمس[1].

ـ وفي مرقس (١٥/ ٣٣ ـ ٣٩) مثل ما في لوقا فقط.

ـ ولكن يوحنا، لا يذكر منها شيئاً، بل يصف لحظة تسليم الروح بقوله:

«وكان إناءً مملوّاً خلاًّ فملأوا إسفنجة من الخل ووضعوها على زوفة وقدموها إلى فمه، فلما أخذ يسوع الخل، قال: قد أكمل ونكس رأسه وأسلم الروح» (يوحنا ـ ١٩/ ٢٩ ـ ٣٠).

كيف يفسر هذا الاختلاف، في رواية وقائع مادية، نزلت معجزات وخوارق، وتحدثت عن أعمق وأخطر ظرف مرَّ به السيد المسيح؟

وهل يمكن الافتراض بأن كتّاب الأناجيل لم يحضروا واقعة الصلب؟

وإن كان الأمر كذلك ـ ويبدو أنه كذلك ـ فلماذا لم يذكروا المصدر الذي حصلوا منه على معلوماتهم؟

١٤ ـ في الإصحاح ١٠/ ٢ ـ ٣ ـ ٤ من متى، عدد أسماء التلاميذ، وأوصاهم قائلاً:

«هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أمم لاتمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت اسرائيل الضالة». (١٠/ ٥ ـ ٦).

وفي ١٥/ ٢٤ من إنجيله يقول:

---

(١) لم يذكر متى «إظلام الشمس».

«فأجاب وقال: لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة».

في هذين النصَّين الصريحين تأكيد مباشر من المسيح حدد النقاط التالية:

أ ـ إن الذين أرسلهم هم الإثنا عشر فقط.

ب ـ حدد لهم مهمتهم، بقوله: «إنه لم يرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل».

وفي هذا التحديد، نفي وحصر، للمبالغة في التأكيد.

جـ ـ نهاهم بصراحة أن يتوجهوا إلى الأمم ـ أو أن يبشروا بين السامريين.

ومع ذلك جاء في الإصحاح ٢٨/١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ من ذات الإنجيل:

إن المسيح، تقدم من الأحد عشر تلميذاً وكلمهم قائلاً: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأُمم وعمدوهم باسم الآب والابن و الروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به».

فكيف يمكن الوقوف على حقيقة التكليف؟

هل كان عامّاً للأمم؟ أم خاصاً بخراف بيت إسرائيل الضالة؟

١٥ ـ «أنا أُعمدكم بماء ولكن يأتي بعدي من هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحل سيور حذائه هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذي رفشه بيده، وسينقي بيدره ويجمع القمح إلى مخزنه وأما التبن فيحرقه بنارٍ لا تطفأ» (لوقا ـ ٣/ ١٦ ـ ١٧).

وقد وردت هذه العبارات بألفاظ مختلفة في إنجيل مرقس (١/ ٢ ـ ٧) وإنجيل متى (٣/ ١١ ـ ١٢).

أما في يوحنا (١/ ٢١ ـ ٢٨) فقد اختلفت الرواية اختلافاً جوهرياً بالأمور الآتية:

أ ـ الآتي المبشر به موجود بينهم ولا يعرفونه.

ب ـ لم يكن يعرفه «المعمدان» حيث يقول:

«وأنا لم أكن أعرفه لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي: الذي ترى الروح نازلاً عليه ومستقراً فهذا الذي يعمد بالروح القدس وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله» (١/ ٢٣ ـ ٢٤).

الأسئلة:

أ ـ لماذا نفى الإنجيل الرابع معرفة يوحنا بالمسيح «مرَّتين»؟ في حين أن الأناجيل الأربعة لم تنف هذه المعرفة؟

ب ـ قال المعمدان: «إن الذي أرسله أشار له إلى شخصية المسيح»

وكانت الآية ١/ ٦ من ذات الإنجيل قد نصت: «وكان إنسان مرسل من الله».

فكيف كانت طريقة الاتصال من الله الذي أرْسَلَ، بالمعمدان الذي أُرسِلَ؟

وهل كان كلام الله معه وقوله باللغة البشرية؟

جـ ـ لماذا غابت من الأناجيل الثلاثة، تلك الوقائع الأساسية التي سردها الإنجيل الرابع:

ـ سؤال المعمدان إذا كان هو المسيح أو إيليا أو النبي ونفيه ذلك.

ـ حمل الله الذي يرفع خطية العالم.

ـ نزول روح القدس عليه واستقراره مثل حمامة السلام.

١٦ ـ جاء في الإنجيل الرابع:

«وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله» (١/ ١٢ ـ ١٣).

ـ فمَنْ هم هؤلاء الذين لم يولدوا من دم أو مشيئة رجل أو مشيئة جسد؟

وهل يمكن أن يكونوا تلاميذ المسيح وهم معروفون قبل المسيح؟ بانتمائهم إلى الآباء والأمهات البشرية؟

ـ وهل يعني أن ثمة مولوداً من الله غير المسيح؟

١٧ ـ قلنا:

لقد كرر المعمدان عدم معرفته بالمسيح مرتين، في إنجيل يوحنا.

ولكنه لم ينكرها في الأناجيل الثلاثة.

وفي الأناجيل الأربعة، ما يفيد بأن «اليصابات» والدة يوحنا، هي نسيبة «مريم» وأنهما كانتا على تواصل حتى إن إليصابات ـ قالت لمريم «إن الجنين في رحمها يسجد للجنين في رحم مريم (لوقا ـ ١/ ٣٩ ـ ٤٤).

فهل يمكن إيضاح هذا التناقض؟

١٨ ـ وخطبة الوداع، التي تغطي أكثر الوقائع التصاقاً وتأثيراً في الوجدان المسيحي والإنساني. هي مفردة لم تتكرر، وهي خلاصة تعاليم المعلم، وآخر وأشمل ما صدر عنه، تحدثت عنها وسردتها الأناجيل باختلاف كبير:

ـ فقد شكلت في «يوحنا» أطول خطب المسيح حيث إحتلت كامل الإصحاحات ١٣ ـ ١٤ ـ ١٥ ـ ١٦، وامتدت على مدى مئة وخمس وخمسين آية. واشتملت على وصايا المسيح ونصائحه ومواعظه، التي ألقاها على مسامع تلاميذه لكي تكون دستوراً لهم ومنهاجاً للأمم.

ـ ولكنها في «متى» اقتصرت على مئة آية تقريباً امتدت على مدى الإصحاحين ٢٤ و ٢٥ ومع ذلك لم تقتصر على المواعظ والوصايا بل تخللتها الأخبار والتنبؤات، فاختلفت عما في «يوحنا» اختلافاً بيناً.

ـ أما في «لوقا» فلم يرد شيء عنها.

ـ وفي مرقس بلغت عشرين آية إلا قليلاً (الإصحاح ـ ١٣) ومع ذلك تخللتها آيات إخبارية وتنبؤات عما سوف يحدث في المستقبل.

فهل يمكن تفسير وجود هذا الاختلاف، في تدوين خطبة المسيح، التي هي أهم ما في المسيحية من أقوال السيد ووصاياه؟؟

١٩ ـ كان «المعمدان» يقول:

«أنا أعمدكم بماء ولكن يأتي بعدي من هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحلَّ سيور حذائه هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذي رفشه بيده، وسينقي بيدره، ويجمع القمح إلى مخزنه وأما التبن فيحرقه بنارٍ لا تطفأ» (لوقا ـ ٣/ ١٦ ـ ١٧).

فمن هو المقصود بأقوال «المعمدان»؟

ـ إن المسيح، صلب قبل أن ينقي بيدره، وقبل أن تنتشر رسالته، التي كان عليها أن تكافح سرّاً طول القرن الأول وهزيعاً من الثاني، حتى استقلت عن اليهودية. ثم استمر كفاحها السري، الذي تعمَّد بدماء شهدائها الأبرار، حتى انقضاء الربع الأول من القرن الرابع، حيث قيض

لها دعم قسطنطين الكبير.

- والمسيح، لم يغير شيئاً في طقوس العمادة وآلياتها، عما كانت عليه مع «يوحنا».

- ولم ينقِّ البيدر، أي لم يجمع القمح، في مخزنه، ولم يحرق تبن الرفض والرافضين، فإن كانت مقاصد «المعمدان» تتجه إلى المسيح، يُرجى بيان ما تم أثناء وجود المسيح في الدنيا، من «عمادة النار» و «تنقية البيدر» و «حرق التبن» وما هو المقصود بعبارة المعمدان «ولكن يأتي بعدي»؟

هل تعني أن «الآتي» كان معاصراً وقريباً له؟

أم أنه قادم في مستقبل الأيام؟

وإن كان هو المعاصر له كيف يُفسر صوت «المعمدان» «الصارخ في البرية»:

«أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة، كل وادٍ يمتلىء وكل جَبَل وأكمة ينخفض وتصير المعوجات مستقيمة، والشعاب طرقاً سهلة. ويبصر كل بشر خلاصه»... (متى - ٣/٣ - ٤ ولوقا ٣/ ٥)؟

هذه المهمات الشديدة، التي نادى «المعمدان» بإنجازها، للقاء «الآتي» لا يمكن تنفيذها في وقت قصير، بل تحتاج إلى قُرون أي إلى دورة زمانية كاملة ينشط فيها الدعاة والمصلحون وأطباء العقول، ليحققوا نقلةً نوعية في بناء المجتمع، يصبح معها أهلاً لاستقبال العظيم.

(وفي المفاهيم الصوفية لا تقلّ الدورة الزمنية عن ستة قرون).

مُلِفتَاتٌ، تحتاج إلى إيضاح وتفسير.

٢٠ - «العماد» الذي هو ترجمة للكلمة اليونانية BABTISMOS، لا

يفيد في العربية معناها اليوناني. ففي اليونانية تعني الصباغ بالماء بطريقة التغطيس فيه في حين أن «العماد» في العربية يعني الانتصاب واقفاً. ومنه عمود البيت وفي القرآن ﴿**في عَمَدٍ ممدَّدة**﴾. (الهُمزة ١٠٤ الآية: ٩).

وعملية العماد، في المدلول العقائدي، ترمز إلى صبغ الروح بصباغ العقيدة المسيحية وتطهيرها من الألوان العقائدية الأُخرى، مما يجعل كلمة «العماد»، عاجزة عن الدلالة العقائدية.

وقد كان التعبير القرآني، أكثر دقة ـ وتحديداً ـ حينما عبَّر عن التكوين العقائدي الجديد بقوله: ﴿**صبغة الله ومن أحسنُ من الله صبغةً ونحن له عابدون**﴾ (البقرة ٢/١٣٨) وذلك للدلالة على الدين الذي يقوم على القلب والروح وليس على المظاهر المادية.

٢١ ـ تكررت كلمة «الرب» في الأناجيل.

فما الفرق بينها وبين الله خالق الأشياء والأحياء؟

وما الفرق بينها وبين الآب؟

٢٢ ـ من هو باراباس ـ الأسير المشهور (متى ـ ٢٧/ ١٦)؟

وهل يمكن أن يكون برنابا، الذي ورد ذكره في أعمال الرسل سبع عشرة مرة؟

٢٣ ـ ثابت في الأناجيل الأربعة:

أن المسيح، تعمَّد بالماء على يد المعمدان، وأنه اختتن مثل أبناء اليهود.

والكرازة بالمعمودية هي لإعلان التوبة ومغفرة الخطايا.

كما أن الاختتان، هو لاستذكار العهد مع الله، كما أنبأ إبراهيم،

حينما ختن نفسه وختن أبناءه.

وهذا يحتاجه البشر، فلا يحتاجه «الله» ولا «ابن الله».

٢٤ ـ «الأبوة» و «البنوة»:

هل تعنيان مدلولهما اللغوي المادي؟ أم تذهبان إلى معنى رمزي؟ للتعبير عن عمق العلاقة بين الله والمسيح؟

«ابني بكري ـ إسرائيل» ـ توراة.

«أنتم أولاد الرب إلهكم» ـ توراة.

«قل لفرعون إن لم ترسل ابني بكري ليعبدني في البرية، وإلا قتلت ابنك بكرك» ـ توراة.

«قلت إنكم آلهة، وبنو العلي كلكم، لكن مثل الناس تموتون» ـ مزامير.

«كونوا رحماء كما إن أباكم أيضاً رحيم» «لوقا ٦/ ٣٥ ـ ٣٦».

«أبانا الذي في السماء ليتقدس اسمك...» ـ الصلاة التي يرددها كل مسيحي.

«باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لتكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات» (متى: ٦/ ٤٤ ـ ٤٥). «لا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السماء» (متى: ٢٣/ ٩).

هذه التعابير، هي بلا شك، تعابير رمزية ـ لا يقصد منها الأبوة والبنوة الطبيعيتان وإلاّ لقيل «ولد الله».

لذلك: يرجى توضيح هذا الاشتباه، من منظور عقائدي مسيحي.

٢٥ ـ تحدث المسيح في خطبة الوداع (إنجيل يوحنا) مطوَّلاً عن مستقبل البشر وأعطى الإرشادات لينقلها التلاميذ إلى الأمم، محدداً فيها من سوف يأتي بعده ليرفع مشعل الهداية الإنسانية.

القادم، الذي طَلَب المسيح انتظاره، أُشير إليه بالأسماء التالية:

ـ «باركليتوس» في اللغة اليونانية (بالنص اليوناني).

ـ «باركليت» في اللغة الإفرنسية (ومعناها في العربية ـ المرشد).

ـ «المعزي» في الترجمة العربية التي وضعتها جمعية التوراة الأمريكية.

ولقد ورد هذا المفهوم في التوراة وفي الإنجيل كما يلي:

ـ ورد في مراثي إرميا (١/ ٩) حيث ترجم بالعربية «المعزي».

كذلك ورد بذات الصيغة في سفرحجي (٢/ ٧) وأطلق عليه «مشتهى الأمم».

إن الأصل اليوناني الذي ورد في العربية «المعزي» و «ومشتهى الأمم» و «باركليتوس» هو eudoxos ويعني في اليونانية «الشيء المرغوب فيه»، «المشتهى»، «النفيس»، «المحبوب»، «المحمود»، «الأكثر حمداً».

ـ «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر، ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله» (يوحنا: ١٤/ ١٦ ـ ١٧).

«وأما المعزي، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم» (يوحنا: ١٤/ ٢٦).

«لكني أقول الحق. إنه خير لكم أن أنطلق ـ لأنه إن لم أنطلق لا

يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم ومتى جاء ذاك يبكتِّ العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة» «إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحمْلوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم عن نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية» (يوحنا: ١٦/ ٤ ـ ٧ ـ ٨ ـ ١٣).

فمن هو هذا الذي وعد المسيح بمجيئه؟ والذي حمل هذه المهام العظمى؟

من الواضح ـ كما هو ظاهر في اللفظ ـ أنه شخص آخر غير المسيح. شخص قال المسيح عنه إنه «روح الحق» و «المرشد إلى جميع الحق» و «الذي يتكلم بما يسمع من الله» و «سوف يمكث إلى الأبد»؟

٢٦ ـ إن كلمة «المعزي» هي ترجمة للكلمة اليونانية Periglitos.

وهذه الكلمة اليونانية، لا تعني المعبِّر، عن العزاء بالأحزان، بل تعني «المرشد» فلماذا وردت ترجمتها «المعزي»؟

والمرشد المنتظر، يتناسب في الطبيعة، مع المهمات المناطة به في خطبة الوداع بالإصحاحات (١٤ و ١٦ و ٢٦ و ١٦/ ٤ ـ ٧ ـ ٨ ـ ١٣).

٢٧ ـ من الثابت في التاريخ أن بطرس وبولس تواجدا في روما في وقت واحد لمدة عدة سنوات وكانا على خلاف شديد وخصومة عقائدية منعت التقاءهما وجهاً لوجه طول تلك المدة، حتى التقيا للمرة الأولى والأخيرة فيما كانا ذاهبين إلى الصلب بعام ٦٥ ـ م بعهد نارون حيث نظر كل منهما إلى الآخر، نظرة الوداع الأخير.

فما هي أسباب الخلاف؟ وكيف حفظت المسيحية نشاط «بولس» واعتبرته «البترك» الأكبر لها ـ دون بطرس ـ مع أن بولس، لم يشاهد

المسيح، ولم يكن من التلامذة، في حين أن بطرس، كان من أوائل رفقاء المسيح، وحوارييه؟ وقد رافق مسيرته حتى صلبه وقيامته وارتفاعه إلى السماء.

٢٨ ـ كم كان عدد الأناجيل المتداولة، التي طرحت إلى الجدل في مجمع نيقيا؟

وكيف تم اعتماد الأناجيل الأربعة من بينها؟

وهل كان بالاختيار أم بالاستخارة؟

وهل كان الاعتماد على الأربعة، التي كان يتمسك بها الأب «اثناسيوس» ممثل الاسكندر، من نوع المصادفة؟

وما هو تأثير الثقافة الهلينية الواسعة التي كان يتمتع بها قسطنطين على اعتماد هذه الأناجيل دون سواها؟[1]

٢٩ ـ جاء في (لوقا: ٢٢/٣٦) «فقال لهم: لكن الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك ومن ليس له فليبع ثوبه ويشترِ سيفاً. لأني أقول لكم إنه ينبغي أن يتم في أيضاً هذا المكتوب».

وجاء في (متى: ٢٦/٥١ ـ ٥٢ ـ ٥٣) «وإذا واحد من الذين مع يسوع مدَّ يده واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه. فقال يسوع رد سيفك إلى مكانه لأن الذين يأخذون بالسيف بالسيف يهلكون».

فهل من تفسير لهذا التناقض بين:

---

(١) تقول بعض المصادر التاريخية ومنها «قصة الحضارة» أن ما طرح في مجمع نيقيا كان أكثر من ٤٠٠ إنجيل، جلبها تابعوها إلى المجمع ودافعوا عنها. وأن الاعتماد على الأربعة تم بمعجزة حصلت في الليل حيث وجد المجتمعون في صبيحة اليوم التالي هذه الأناجيل فوق المنضدة لوحدها، دون المئات الأُخرى التي سقطت تحتها.

ـ ما جاء في لوقا، الذي يفيد بأن المسيح، كان يستعد للقيام بحركة مسلَّحة ضد نظام الحكم.

ـ وما جاء في متى، الذي يفيد عكس ذلك تماماً؟[١]

٣٠ ـ كم كان عدد الأساقفة المجتمعين في مجمع نيقيا بعام ٣٢٥؟

وما هو عدد أتباع اثناسيوس ممثل الاسكندر؟

وما هو عدد أتباع آريوس، صاحب مبدأ التوحيد؟

وهل كان أكبر تجمع بين المجتمعين في نيقيا هو تجمُّع آريوس الذي بلغ عدد تابعيه ما يزيد على سبعماية أسقفاً؟

٣١ ـ هل كان الاعتقاد قبل «نيقيا» قائماً حول «وحدة الجوهر» بين الآب والابن.

وأن «الابن» مولود غير مخلوق، وأنه «لم يكن زمان لم يكن فيه ولن يكون زمان لا يكون فيه»؟.

٣٢ ـ قال «أبوسيبوس» سلطان المؤرخين، الذي تقدس الكنيسة كلامه، إنه كان صديقاً حميماً للامبراطور قسطنطين وأنه هو الذي «عمَّده» وكان ذلك في مرضه الأخير. وهذا القول يتفق مع ما ورد لدى عدد من المؤرخين، من أن قسطنطين، لم يعتنق المسيحية إلا قبل وفاته بساعات قليلة، وأنه لم يترك الطقوس الوثنية حيث ظل يستعمل الرقى والتعاويذ السحرية لشفاء الأمراض وحماية المحاصيل، وأنّ بسط حمايته على مجمع نيقيا، كان لأغراض سياسية، هادفة إلى إزالة الخلافات وتوحيد الاتجاهات المسيحية، ليسهل عليه الحكم. كما استعمل الطقوس الوثنية

---

(١) يفيد كتاب يعود إلى يوسيفوس المؤرخ اليهودي، بأن عيسى كان له أتباع مسلحون تراوح عددهم من ٢٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ مسلح.

في تدشين القسطنطينية. فما قيمة هذه الأقوال؟ وما هو نصيبها من الصحة؟

٣٣ ـ في مجمع القسطنطينية المنعقد بعام ٣٨١ ـ م تقرر: «الإيمان بروح القدس على أنه الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجَّد» وأن الغاية ـ كما قالوا ـ تتمثل «في: وحدية في تثليث، وتثليث في وحدية، كيان واحد، ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاث خواص».

الأسئلة:

أ ـ قبل ذلك القرار، كيف كان التعامل مع الروح القدس؟

ب ـ هل يعتبر تعظيماً لله أن تعترف به «كأب حيناً» و «كإبن حيناً» و «كروح قدس حيناً ثالثة»؟

جـ ـ هل يمكن تصور الوجوه الثلاثة وخواصها الثلاث وهم يتخاطبون بصيغة المتكلم والمخاطب والغائب؟

د ـ ماذا يحلّ آنذاك بالمفهوم الحقيقي للكائن المطلق البسيط (الله)؟

٣٤ ـ من هو كاتب الإنجيل الرابع؟ أهو يوحنا بن زبدي، صياد الجليل الذي آخاه المسيح واستودعه أمه وهو على الصليب؟ أم هو يوحنا آخر؟ أم مؤلف أخذ هذا الاسم لضمان رواج إنجيله؟ قال آرينيوس، تلميذ بوليكارب الذي كان تلميذاً مباشراً ليوحنا الحواري: إنه لم يرد عليه نسبة إنجيل إلى أستاذه ولو كان مثل هذا الإنجيل موجوداً أو صادراً عنه لعرف به قبل غيره. وقالت دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها خمسماية عالم من علماء الكتاب المقدس «بعهديه»: إن هذا الإنجيل مزور

بكامله وإنه كتب في سنة ٩٥ أو ٩٦ أو ٩٨ ـ ميلادية ـ في حين أن يوحنا الحواري استشهد قبل ذلك التاريخ؟

فهل من إيضاح لذلك؟

٣٥ ـ والتثليث؟

ما هي أسسه؟ ومتى قام الاعتقاد به؟ وهل يوجد في الأناجيل الثلاثة الأولى ما يدل عليه؟ وهل ورد عن المسيح ما يفيد بأنه يعلم كل شيء مثل الله؟

وما هو تأثير فلسفة أفلوطين الوثني ـ في فكرة التثليث؟ ولماذا قبلت الكنيسة كل سطر من سطوره ـ كما تقول قصة الحضارة ـ واعتبرته مسيحياً بدون مسيحية؟ (قصة الحضارة ـ مجلد ـ ١١ ـ ١٢ ـ ص ٣٠٠).

٣٦ ـ وبرنابا ـ الذي يعني «ابن الوعظ» والذي ذكرته أعمال الرسل سبع عشرة مرة، والذي تبنى بولس أمام التلامذة ـ كما أنه هو الذي سُمِّي بالاسم من الروح القدس كأول اسم بين أسماء الأنبياء المجتمعين في كنيسة أنطاكية، وكلف بالتبشير في سلوكية وقبرص وسواهما. (الأعمال ـ ١٣/ ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤).

برنابا؟ ما هي قصة إنجيله؟ ومتى وضع هذا الإنجيل؟ وأين هو الآن؟ مع أنه أحد الرسل، حيث رُشِّح ليقوم محل يهوذا بعد سقوطه (الأعمال ـ ١/ ٢٣). ويشير إليه كليمنت الإسكندري ـ دوماً ـ كرسول.

متى تم تحريم إنجيله؟

وما هي أقدم وثيقة بابوية اشتملت على تحريم قراءة إنجيل برنابا؟

وهل اعتمدت تلك الوثيقة أو سواها على مؤيدات تحريمية لهذا الإنجيل؟

٣٧ ـ على أننا نجد إلزاماً، أن نعود عوداً خاطفاً إلى التثليث الإغريقي.

السؤال الذي طرح نفسه على الفلسفة الأيونية هو: «ما مبدأ كل شيء»؟.

وبظهور سقراط وأفلاطون وأرسطو تبلور ـ إلى نحوٍ ما ـ الجواب.

حيث رأى هؤلاء أن المبدأ الذي صدر عنه العالم هو «الله الواحد الذي لم يتغير» وبمقدار تبين المعارف عن «الله» كانت تكبر المصاعب أمام الفلاسفة.

كيف تصدر الأشياء عن مبدئها؟ كيف يمكن أن يخرج الكثير من الواحد والعام من الخاص والمتغير من الذي لا يتغير؟

كيف يخلق الله الواحد الكثرة المختلفة دون أن يقبل في ذاته كثرة؟ وكيف ينسجم كماله المطلق الثابت، مع التغير الذي يلحقه في حالة الانتقال من عدم العمل إلى العمل؟ وتجاه هذه التساؤلات، وضعت عبقرية العقل الآري قاعدة مفادها: «إن الواحد البريء من التغير لا يمكن أن يصدر عنه العالم المتكثر المتغير مباشرة، لذلك أذِن أن تتوسط بينهما وسائط أزلية متدرجة حسب نظام ميتافيزيقي.

ولقد تمثل عقل أفلاطون هذه العقيدة وأدركها إدراكاً فيه بعض الغموض.

حيث لا بد من «الاحتفاظ لله بالكمال المطلق والبراءة من التغير»، وأقام بينه وبين العالم وسيطين يعتبران دونه خارجين عنه وعلى نحوٍ ما داخلين فيه أي تتضمنهما ذاته، صادرين عنه، دونه في الكمال، ويجعلان ممكناً أن يصدر عن الله، العَالَم الكبير المتغير.

أول الوسيطين هو «العقل» والثاني «هو الروح الإلهية».

بعد هذه الثوابت: يكون لسائل أن يسأل: عن:

ـ الفرق بين الله الواحد، الذي لا يتغير والذي هو الكمال المطلق، وبين الآب مصدر كل كمال.

ـ الفرق بين العقل الذي أوجد العالم بإذن الله وبين الابن المرسل من قبل الآب.

ـ الفرق بين الروح الإلهية التي أوجدت الحياة في الأحياء، وبين الروح القدس.

ـ وما هو الفرق ـ أخيراً ـ بين التثليث الإغريقي، الذي لا يتساوى في نظره العقل والروح مع الله في الجوهر والرتبة، وبين التثليث المسيحي؟

وإذا:

كان مبدأ «الكمال» هو الذي وجد منه الابن والروح القدس، بحجة أن الآب الذي هو الكمال المطلق لا يصدر عنه غير الكمال وإلا صار من طبيعة الكامل أن يصدر اضطراراً عنه غير الكامل.

أي: إن الابن والروح القدس، هما بذات رتبة الكمال الإلهي، فلماذا صدر عن هذا الكمال الأخير عالم متكثر متغير؟

٣٨ ـ إن إنجيلي «مرقص ويوحنا» صامتان عن «مولد ونسب عيسى» في حين أن كلاًّ من «لوقا ومتى» يعطيه نسباً بشرياً.

والنسبان مختلفان في جميع الأسماء.

ـ ففي متى، يعدد ستةً وعشرين اسماً من يوسف النجار صعوداً حتى داوود بن يسَّى.

ـ وفي لوقا، يعدد اثنين وأربعين اسماً من يوسف حتى يسَّى.

نؤكد من جديد على الاختلاف في العدد والأسماء.

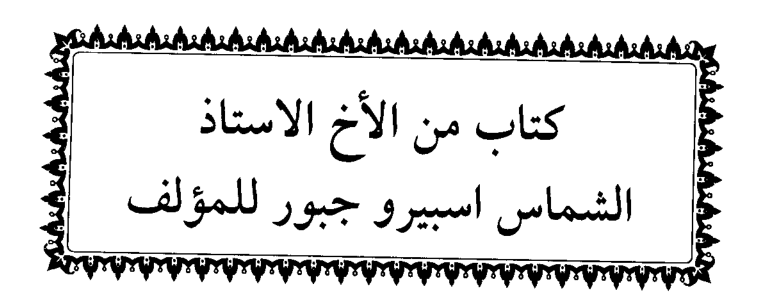
هذا بالإضافة إلى أن متى يقف في نسب المسيح صعوداً بعد داوود عند إبراهيم.

في حين أن لوقا يستمر بالصعود حتى آدم الذي يقول عنه (آدم بن الله ـ ٣/ ٢٨).

ـ فما سبب هذا الاختلاف في أسماء النسب؟ ولماذا أعطي المسيح نسباً بشرياً؟

ـ وما هو الفرق بين «المسيح بن الله» و بين «آدم بن الله»؟

اللاذقية ٢٣/ ١٢/ ٩٥



كتاب من الأخ الاستاذ الشماس اسبيرو جبور للمؤلف

الصديق العزيز الأستاذ أحمد عمران المحترم

سلام الله على روحك. كيف حالك؟ حالي وسط بسبب نظري: عمليتا ماء أزرق و٥ عمليات ماء أزرق وليزر = ٨. أبصر ولكن ذهب ٨٠ - ٨٥٪ من نظر النسر الذي ساعدني في الماضي على المطالعة.

المذكرة المرفقة رسمية، والعنوان رسمي، أما هذه فشخصية.

كنتُ أقرأ مذكرتك وأمامي المحامي الألمعي الذي يتكلم وهو يقفز قفزاً كالنمر المارد.

وسرَّني جداً اتساع آفاقك لتنتقل من الحقوق إلى رحاب الفكر العام. يا ليت الأرثوذكس في محافظة حمص يتمتعون بقبس من إشعاعك ليطالعوا ويتعمَّقوا. منذ ١٩٤٦ أهتم بها دون جدوى تُذكر. سأسلّمهم نسخة من مذكرتك ونسخة من أجوبتي لعلهم يخرجون من سبات الموت. ولكن لا حياة لمن تنادي.

استشهدتُ بصديقي الدكتور أسعد علي. أطروحته لامعة ولكن تحتاج إلى تدقيق الأشعار. كتبتُ إليه تعليقاً خاطفاً. وفي آخر حديث لفتُّ نظره إلى تأثر المكزون بالأفلوطينية الجديدة، فنفى ثم تراجع بعد دقائق

فاعترف بأنه مشرع منه. وبعد المطالعة وجدتُ أنه متأثر أيضاً بكاتب مسيحي ذكره ويل ديورانت فشوَّهة (١٢:٢٥٣). فهو كاتب سوري من فترة ٥٠٠ ـ ٥١٠.

متى رأيتُ لاذقياً كلَّفتُ ابنةَ أخي إرسال نسخة إليك من كتابي «سر التدبير الإلهي وسواه من المتوفر في اللاذقية».

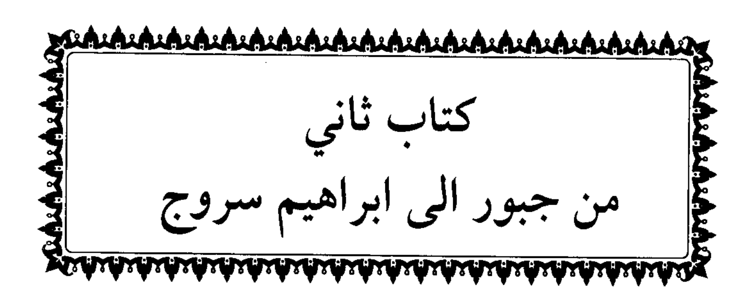
بعد غد أتم الثانية والسبعين. فضلاً عن النظر، كسِر جنبي في ١٩٨٦ وكوعي (١٩٨٩) وتعب حلقي. إنما الصحة العامة جيدة.

مَن بقي على قيد الحياة من الزملاء الكرام؟ السلام لهم جميعاً وعلى الأخص تلميذي العزيز الأستاذ اسماعيل حسين وزميل الدراسة في اللاييك (١٩٤٣) محمود الحاج حسين فضلاً عن الأساتذة تحسين هيكل وبدر مرقبي ومحمود بركات وعبد الله قنيزح وشوكت صنطلي والجميع.

حفظك الله سالماً معافى من كل سوء.

لأخيك المشتاق

الشماس اسپيرو جبور



كتاب ثاني
من جبور الى ابراهيم سروج

الأب الحبيب ابراهيم سروج

قبلات ميلادية سائلاً الله حفظك.

١ ـ الأستاذ أحمد عمران من أكبر المحامين في مشرقنا. وهو محامٍ نمر. ولا يستطيع أرثوذكس الكرسي الأنطاكي مجتمعين أن يواجهوا مذكرته في أقل من سنة.

٢ ـ هل يجوز للإخوة في طرابلس أن يحتقروا هذا المحامي العلوي الكبير المنغمس في المطالعة المسيحية ـ وإن كان ويل ديورانت اليهودي قد ضيَّعه نسبياً ـ فيردّوا عليه ردَّ الأطفال؟

٣ ـ هل تعلم أن إحالتك المذكرة لي أنقذت أرثوذكس محافظة طرطوس من هجمة ذكية عليهم وهم عزَّل أمامه؟

٤ ـ إن انفتاح محام مثله علينا كسب كبير جداً. وهو صديق ـ بسبب المحاماة ـ لنفر واسع من الأرثوذكس.

٥ ـ الآن سيعتدل ويواجه الأمور بوعي فيصحِّح أخطاء الطوائف الأُخرى في نظرتها إلى المسيحية.

٦ ـ ونحن نرحِّب بذلك.

٧ ـ إخوة طرابلس لا يرون الكون إلا من سمك بحر طرابلس. أغرقت الأرثوذكسية في طرطوس أم لم تغرق، الأمر سواء.

٨ ـ هيِّىء مصنّفاً لهذه القضية برمتها على حسابي. اسحب لي فوتوكوبي واضحة جداً جداً عن كامل المصنف. حين اللقاء نقرِّر طبعه على الكومبيوتر. ربما كانت كومبيوتر سيادته أفضل من آلتك. دعه يستخرج صورة لمدرسته اللاهوتية. ولمن يشاء بما فيه كتبة الردّ التافه.

٩ ـ أرسل إليه على حسابي الإزائية.

١٠ ـ عاتب كتبة الرد وسواهم عتاباً رقيقاً مبيِّناً لهم أن مرض الأرثوذكس هو احتقار الآخرين فضلاً عن الكبرياء والتشقّق.

١١ ـ أحمد عمران محامٍ وألبير لحام محامٍ. لماذا يغوص أحمد في المباحث المسيحية ويغرق ألبيرٌ وموريس وسواهمٌ في المال؟

١٢ ـ في معجم اللاهوت الكتابي الكاثوليكي فصل عن ملكوت الله. استخرج له فوتوكوبي.

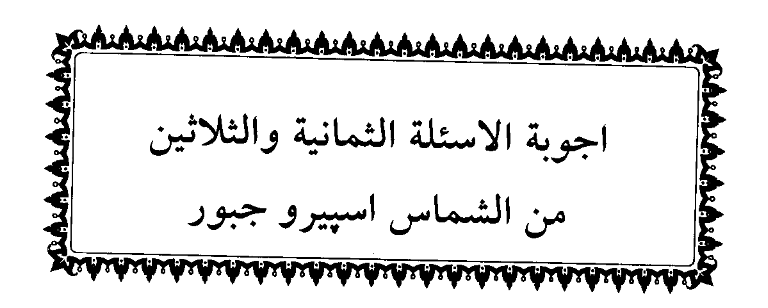
١٣ ـ سآتيك حوالي ١٥/ ١/ ١٩٩٦ وكل عام وأنتَ بخير رافل مع العائلة الكريمة حنان وأهلها «طايرون» بك وبالخورية والأولاد. رعاكم الله أجمعين.

في اللقاء حديث هام.

سلِّم على الجميع وعلى جهاد حيدر وجوقته وعلى الأب جبرائيل الكبير وعائلته وجبرائيل الصغير وعائلته وعلى الجميع. الله مع روحك.

أخوك الوفي

الشماس اسپيرو جبور



اجوبة الاسئلة الثمانية والثلاثين
من الشماس اسپيرو جبور

الى: حضرة الأستاذ اللامع الصديق العزيز أحمد عمران المحترم
طرطوس

قبلات وسلام ومودة. آسف لتأخر وصول مذكرتك المؤرخة ٢٠/٨/١٩٩٥.

أحال إليَّ قدس الأب سروج أسئلتكم الذكية. فعليها أجيب فوراً بنداً بنداً، بعد مقدمات ضرورية:

أولاً: لم ترد كلمة نصرانية أو نصارى في كتب المسيحيين. نعرف من الإنجيل أن يسوع أمر الرسل أن يتلمذوا الأمم (متى: ٢٨). ثم جاء في أعمال الرسل أن التلاميذ دعوا مسيحيين في أنطاكيا (١١:٢٦). وكان المسيحيون العرب في سوريا على المذهبين الأرثوذكسي، أو اليعقوبي بعد العام ٤٥١. وكانوا في العراق على المذهب الأرثوذكسي ثم انقطعوا بسبب الحجر الفارسي المضطهد. ولكن ثبت في عصرنا أنهم كانوا في العام ٦٨٠ قريبين جداً منا إلا أن تقطّع الأوصال استمرّ. أما في اليمن فكان المسيحيون منوَّعين غالباً[١]: على المذهب الأرثوذكسي واليعقوبي

---

(١) يبدو أن بني تميم كانوا على مذهب العراق.

والعراقي. ومعلوماتنا ضحلة جداً عن الجزيرة العربية. ولكنها ما كانت تخلو من بعض النساطرة واليعاقبة والأرثوذكس. فجبر وعائش الروميان كانا يتلوان الإنجيل على مسامع الرسول بلغتهما. ولغتهما اليونانية. وراهب بحيرا في بصرى الشام كان نسطورياً. واللخميون في العراق كانوا على مذهب مسيحيّي فارس. إلا أن بعضهم صار أرثوذكسياً في القرن السادس.

القس ورقة بن نوفل ابن عم خديجة كان نصرانياً. أي لم يكن على المذاهب المذكورة.

ثانياً: قصة الحضارة (ويل ديورانت) تاريخ بقلم يهودي على مذهب التلمود، وكتاب توليدوت يشوعا (القرن ٩): شتائم على العذراء ويسوع والمسيحية وتزييف للتاريخ لم يذكره أبداً أحدث التواريخ المسيحية بقلم أساطين الكثلكة بالفرنسية والإنكليزية والألمانية Nouvelle Histoire de l'Egflise (5 tomes).

ثالثاً: ترجمات العهد الجديد العربية جميعاً تحتاج إلى إعادة نظر بقلم جهابذة يجيدون اليونانية والعلوم اللاهوتية ويستفيدون من أحدث الترجمات الفرنسية والروسية.

رابعاً: المقارنات بين الأناجيل لا تصحّ ١٠٠٪ إلا في الإزائيات اليونانية. هناك إزائية عربية عن إزائية العلاّمة الشهير Lagrange وتلميذه Levergne إنما اللغوي الكبير أوغسطين مرمرجي نقل النصوص عن ترجمة الموصل المترجمة عن الترجمة السريانية لا الأصل اليوناني. تبقى مفيدة وبخاصة في باب التسلسل التاريخي لحياة المسيح. فلاغرانج قطب عالمي.

خامساً: ليس في المسيحية تنزيل. مقدمة إنجيل لوقا تدلّ على أن

كثيرين أخذوا في تأليف قصة حياة المسيح، فتتبَّع هو كل شيء واتصل بمعايني يسوع والمبشرين به. في النهاية تبلورت الأمور في أربعة روايات سمَّتها الكنيسة ـ لا الكتّاب ـ أناجيل. فلفظة إنجيل أُطلِقَت على البشارة ثم أخيراً على الكتب الأربعة. هي ٤ شهادات بأقلام متى ويوحنا الرسولين المعروفين، ومرقس تلميذ بطرس وبولس، ولوقا تلميذ بولس: الكنيسة سمَّت الأناجيل والكنيسة نسبتهم إلى كاتبيهم. هي المرجع الموثوق.

سادساً: بولس لم يشاهد المسيح إلا على مقربة من دمشق أولاً. في رسالته إلى أهل غلاطية ينسب رسالته وتعليمه إلى يسوع مباشرة بدون وساطة الرسل. رسائله تتقاطع كثيراً مع الأناجيل مع أن أغلبها مكتوب قبل ظهور الأناجيل. يبدو غالباً مفسِّراً لاهوتياً للأناجيل. المقارنة اليونانية تكشف التقاطع الواسع. وأي طبعة «مشوهدة» توضح ذلك. الطبعة الأميركانية العربية المشوهدة ناجحة جداً.

سابعاً: الأناجيل المنحولة. اللفظة اليونانية أبوكرينا لا تعني «المنحولة». الكتّاب المسيحيون العرب المعاصرون ـ إلا بعض الأرثوذكس العارفين باليونانية ـ ينقلون عن أوروبا الغربية ألفاظاً يونانية الأصل لا يفقهون معناها. هذا هو معنى أبوكرينا في أكبر معجم يوناني ـ فرنسي (Bailly): soustrait aus regards, caché, secret; caché à qn. qui se fait à l'insu de qn.;.

وفيما يتعلق بالكتب الدينية يقول: Tenu caché, nom lu dans les synugues et les églises.

وأناجيل الابوكرينا متأخرة زمناً. تعود إلى القرن الثاني وما تلاه. اسمها يدلّ على أن كاتبيها عناصر باطنية. أرى أنهم يهود أو أشباه يهود. لم أعد أذكر مَن العالم الغربي الذي قال برأيي. فهي مدسوسة لا منحولة.

رفضتها الكنيسة دوماً ولم تدخل يوماً في الاستعمال لدى الكنيسة لا في الشرق ولا في الغرب. ولكن يبدو أنها كانت معروفة في الجزيرة العربية. وهي لا تقرأ أبداً في الكنيسة Bailly يستشهد في تعريفها باكليمنوس الاسكندرية وأوريجنيس وباسيليوس.

البند الأول

أ ـ مات بطرس مصلوباً وبولس بحدّ السيف بين الأعوام ٦٥ ـ ٦٧. الأمر يختلف في حسابات المؤرخين. ربما ٦٥. تزوج نيرون امرأة من أصل يهودي في العام ٦٢، بعدها ساءت العلاقات جداً بين السلطة والمسيحيين، فبدأت معركة نيرون معهم.

ب ـ في أورشليم حدثت العنصرة والتبشير أولاً. لوحت الرسل. رجم اليهود استيفانوس (أعمال الرسل ٧)، اسْتَرضى اغريبا اليهود فقتل يعقوب (أخا يوحنا) وسجن بطرس (الإصحاح ١٢). تشرَّد الرسل بعد رجم استيفانوس وعبروا إلى السامرة وسوريا وقبرص. بدأ اليهود يثورون على السلطة الرومانية حوالي العام ٦٦ فخربت أورشليم في العام ٧٠ وسكنها الغرباء، بينما تشتَّت اليهود في الدنيا. وتاريخياً تبعت أسقف قيصرية فلسطين (على البحر) العاصمة والكرسي الإنطاكي حتى استقلّت في القرن الخامس وصارت بطريركية.

جـ ـ على ما يبدو من أعمال الرسل (٢: ٥ ـ ١١) أن يهوداً وأتقياء (وثنيين متأثرين باليهودية) ودخلاء من أمم عديدة كانوا حاضرين يوم العنصرة، فحملوا المسيحية إلى ديارهم. في الإصحاح ١٦ من رومية يبدو وجود رجالات عديدون من رجال ونساء فيها وأن إيمان الرومانيين مشهور وأصيل. أحدث مرجع لديَّ (١٩٩٤) يؤرخها في العام ٥٧ ـ ٥٨.

د ـ مراكز الثقل الرسولية الأولى في أنطاكية وأفسس وسالونيك وكورنثوس. مع تمادي الزمن استقطبت المدن الإمبراطورية الكبرى الأهمية الأولى، فكانت في العام ٣٢٥ الصدارة للعاصمة روما ثم للاسكندرية ثم لإنطاكيا. وفي العام ٤٥١ احتلت القسطنطينية المرتبة الثانية باسم «روما الجديدة». المسألة إدارية لا عقائدية كما يدّعي الكاثوليك. .

هـ ـ لفظة «كاثوليكية» وردت لدى اغناطيوس الإنطاكي المتوفى العام ١٠٧. ووردت لدى صديقه بوليكريوس أسقف أزمير. المعنى لديهما مرادف لمعنى «أرثوذكسية» للدلالة على الكنيسة الحقيقية القائمة تجاه بِدَع أخذت تظهر حتى في أيام بولس، فضلاً عن أيام يوحنا. التسميتان صحيحتان وإن غلبت الأولى على الغرب بينما يستعمل الشرق اللفظتين. كلاهما يوناني لأن المصطلحات اللاهوتية يونانية أصلاً، بقيت كما هي حين الترجمات أو تُرجِمت.

البند الثاني

١ ـ ليست اللغة العربية لغة مسيحية في القرون الأولى. كانت تتم الترجمة إليها من اليونانية والسريانية. الملكة ماوية العربية في القرن الرابع مشهورة. أكرهت الإمبراطور المبتدع قسطنديوس ابن قسطنطين على القبول برسامة الناسك موسى أسقفاً أرثوذكسياً على العرب. المعاجم العربية تذهب كل مذهب في التأويل. لسان العرب يفسِّر لفظة أبيل كما يشاء حتى يقول إن المسيح هو أبيل الأبابيل. ولكن اللفظة نفسها من أصل رهب. الرهبة هي الخوف المصحوب بالاحترام. والله أعلم. الترهب توحّد ونسك. اللفظة السريانية تدل على ذلك. المسيحية انقطعت عن العبرية لأن اليهود هرسوها بالاضطهادات والوشايات فتنفَّست الصعداء في

الثقافة اليونانية حتى صارت قراءة العهد القديم تتم في الترجمة السينية اليونانية. كان المتوسط كله.

٢ ـ الرهبانية تطبيق لما جاء في الإنجيل (متى ١٦) وبولس (كورنثوس الأولى ٧) عن التبتُّل والزهد. وفي أيام الرسول بولس انتظمت الأرامل في سلك تبتُّل لا يجيز لهن الزواج ثانية (الرسالة إلى تيموثاوس). وكانت الإباحية منتشرة. فرأت النساء في المسيحية منقذاً من الإباحية، وتعدّد الزوجات، والإماء، والطلاق، والشذوذ (النساء، رومية ١) وو. . . فأقبلن على التعفّف لدرجة أن العسكر الروماني احترف الاضطهاد بالعدوان على عفافهن، فألقت القديسة بيلاجيا بنفسها عن السطح في العام ١٠٠ لئلا يعتدوا على عفافها. واعتبر أوغسطين ذلك لوناً من الاستشهاد.

٣ ـ بدأت الرهبنة ببولس البسيط في القرن ٣ ـ ٤ وتعاظمت بأنطونيوس المتوفى العام ٣٥٦. وعمت سريعاً في القرن الرابع العالم المسيحي شرقاً وغرباً[١].

البند الثالث

قام المسيح من الأموات يوم الأحد. وحدثت العنصرة يومَ الأحد. في رؤيا يوحنا اسم يوم الأحد «اليوم الرباني». وما يزال اسمه في اليونانية «الرباني» (١ :).

---

(١) القرآن امتدح الرهبان وذمّ الرهبانية، كتُب السيرة تجعل الراهب بحيرا نبياً. وهناك رهبان سواه. أحدهم داوى الرسول من الرمد. وما كتبها أحد علينا. هي اختيار لا إكراه. وكان القرن السادس في العالم المسيحي كله قرن الرهبان السوريين. فمن بلادنا خرج النوعان الأقس: العموديون والحبساء، الآية القرآنية المستشهد بها لديك تقول أن الرهبانية مكتوبة علينا. إذاً: لم نبتدعها.

وفي أعمال الرسل انعقد الاجتماع يوم الأحد (٢٠). وفي كورنثوس الأولى كانت الحسنات تُجمَع يوم الأحد. ويلينوس الحديث (أوائل القرن الثاني) يذكر أن الاجتماع الديني كان يجري يوم الأحد. وترجم اللاتين اللفظة كما هي. ومنها لفظة dimanche الفرنسية (الله: Deus). فالسبتيون عملاء يهود يفسرون على هواهم. الانكليزية لغة حديثة لا لاهوتية. تترجم عن اليوناني وسواه.

البند الرابع

أ ـ الكنيسة القديمة كانت تعيّد عيد القيامة ثم عيد الظهور الإلهي (الغطاس). في القرن الثالث دخل عيد الميلاد. الذهبي الفم يحاول تبرير ٢٥ كانون الأول لوقوعه بعد ٣ أشهر من عيد الغفران (الكبور اليهودي) في أيلول ـ تشرين حيث ظهر الملاك لزكريا فحبلت زوجته إليصابات بابنها يوحنا. فيكون الحبل بيسوع في ٢٥ آذار. هناك آراء والله أعلم. إنما عيد الميلاد حظي بالبهجة في الغرب. إنما لاهوتياً يعترف الغرب بأن عيد الفصح هو عيد الأعياد. وما زالت فرنسا تعطّل يوم اثنين العنصرة رغم اختفاء الاهتمام بالعيد. ففي الغرب فجوات عديدة دخيلة.

ب ـ الصلب تمَّ في أورشليم لا في أثينا. وفي أعمال الرسل أنهم بطرس المجمع اليهودي بصلب المسيح منذ البداية. وقامت البشارة يومَ الصعود والعنصرة على الصليب والقيامة. ليس في المسيحية خرافات بل تاريخ مشهود له من قبل الرسل الذين سلّمونا تعاليم فوق طاقة البشر فقضوا نحبهم شهداء من أجلها. الخرافات اليونانية دنسة. في كتابي «المرأة في نظر الكنيسة» لمحة عن رجاساتها وإباحياتها والقول بدعارة الإلاهات.

البند الخامس

١ ـ متى ذكر أن يسوع قال إنه قد تقلَّد كل سلطان في السماء وعلى الأرض. الأمر متعلق بالسلطان فقط.

٢ ـ متى ويوحنا هما من الأحد عشر. بشارة الرسل واحدة. ما من حاجة إلى جمهرة من الأناجيل. لو ارتكب أحدهم أخطاء لقوَّمه المعاصرون له من شهود الأحداث. في كورنثوس الأولى (١٥) يذكر بولس أن أكثر من ٥٠٠ شاهدوا المسيح قائماً أكثرهم حي.

٣ ـ من عادة اليهود أن يحمل المرء أحياناً اسمين أو لقباً: سمعان بطرس، متى ـ لاوي، يهوذا ـ تداوس، شاول ـ بولس، يوسف برساباس ـ يوستوس (أعمال ١:٢٣)، يوحنا ـ مرقس؛ وحتى يعقوب وأخوه يوحنا سمِّيا «ابني الرعد».

٤ ـ في العام ١٩٢٨ ذهب البريطاني برنارد إلى أن كاتب أسفار يوحنا الإنجيلي هو يوحنا الشيخ الوارد ذكره على لسان Papios في العام ١٢٠ والذي أعلمه أن متى الإنجيلي كتب أولاً بالعبرية (الأصح بالآرامية) وأن مرقس هو مذكرات بطرس. لم يقبل أحد هذا الرأي الذي ذكرته فمثلاً عن دائرة المعارف البريطانية القديمة لا عن طبعتها الأخيرة.

٥ ـ أحدث مراجعي يجعل رؤيا يوحنا ورسائله قبل إنجيله (العام ١٠٠). كل شيء في إنجيل يوحنا يدلّ على أن كاتبه هو تلميذ اتكأ على صدر يسوع في العشاء السري. مرقس ابن مريم أخت برنابا التي كان بيتها منتدى بطرس والتلاميذ (أعمال ١٢). لوقا طبيب انطاكي وكاتب من الطراز الأول في زمانه. مقدمته مقدمة علميّة من أعلى طراز.

٦ ـ المسيح تكلم بالآرامية لغة الهلال الخصيب التي كانت اليونانية

قد زحمتها ثقافياً. بعد الاسكندر حلَّت سوريا محلّ أثينا (منذ القرن الثاني قبل الميلاد) في الآداب والعلوم والفنون الجميلة. لديّ خريطة فرنسية عن سوريا في العام ٢٧٠ قبل الميلاد (دولةُ انطاكية اليونانية). تصل في كبادوكيا إلى بعدٍ محدود من البحر الأسود، وتصل إلى الخليج الفارسي وتشمل قسماً واسعاً من أفغانستان، وربما تصل إلى مقربة من الهند العتيقة. ولديَّ خريطة أُخرى فرنسية تدخل بموجبها سيناء في الكرسي الانطاكي لأنّ عاصمة الولاية العربية انتقلت من البتراء إلى بصرى الشام. وكانت سيناء تابعة للأنباط لمّا كان بولس الرسول في دمشق (أعمال وغلاطية).

٧ ـ إنجيل متى الآرامي غير موجود لأنَّ اليوناني حلَّ محله سريعاً؛ ربما منذ العام ٥٤. دور العبرانيين الفلسطينيين في الكنيسة تضاءل جداً وبخاصة بعد خراب أورشليم. حتى يعقوب الرسول أخو الرب كتب رسالته في اليونانية (وهو في أورشليم كأسقف لها). يوسينوس كتب باليونانية.

٨ ـ كل العهد الجديد يوناني. إنما أهل الاختصاص لمسوا فيه كثيراً النفَس الآرامي. الأميركي Tourney أنشأ في العام ١٩٢٢ كتاباً ليثبت أن إنجيل يوحنا مترجَم عن الآرامية. قبل العلماء التأثير الآرامي ورفضوا القول بالترجمة. وهكذا يسقط زعم القائلين بأنه متأثر باليوناني.

٩ ـ في أوروبا وأميركا نسخ كاملة من العهد الجديد ونسخ ناقصة. المجموعة الكاملة في لندن، تعود إلى العام ٣٠٠ وربما قبله. باعها الاتحاد السوڤييتي في الثلاثينات. عدا ذلك هناك أوراق بردي بالآلاف تحتوي مقاطع تعود إلى القرنين الثاني والثالث فصاعداً.

وهناك الحرائق التي نُكِب بها المسيحيون خلال الاضطهاد الروماني

والتتري والعثماني. أحرقوا كتبنا. تحت يدي الآن كتاب عن العثمانيين في القرن الماضي: سلب ونهب وإحراق القرية أو المحلة برمتها. في بلاد اليونان منعوا التعليم، فتعلَّم الناس ليلاً على ضوء القمر والشمع خفية. الشنق والحرق والصلب والسلب هوايتهم.

١٠ ـ في العام ١٨٨٢ ظهرت مخطوطة لكتاب يفتش عنه العلماء: في القسطنطينية. كتب فيه العلماء مكتبة. مال الكبار أخيراً إلى جعله مكتوباً بين العام ٥٠ ـ ٧٠ للميلاد مع ترجيح إلى قربه من العام ٥٠. يستشهد كثيراً بإنجيل متى.

البند الثامن

في الإزائية ترى أن يوحنا الإنجيلي يفترض وجود الأناجيل الثلاثة فينوّه بالأمر فقط دون رواية أمره. في الإزائية ترى الترتيب الزمني المتسنسل للأحداث.

ذكرتُ سابقاً أن لفظة إنجيل في العهد الجديد مُطْلقة على البشارة. ليس لدينا إنجيل مُنزل على يسوع. يسوع يُنزِل. بولس قال مراراً «إنجيلي» أي بشارته بالمسيح. وهذا يدل على وجود مادة تبشيرية يتداولها الرسل.

البند التاسع

أ ـ اسم عيسى غير عبراني أو يوناني. ولا معنى له في أية لغة من لغات الأرض. في العبرية والآرامية «يشوع». في العربية تصير الشين سيناً «يسوع». كلَّفت الأستاذ محمود أيوب المدرس في جامعة تورنتو (كندا) أن يجد معنى لهذا الاسم أو أثراً في أية لغة من لغات الأرض. مضت ١٥ سنة

تقريباً دون جواب.

ب ـ يسوع أسمى نفسه: «ابن الله، ابن الإنسان، الابن. . . .» لم يسمِّ نفسه «ناصرياً» إنجيل متى ذكر اللفظة كنبوّة عن سكناه في الناصرة. بيلاطس سماه «ناصري» لا المسيحيون. طبعاً هو ناصري لأنه مولود في الناصرة. إنما لم تدخل اللفظة الاستعمال المسيحي.

جـ ـ بشارة يسوع تدرَّجت من اليهود إلى سواهم. كان يُحيل اليهود إلى العهد القديم ليعرفوه من النبؤات. حفظ حقّ أولويتهم في البشارة. ومع ذلك شفى عبداً قائد المائة الروماني وابنة الكنعانية وممسوس جدره الوثنية شرقي بحيرة طبرية فخرج يبشِّر بعمل الله في المدن العشر (مثلث رأسه بيسان وقاعدته خط دمشق ـ عمان) الوثنية اليونانية الثقافة آنذاك. وكان المرضى يأتونه من كل سوريا وو. . . (متى ٤).

د ـ في أعمال الرسل الأمر واضح: أورشليم، اليهودية، السامرة، العالم.

هـ ـ في نهاية متى: العالم بأسره.

و ـ في أعمال الرسل كان بولس يبشِّر اليهود أولاً ثم الوثنيين.

ز ـ ربما كان النصارى هم بدعة انتقلت من «نحل» في المملكة الأردنية إلى الجزيرة العربية في القرن ٢ (اسمها اليوناني Pella). هذا ما يرجِّحه العلماء. البدعة متهوِّدة يهودية أكثر منها مسيحية بمراحل.

البند العاشر

أ ـ ملكوت الله = ملكوت السماوات. متى استعمل الثانية إلا نادراً مراعاة للاستعمال اليهودي الذي كان يستبدل باسم الله بدائل: السماوات،

الاسم، المقام... ليس لدي فوتوكوبي لأستخرج لك فصلاً عنه من معجم اللاهوت الكتابي الكاثوليكي.

ب ـ كلف الأب سروج ذلك. وإن نسي استطعت سحبه بواسطة سيادة أسقف طرطوس باسيليوس أو الأخت زكية أنيس حداد (شارع المتنبي).

البند الحادي عشر

١ ـ العشاء السري مذكور أيضاً في كورنثوس الأولى (١١: ٢٢ ـ ٢٥). مسألة التلاقي بين الإنجيليّين والافتراق أعيت الباحثين. افترضوا مصدراً مشتركاً استعمله كل منهم بحسب مخططه. إنجيل يوحنا يعبّىء النقص. في الفصل السادس منه استفاض. ذكر غسل الأرجل والفصح اليهودي وترك الباقي لزملائه.

٢ ـ رافائيل نحات بارع. إنما الأيقونات الأرثوذكسية الأصيلة العريقة أجمل من تماثيله. أخذت الآن تكتسح الغرب. في روسيا أيقونات مدهشة، تعجز أميركا عن شرائها لأن ثمنها مليارات الدولارات الكثيرة. قد تدفع ببعضها مليار دولار للأيقونة الواحدة.

٣ ـ مسألة التلاقي حرفياً بين الأناجيل الثلاثة والافتراق تراها في الإزائية اليونانية وفي إزائيتين لم أرهما تغيِّران الحبر. إحداهما في سبعة ألوان. لكل إنجيلي شخصيته وقالبه الشخصي والأدبي والفكري. ليس أدوات منفعلة، بل أدوات فاعلة. ليس من لوح نزل عليهم فكانوا جماداً.

٤ ـ مثلاً: مخطط متّى هو تعبئة رهيبة ضد اليهودية لإسقاطها نهائياً من الداخل. منذ حوالي ٤٠ ـ ٤٥ سنة يُشغل الباحثين جداً. ترى الأمثال

فيه تنصبّ على ملكوت السماوات وخروج اليهود منه. في الموعظة على الجبل (٥ ـ ٧) يُسقط الشريعة اليهودية لحساب شريعة أمثل بما لا يقاس. يكدس العجائب في مجموعات ليظهر يسوع أفضل من موسى. في ٢٣ و ٢٤ يرفض الفريسيين والأمة وأورشليم أكثر من مرقس ولوقا. أما لوقا فيركّز في امثاله على المعدَمين والخاطئين، والمستضعفين، والنساء ايضاً. أما مرقس فيحب الإخراج المسرحي المؤثر. خذ مثلاً نزول المسيح من جبل التجلي. وحده استعمل عبارة: «دهشوا كلهم» (٩: ١٥).

٥ ـ ترى مرقس ولوقا يسيران معاً حتى لوقا ٩ : ٥١. يفترق عنه لوقا حتى ١٧ : ٢٢ ليعرض قسماً خاصاً به إجمالاً. وترى مرقس ينفصل ليلاقي متى حتى نهاية آلام يسوع بعرض مسهب.

٦ ـ ترى يوحنا يركز على المرحلة الأورشليمية في اليهودية. ترى متى ومرقس ولوقا يتبعون مخطط بطرس في الإصحاح ١٠ من أعمال الرسل: البشارة في الجليل.

٧ ـ ترى متى يمعن في ملاحقة المجمع اليهودي يومَ قيامة يسوع إذ رشوا الحراس. فينتقل يسوع إلى الجليل على الحدود الوثنية السورية ـ اللبنانية اليوم ليوجّه الرسل إلى الأمم. وهذا ما نرى بولس يفعله في أعمال الرسل: متى فشل لدى اليهود كان يتوجه إلى الأمم.

٨ ـ وفي القيامة يختصر متى فيذكر مريم المجدلية ومريم أم يعقوب. يزيد مرقس صالومي. أما لوقا فيذكر البعض بأسمائهن لينتهي إلى ذكر الجميع.

٩ ـ ترى لوقا لاهباً في المسائل المتعلقة بأناس اتصل بهم كمريم العذراء في حوادث الطفولة وكلاوبا يوم القيامة. ترى مرقس يقطع النفس

كعادته يوم القيامة في ١٦ :٨. يشعر المطالع أن طبعه طبع السامية في الحدة والقطع وشيء من الفجاجة أحياناً. تشعر أن لوقا طبيب إنساني. وهكذا دواليك من الخصائص التي لا تُحصى.

١٠ ـ فليس هناك وتيرة واحدة. وليس هناك من كاتب واحد. ترنيوس هو كاتب رسالة بولس إلى رومية (١٦ :٢٢). وكان بولس يكتب «السلام» بخط يده. ولما زوّر البعض رسائل باسمه (٢ ت٢ :٢ ـ ٣) وصحبه كتب: «هذا السلام بخط يدي أنا بولس. تلك علامتي في جميع رسائلي. وهذه هي كتابتي» (تسالونيكي الثانية ٣ :١٧). وسلوانوس تلميذ بولس هو كاتب رسالة بطرس الأولى (٥ :١٢). رسالته الأولى إلى كورنثوس موجَّهة باسمه واسم سوستينوس؛ والثانية معه تيموثيوس وكذلك فيلبي وكولوسي؛ ويضاف إليهما سلوانوس في تسالونيكي الأولى والثانية. وكان لوقا إلى جانبه حين الكتابة إلى تيموثاوس. نهاية الرسالة الأولى تلتقي في عباراتها مع إنجيل لوقا. كتبوا لبولس إنما هو المعلم: أملى عليهم.

١١ ـ لم يقتصر الإلهام، إذاً، على الاثني عشر. مرقس ١٦ :٩ ـ ١٦ ليس بقلم مرقس يوحنا ٢١ ليس بقلمه. تلاميذهم زادوا. الكنيسة قبلت الزيادة لأنها هي المرجع الأخير. ونعرف من أعمال الرسل أن الكنيسة انتشرت قبل الأعوام ٦٠ ـ ٦٥ من أورشليم إلى جوار البحر الأسود فاليونان فيوغوسلافيا فروما. وفي رسالتي رومية والعبرانيين ذكر لإسبانيا جميع هذه المناطق متحدة داخلياً ورافضة للبدع التي أخذت تترعرع غالباً بمكر يهودي. فالفصل ١٠ من أعمال الرسل (فضلاً عن ١٥ منه) كرّس الانفصال بين اليهودية والمسيحية وشجَبَ التهوّد. اليهود أعداء الإنجيل (رومية ١١ : ٢٨ بخاصة تسالونيكي الأولى ٢: ١٤ ـ ١٦). نراهم كذلك

في أعمال الرسل وحملات بولس الرسول عليهم وعلى خزعبلاتهم وخرافاتهم وناموسهم. غلاطية ورومية حملة لاهوتية مركّزة.

البند الثاني عشر

أ ـ هناك محاكمة جرت ليلاً في بيت قيافا على يد أبي زوجته حنّان. ذكرها يوحنا فقط. وهناك محاكمته لدى قيافا في داره ليلاً ثم الانتقال باكراً (لوقا أوضح من متى هنا) إلى قاعة المجمع اليهودي الكبير ثم تسليمه إلى بيلاطس. يوحنا أدق حقوقياً في وصف مجرى المحاكمات. أحد كتبي المخطوط يضبط الأمر بالتسلسل الزمني.

يوحنا حرص على تبيان كون يسوع هو الحمل الفصحي المذبوح أثناء عمليات النحر في الهيكل بدءاً من ظهر يوم الجمعة. أولئك حرصوا على العشاء السري:

أجرى يسوع الفصح اليهودي بدون حمل لأن الحمل يُذبح في الهيكل. وكان اليوم خميساً في ١٣ أبيب لا ١٤ من شهر أبيب. إلا أن يسوع ألغى الفصح اليهودي بعشائه فصار فصحنا المسيحي وحلَّ محلَّ الفصح اليهودي المنسوخ.

ب ـ في مفهومنا المسيحي، اليهودية كانت ديانة موقتة كتوطئة تربوية لظهور المسيح. بعد ظهوره لا نعترف على اليهود إلا في حدود دعوتهم إلى الإيمان. وكتابهم المقدس عاد كتابنا فعلاً وكتابهم اسماً. جرَّدهم الله من جميع حقوقهم حتى من قدرة كتابهم على تخليصهم (الذهبي الفم).

البند الثالث عشر

١ ـ ليس الإنجيليون ببَّغات تجاه بعضهم بعضاً. وجاء في يوحنا أن الورق في الدنيا عاجز عن استيعاب ما جرى، وأن ما كُتِب فقد كتِب ليؤمنوا أنه المسيح. فالرسل الإنجيليون انتقائيون. لوقا أورد لنا بالتفصيل الحبل بيوحنا وبيسوع وبولادتهما. متى اهتم بالحبل والولادة البتولين في الإصحاح الأول معلناً أن يسوع هو ابن داود ابن ابراهيم في الجسد ولكنه يهوه فادي إسرائيل ومخلصه. فيسوع اختصار «يهوشاع» (أي يهوه المخلص). فيوسف يهودي فهم حتماً من كلام الملاك أن يسوع هو يهوه مخلص إسرائيل شعب الله. واستشهد متى بأشياء: يسوع هو «عمانوئيل». عمانوئيل هو الله الظاهر بين الناس كما في الأنبياء. وبذلك يلتقي الفصل الأول من متى بالفصل الأول من يوحنا وحتى بلوقا:

أولاً: يسوع هو ابن الله، ابن العلي (لوقا). هو يهوه المخلص وعمانوئيل (متى).

ثانياً: هو كلمة الله والله وابن الله (يوحنا). هو إله متجسد لدى الثلاثة.

ثالثاً: حتى مرقس افتتح انجيله: «بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله» كما بدأ متى: «كتاب ميلاد يسوع المسيح».

٢ ـ يوحنا ويوسف ونيقوديموس والنساء شاهدوا الصلب. وذكر الإنجيليون ذلك. ومريم العذراء نفسها كانت واقفة لدى الصليب. ورواية الآلام هي أوسع روايات الأناجيل. الجرح أثَّر فيهم. وليسوا بحاجة ـ مثل المؤرخين المعاصرين ـ إلى ذكر المصادر لأنهم كتاب ملهمون موثوقون لدى الكنيسة. وفي التواريخ قائد المائة الذي آمن يدعى لونجينوس.

وهناك سمعان القيرواني. وهناك من آمن لاحقاً من بنات أورشليم (لوقا ٢٣ : ٢٨ ـ ٢٩). «وتبعه جمع كثير من الشعب» (لوقا ٢٣ : ٢٦). «ووقف الشعب هناك ينظر» (لوقا ٢٣ : ٣٥). «الجماهير التي احتشدت. . . رجعت جميعاً وهي تقرع الصدور. ووقف عن بعد جميع أصدقائه والنسوة اللواتي تبعنه من الجليل. وكانوا ينظرون إلى تلك الأمور» (لوقا ٢٣ : ٤٨ ـ ٤٩). أما يكفي هذا الحشد من الناس؟ ولا يقل أحد إنّ شهادة المرأة عندنا بنصف شهادة الرجل. فشهود القيامة صباحاً نسوة لا رجال. وهكذا ارتفع قدر المرأة.

البند الرابع عشر

أ ـ أجبنا على معظمه أعلاه. يسوع أرسل الاثني عشر. وأرسل أيضاً ٧٢ (لوقا ١٠ : ١).

ب ـ جاء في نشيد سمعان في اليوم الأربعين ليسوع: «خلاصك الذي أعددته أمام كل الشعوب نوراً للأمم» (لوقا ٢ : ٣١).

البند الخامس عشر

يوحنا تدارك المرحلة في اليهودية. ما عدا عجيبة قانا الجليل، الإصحاحات ١ ـ ٣ لليهودية. الإصحاح ٤ للسفر إلى الجليل عبر السامرة فبشّر أهل السامرة أعداء اليهود اللدودين.

٢ ـ الإزائية ترتّب الأحداث تاريخياً.

٣ ـ الإلهام الإلهي الصادر إلى يوحنا المعمدان وقع بالصورة التي وقع فيها للأنبياء قبله.

٤ ـ يوحنا عمَّد في برية الأردن شرقي أورشليم. كان يسوع في الناصرة شمالاً. بشَّر بالمسيح قبل أن يراه يوم اعتماده.

٥ ـ حلّ الروح القدس على المسيح مشيراً إلى أن صوت الآب خاص بيسوع لا بيوحنا.

٦ ـ حمل الله الرافع خطايا العالم هو يسوع حملنا الفصحي حامل خطايانا. في الرسائل سمِّي الله ويسوع مخلصنا مراراً.

البند السادس عشر

المسيحيون قبلوا المسيح فولَدهم بالمعمودية ولادة روحية لا جسدية. أما اليهود فرفضوه: «إلى خاصته جاء وخاصته (أي اليهود) لم تقبله (بوا: ١٢ ـ ١٣).

البند السابع عشر

كان زوج إليصابات كاهناً يقيم في جوار أورشليم لأداء الفروض في الهيكل. أما المسيح فكان في الناصرة قرب الجولان السورية. المسافة بين البلدين تزيد على ١٠٠ كيلومتر. ويوحنا خرج إلى البرية ناسكاً منذ الطفولة. يوحنا في البرية جنوباً ويسوع في الشمال. الإنجيل مصدرنا على عدم معرفته بيسوع قبل الاعتماد وقبل رؤية الروح نازلاً عليه. فلا نستطيع أن نفترض شيئاً ما بدون دليل عليه.

البند الثامن عشر

١ ـ أنتَ محقّ في القول إن الإصحاحات (بالضبط: ١٣: ٣٣ ـ إلى

نهاية الإصحاح ١٧) هي الأقوى في الأناجيل. هي خطبة الوداع بعد العشاء السري. ووعدهم فيها بأن الروح القدس قادم معزياً آخر يرشدهم ويذكرهم. وكان يتكلم بالأمثال، فقالوا له هنا إنه لم يعد يكلمهم بأمثال بل علانية.

إذاً: يسوع في مرحلة متقدمة من التعليم قبل آلامه وبعد القيامة «فتح أذهانهم ليفهموا الكتب. . .» (لوقا ٢٤: ٤٥ ـ ٤٨). ويوم الصعود كانوا بعد أغبياء.

هناك تدرّج حكيم يراعي أفهام الشعب والتلاميذ.

٢ ـ مراجع الإزائية، متى ٢٤ و ٢٥ هو حديث يوم الثلاثاء لا يوم الخميس. وكذلك مقابلة في مرقس ولوقا.

البند التاسع عشر

أ ـ المعمدان هو يوحنا المعمدان: الأرثوذكس العرب يسمّونه: «يوحنا السابق والصابغ».

ب ـ الرسل بشروا يوم العنصرة وبعده علناً في علية صهيون وفي الهيكل وفي مجامع اليهود في شرقي المتوسط وشماله وغربه وفي كل مكان وصله الرسل وتلاميذهم والذين اهتدوا يوم العنصرة (آلام الخميس) من أمم الأرض. وكان الشهداء يتحدون اليهود والسلطات الرومانية برفض اليهودية والوثنية.

ب ـ المسيحية ثورة على اليهودية كما نرى في الإصحاحين ١٠ و ١٥ من أعمال الرسل.

جـ ـ يوحنا بشّر بالمسيح الأقوى منه.

د ـ تنقيـة البيـدر تتـم هنـا بتطهيـر أرواح النـاس وفـي الآخـرة فـي الحساب.

هـ ـ يسوع لم يعمِّد لأن المعمودية المسيحية تأسَّست يوم العنصرة: «وأما أنتم ففي الروح القدس تعمَّدون بعد أيام غير كثيرة» (أعمال ١ : ٥).

عمَّد الرسل قبل العنصرة إنما معمودية يوحنا: أي معمودية التوبة فقط دون حلول الروح القدس (يوحنا ٧ : ٣٧ ـ ٣٩).

يوحنا عمَّد الناس «معمودية التوبة، طالباً من الشعب أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده، أي يسوع. فلما سمعوا ذلك اعتمدوا باسم الرب يسوع» (أعمال ١٩ : ١ ـ ٦): لم يقبل بولس هنا معمودية يوحنا فعمَّدهم معمودية يسوع.

لذلك يعمِّد الأرثوذكس بالعبارة التالية: «يعمَّد، عبد الله فلان باسم الآب والابن والروح القدس» الخوري أداة. المعمِّد هو الله.

و ـ تعمَّد الرسل بحلول الروح القدس عليهم بهيئة ألسنة نارية، فطهّرهم من خطاياهم وأنارهم وزيَّنهم بالمواهب التي بها صاروا أناساً جديدين اكتسحوا العالم وماتوا أبطالاً شهداء بعد أن كانوا يوم الخميس العظيم وبعده جبناء أغبياء.

ز ـ لفظة «الآتي» لفظة كتابية هامة. يوحنا قال لرسل اليهود: «يأتي بعدي» (يوحنا ١ : ٢٦). وورد أعلاه ذلك على لسان بولس.

ويوحنا أرسل تلميذين يسألان يسوع: «أأنتَ الآتي؟» (متى ١١ : ٣).

واستقبل اليهود يسوع يومَ الشعانين بالهتاف: «مبارك الآتي باسم الرب. مباركة هي مملكة أبينا داود الآتية. . .».

وفي رؤيا يوحنا أيضاً هو الآتي (رؤيا ١ : ٨).

جـ ـ يسوع قال إن أنهار ماء حيّ ستجري من بطن المؤمنين به. وفسَّر يوحنا ذلك بأن المقصود هو الروح القدس الذي لم يكن بعد قد أُعطِيَ» (يوحنا ٧:٣٧ ـ ٣٩). بولس الرسول علَّمنا أن للروح القدس مواهب وثمار في المؤمنين (رومية ١٢ وكورنثوس الأولى ١٢ وأنسس ٤ وغلاطية ٥٣: ١٦ ـ ٢٢)، وإن هناك صراعاً بين الروح والجسد ننتصر عليه بالروح القدس (رومية ٨: ١٣ ـ ١٤... وغلاطية ١٥: ١٦ ـ ٢٢ ورومية ٧ وسوى ذلك). فالمعمودية لدى المسيحيين ولادة ثانية روحية سماوية (يوحنا ٣ وغلاطية ٣:٢٧ وكولوسي ٢:٩ ـ ١٢ وسوى ذلك كثير جداً فضلاً عن رومية ٦).

ط ـ خلاص الله هو الصليب. فالمؤمنون به يُنقلون بالمعمودية على رجاء القيامة والحياة الأبدية. وقد ذكر الأمير حسن المكزون السنجاري الصليب والقربان والماء (الدكتور أسعد علي، الأمير حسن المكزون، الجزء ٢، ص ٦٨: «ورايات الصليب لديّ تسري... السليح (لفظة سريانية: الرسول). وإنجيلي على صدري وكفّي بها كأسي وقدّيسي (الصحيح: قدّاسي لأن بها المعنى يصحّ)... من حميم الظلّ (الصحيح: الطلّ فيصحّ المعنى) ماءً.

أي إنجيل هذا؟ هل ذكر المؤلفون العرب القدماء إنجيلاً غير أناجيلنا؟ هل ذكروا إنجيل برنابا؟

عتاب الغزالي لنا لا يذكر إنجيل برنابا. لم يرد أي ذكر عربي له إطلاقاً.

ك ـ المسيح أقام الرسل وأتباعهم خلفاء له، «الأسقف هو وكيل الله» (تيطس ١ ـ ٧)، و«الكنيسة» هي «بيت الله» الموكول إليه (تيموثاوس

الأولى ٣ : ١٥) الرسل هم «وكلاء أسرار الله» (كورنثوس الأولى ٤ : ١).
وفي الأناجيل آيات عديدة عن دور الرسل وقبول الناس له في قبولهم لهم وسماعهم منهم. وأعطاهم سلطان الحل والربط. وأعطاه للكنيسة (متى ١٨ : ١٥ ـ ١٨ و ١٦ : ١٩)، وسلطان حل الخطايا، ومسكها (يوحنا ٢٠ : ٢٢ ـ ٢٣).

ولا ننسَ أن عهد الرسل كان مصحوباً بالعجائب وطرد الشياطين حتى إن ظل بطرس كان يشفي وكذلك مناديل بولس. العجائب أذهلت النساء وجذبتهم.

البند العشرون

١ ـ لا أعرف السريانية لأدقِّق في معنى لفظة «المعمودية» وأصلها اللغوي. إنما في الترجمة اليسوعية السابقة والترجمة الأرثوذكسية جاء: «أتستطيعان. . . أن تصطبغا بالصبغة التي أصطبغ بها أنا. . .» (مرقس ١٠ : ٣٨ ـ ٣٩). ونقول: يوحنا الصابغ.

ولكن المعمودية في المسيحية ليست رمزاً. على المرء أن يؤمن أولاً، وأن يعتمد ثانياً. لا يصير الإنسان مسيحياً بالإيمان فقط بل بالإيمان والمعمودية الصحيحة. فإن آمن ولم يعتمد كان موعوظاً لا مؤمناً. ما كان يوحنا المعمدان يملك سلطان إحلال نعمة الروح القدس في الماء لمنحه قوة دم الفداء والقدرة على التطهير والتوليد، لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطِي بعد» (يوحنا ٧ : ٣٩).

٢ ـ الألفاظ اللاهوتية المسيحية جميعاً يونانية. بعضها تُرجم إلى اللغات الأُخرى وبعضها بقي كما هو. العربي مدين لليوناني أحياناً

وللسرياني أحياناً أُخرى. ولكن يبقى اليوناني هو الأساس العالمي. فآباء الكنيسة في القرون ١ ـ ٣ كتبوا ـ إجمالاً ـ باليونانية أو كانوا يجيدون اليونانية. وإن كان أوغسطين لم يعرف اليونانية إلا أنه تلميذ ابروسيوس الذي سار في ركاب آباء الكنيسة الناطقين باليونانية، فكان مطيعاً.

البند الواحد والعشرون

العهد القديم استعمل عدة أسماء للجلالة. منها ايل والوهيم ويهوه. الغالب «يهوه». قبل الميلاد بقرون وقعت رهبة لدى اليهود فصاروا يستعملون بدائل. صاروا يكتبون «يهوه» ويلفظون «أدوناي» (آرامية تعني «رب»). المترجمون اليهود إلى اليونانية في القرنين ٣ و ٢ قبل الميلاد استعملوا «كيريوس» (رب) بدلاً من «يهوه». قلَّدتها الترجمات اللاتينية والسريانية والعربية والجميع حتى جاءتنا ترجمة فرنسية تعيد لفظة يهوه. اليهود ترجموها إلى الإنكليزية بـ Lord (رب) والفرنسية بـ Eternel (سرمدي). وردت في العهد القديم حوالي ٦٠٠٠ مرة. تجتمع كثيراً مع لفظة الله: قال الله يهوه، قال السيد (أدوناي) يهوه. العهد الجديد أطلقها على يسوع حوالي ١٣٢ مرة على ما أذكر. وأطلقها على الاب وعلى الروح القدس أحياناً قليلة. فالرب هو الله أيضاً.

البند الثاني والعشرون

١ ـ باراباس رجل فتنة وقتل (لوقا ٢٣ : ١٩) شهير (متى ٢٧ : ١٦) مسجوناً مع المشاغبين الذين ارتكبوا جريمة القتل في الفتنة» (مرقس ١٥ : ٧) «وكان لصّاً» (يوحنا ١٨ : ٤٠).

٢ ـ هو غير برنابا. هذا من قبرص.

البند الثالث والعشرون

يسوع خضع للشريعة اليهودية (غلاطية ٤ : ٤ ـ ٨) فأنهى حكمها. الختان المسيحي هو المعمودية (رومية ٦ وكولوسي ٢ : ٩ ـ ١٢). والمعمودية شريعة إلهية خضع لها المسيح ثم حوَّلها من معمودية ماء إلى معمودية نار وروح. فيوحنا قال إن الله أرسله ليعمِّد. وحاصر اليهود المسيح بسؤال فردّ يسوع بسؤال: «معمودية يوحنا من أين؟ أمن السماء أم من الناس؟» (متى ٢١ : ٢٤ ـ ٢٦).

البند الرابع والعشرون

١ ـ في العهد القديم إسرائيل هو الابن البكر لله بمعنى رمزي. في إنجيل متى طبّق الأمر على يسوع: «من مصر دعوت ابني» (٢ : ١٥). قديماً قيلت في اليهود. الآن متّى اعتبرها نبوة عن المسيح. كل امتيازات اليهود في العهد القديم رمزية نبوية عنّا.

٢ ـ المسيحيون يقولون مع العهد الجديد إن المسيح هو ابن الله لا بمعنى جسدي وإلا كانوا شرّ الكفار. الكتاب المقدس استعمل لفظة «الابن» للدلالة على أن جوهر يسوع هو جوهر الاب. ولكن يسوع إله وإنسان معاً. طبيعته الإلهية هي طبيعة الآب والروح القدس. طبيعته البشرية مأخوذة من أمه العذراء. ضمها إلى شخصه الإلهي بدون أي استحالة. فلا الإله استحال ولا الإنسان استحال فيه. اتحدا في شخصه الواحد بدون أن يتأثر الإله. لفظة «وجه» غير صحيحة.

٢ ـ نعرف أن هذه العقيدة فوق العقل لأنها لو كانت عقلية لكانت

قابلة لأن تصدر عن البشر، فيسقط بذلك الإلهام العلوي ومستلزماته بما فيه الإيمان.

٣ ـ قبلنا الكنيسة وإنجيلها وكتبها فانحصر حقّنا في التفسير القويم لا في التعالي على الله. أحببنا شخصَ يسوع فقبلناه. متى قلنا «دين» قلنا غيبيات، قلنا وحي وإلهام، وقيامة وآخرة، ونبوة ورسالة، وملائكة وروح وو... فليس من ديانة عقلية. الديانة غيبيات، الإيمان إيمان بما يفوق العقل لا بالعقلي.

٤ ـ جميع الأدلة تقنع المسيحيين بصحة كتابهم واستمراره بينهم، وصحة نشأة كنيستهم وقداسة آبائهم. في القرن الماضي نشر Migne الفرنسي المؤلفات المسيحية اليونانية (١٦١ مجلداً ضخماً) واللاتينية (٢٦٢ مجلداً ضخماً). نشر سواه المؤلفات السريانية والعربية والأرمنية والحبشية والجيورجية. لا أعرف عددها. ولم تنشر بعد بتمامها. وتنشر دار نشر فرنسية التراث اليوناني أولاً ثم بعض اللاتيني والسرياني والجيورجي. تجاوز الرقم ٤١٠ والحبل على الجرار. وهذا النشر انتقائي. تنقله عنها المانيا. الكنيسة وتراثها الحي شاهدان حيّان طيلة ١٩٦٠ سنة في العالم كله.

فالتزوير والتحريف مستحيلان. ولم يذكره أي مصدر. وفي المانيا جمهرة من رجال العلم والتدقيق تقوم على طبع العهد الجديد اليوناني والعهد القديم العبراني.

٥ ـ المعمودية تمنح المعتمد نعمة إلهية تجعله ابناً بالتبني لا جوهرياً (غلاطية ٤ : ٤ ـ ٨). يبقى على المعتمد أن يلمع في القداسة لبنال الحياة الأبدية وإلا هلك شرّ الهلاك.

٦ ـ تقوم المسيحية على شخص المسيح كما آمنت به الكنيسة وكتبها. وترفض كل صورة أُخرى له. ظهرت في المسيحية بدع عديدة. شجبناها.

البندان الخامس والعشرون والسادس والعشرون

أ ـ في العهد الجديد الروح القدس هو الشخص الآخر المعني بكلمات يسوع. وعد تلاميذه به وأوصاهم أن لا يبرحوا أورشليم قبل وروده، فصلّوا حتى ورد بعد ١٠ أيام من صعوده.

ب ـ لا وجود بمعجم Bailly للفظة Eudoxos. وهم معجم ضخم جداً.

جـ ـ لا وجود في معاجم العهد الجديد العديدة عندي (ومنها الأكمل والأضخم معجم Baur) للفظة périkleitós. إنما هي موجودة في Bailly. ومعناها مشهور، لامع جداً. ولا وجود فيه وفي معاجم العهد الجديد للفظة التي أوردتَها أنت periglitos.

أما اللفظة الواردة في العهد الجديد فهي peraklitos من فعل perakad ورد النيل ومشتقاته في فهرس العهد الجديد اليوناني حوالي ١٣٥ ـ ١٤٠ مرة. تعني اللفظة: المعزي، المحامي، المدافع، المؤيّد، الشفيع...

هناك لفظة Eudoxos. لم ترد في فهرس العهد الجديد اليوناني ولا في معاجمه. وردت في Bailly. معناها: متمتع بسمعة طيبة، مشهور، شهير، مجيد. وكلمة «باراقليط» تحدي ق وط. وهما حرفان مفقودان في اليونانية والأوروبيات.

بالفرنسية Paraclet. في الإنكليزية ترجمات. في الألمانية مثل الفرنسية. في الروسية ترجمة «المعزي» وكذلك الترجمتان البروتستانتيان الفرنسية والإنكليزية.

البند السابع والعشرون

أ ـ بولس زار بطرس في أورشليم. وذكر في رسالته إلى غلاطية أنه ويعقوب أخو الرب ويوحنا الإنجيلي هم المعتبرون الأركان. وبقي عنده مرة ١٥ يوماً. واتفقا على أن يبشر بطرس اليهود وبولس الأمم. ولما وقع الخلاف في أنطاكيا على تطبيق شريعة موسى مع المسيحيين المتهوّدين القادمين من أورشليم، رُفِعَ الأمر إلى أورشليم فالتقى بطرس وبولس. وكانا مع يعقوب نجوم الجلسة فلفظ يعقوب الحكم بما أنه أسقف المدينة (أعمال ١٥ : ٢٨).

ب ـ اختلف بولس وبطرس في أنطاكيا لأن بطرس كان يعيش عيشاً أممياً لا يهودياً في أنطاكيا أي يعاشر المسيحيين الوثنيّين الأصل ضارباً عرض الحائط بموسى. لما قدِم أفراد من أورشليم صار مرائياً، فوبخه بولس علانية. كان بولس حادّ المزاج جداً متطرفاً في الاستقامة. اختلف مع برنابا من أجل مرقس. ثم طالب تيموثاوس بإحضار مرقس لأنه نافع جداً في عمل البشارة. ومن روما كتب سلوانوس تلميذ بولس رسالة بطرس.

جـ ـ أظن أن «قصة الحضارة» هي مصدر من مصادر معلوماتك. مؤلفها يهودي تلمودي يشتم المسيح وأمه. هل يمكننا أن نحترم إنساناً يشتم المسيح الذي قال لليهود: «من منكم يبكّتني على خطيئة»؟ (يوحنا ٨ : ٤٦).

الكنيسة تعتبر بطرس وبولس هامتي الرسل وتعيّد لهما معاً في ٢٩ حزيران، وتنتسب إليهما معاً كنيستا روما وأنطاكيا. وتنتسب الإسكندرية إلى مرقس تلميذهما. وتذكر الكنيسة أولاً اسم بطرس كما في متى: «أولهم سمعان الذي يقال له بطرس» (١٠ : ٢).

البند الثامن والعشرون

١ ـ رجل ديوارنت (قصة الحضارة) مرفوض لدى المسيحيين لأنه تلمودي حاقد ومؤرخ كاذب. قسطنطين لاتيني خطب في المجمع باللاتينية فتُرجمت خطبته إلى اليونانية.

٢ ـ الأناجيل دخلت الاستعمال المسيحي منذ القرن الأول. كتاب تعليم الرسل (بين ٥٠ ـ ٧٠ للميلاد) يستشهد كثيراً بمتى الإنجيلي ويذكر مرتين المعموديّة باسم الاب والابن والروح القدس. الإزائية اليونانية (١٩٦٧) تضع في أسفلها النصوص التي استشهد بها الكتاب الكنسيون في القرنين ١ و ٢. هناك وثيقة مسمّاة باسم مكتشفها مورتوري تعطي لائحة بأسماء كتب العهد الجديد. يراوح العلماء تاريخها بين ١٧٥ ـ ٢٠٠ للميلاد.

٣ ـ تحت يدي الآن أكبر تاريخ للكنيسة من ٢٠ مجلداً. ليس فيه شيء من ذلك. يأخذ بقول ثيتوذوريتوس الأنطاكي أسقف قورش الذي أخذ به العلامة الفرنسي دوشين: اينستاتوس أسقف أنطاكيا كان رئيس المجمع. لم تطل المناقشة لأن أركان المجمع أرثوذكس: أينستاتوس أنطاكيا، اليكسندروس الاسكندرية، مندوبو روما، هوسيوس قرطبة مستشار قسطنطين، أثناسيوس الإسكندرية.

٤ ـ مؤرخ الأريوسيين يذكر ٢٢ عضواً مناصرين لأريوس.

٥ ـ عدد الأعضاء ٣١٨.

٦ ـ يوسينوس اليهودي كذاب. إنجيل يوحنا واضح. لم يكن لدى يسوع حراس (١٨: ٣٦) لأن مملكته ليست من هذا العالم. ويؤيده متى (٢٦: ٥٢ ـ ٥٤). ولما طالبهم يسوع بالسيوف لم يفهموا كلامه، فألقى نكتته بلفظة تشبه لغتنا العامية بروح سخرية ناعمة: «كفى» (٢٢: ٣٨) لأنهم لم يفقهوا المعنى الرمزي للسيف.

البند الثلاثون

١ ـ إن صدق مؤرخ الأريوسيين لاحقاً فيلوسترغوس كان عددهم ٢٢ من ٣١٨.

٢ ـ أريوس فشل في نيقيا. إلا أن أتباعه ناوروا بعد المجمع فاتهموا أسقفي انطاكيا والإسكندرية (اثناسيوس) بالزنى كذباً. وضاع قسطنطين في خضمّ المعركة وتزلف أمساقيوس وأفساثيوس.

٣ ـ ثم مات قسطنطين فخلفه ابنه قسطنديوس، فكان أريوسيّاً أو نصف أريوسي. لجأ إلى الاضطهاد الوحشي، فأكره أساقفة الدنيا ـ بما فيه البابا ليبيريوس ـ على التوقيع. إنما رفض اثناسيوس الإسكندرية وإيلاريون بواتييه (فرنسا): فشل.

٤ ـ مات، فعقد اثناسيوس مجمع الاسكندرية (٣٦٢)، وتفاهم فيه مع الشرقيين.

٥ ـ خلفه ابن عمه المرتدّ الجاحد يوليوس فهادن الارثوذكس قليلاً ثم اندسّ عليه اليهود. مات فخلفه الأرثوذكسي جوفيانوس لفترة قصيرة

فخلفه والس Kalens الأريوسي المضطهد. خلفه في ٣٧٩ ثيئوذوسيوس الأرثوذكسي. مات فخلفه ولده أحدهما في الشرق أركاديوس (٣٩٥ ـ ٤٠٨) وهونوريوس في روما. مات أركاديوس فخلفه ثيئوذوسيوس الثاني في الشرق (٤٠٨ ـ ٤٥٠) وڤالنتينوس خلف أونوريوس في الغرب. وتزوج هذا من ابنة ثيئوذوسيوس الثاني. وبدأت الاجتياحات الجرمانية المخرِّبة...

٦ ـ انهارت الأريوسية، إنما تقمَّصت لدى الجرمان (الألمان)، فكانوا سرطان الكنيسة. عادوا كاثوليكاً. ولكن شارلمان منهم شقَّ الجرمان عن القسطنطينية. ثم هناك هنري الثاني الذي تسبب في ١٠٢٢ في الخلاف العقائدي بين روما والأرثوذكس فكان انشقاق ١٠٥٤. ثم كان لوثر (١٥١٨) فمزَّق الغرب شرّ ممزِّق حتى أضحت الشيع البروتستانتية لا تُحصى. وبعضها كافر مثل شهود يهوه أم متهوّد مثل السبتيين وهكذا دواليك. وانتهينا في القرنين ١٩ و ٢٠ إلى العقلانيين الألمان الملحدين أو شبه الملحدين وهتلر والحربين العالميتين الأولى والثانية. الألماني شرس في حربه وعلمه وصناعته.

٧ ـ زوجة أركاديوس كانت ابنة قائد الجيش الجرماني الأريوسي. مرمرت الذهبي الفم.

البند الحادي والثلاثون

أ ـ منذ عهد يوحنا الإنجيلي ظهر مبتدعون، بعضهم ينكر اللاهوت، وبعضهم يقول بأن الجسد ظاهري (بدعة الدوكيين وأضرابها). واستمرّ ظهور البدع. في أواسط القرن الثالث ظهر بولس السمسياطي أسقف أنطاكيا. أنكر اللاهوت. انعقدت عليه ثلاثة مجامع فُخلِعَ في العام ٢٦٨.

في كتب التاريخ الكنسي وتاريخ الآداب المسيحية وتاريخ اللاهوت المسيحي عرض لجميع هذه البدع. عرضها يستغرق كتاباً. آباء نيقية صاغوا دستور الإيمان عن علم وعقيدة. وتمّمه مجمع العام ٣٨١. آباء القرن الرابع هم جهابذة الكنيسة في كل زمانٍ ومكان. الأرثوذكس والكاثوليك والسريان والأقباط والأرمن والأحباش والاشوريون والبروتستانت (عدا شهود يهوه ومن إليهم) متفقون على عقيدة الثالوث ونص العهد الجديد. الكنيسة رفضت الأريوسية والنسطورية وجميع الملوك والأباطرة المناصرين للبدع. تاريخ مقاومة الكنيسة لهم حافل. لا يمكن إيجاز المجلدات في سطور. هناك أباطرة عقدوا مجامع بالعنف ففشلت. عقد الأريوسيين عدة مجامع عبثاً.

البند الثاني والثلاثون

١ ـ أفساڤيوس (باللفظ اليوناني) من أنصار أريوس المعتدلين. دخل في المؤامرة على أسقف أنطاكيا واتهامه بالزنى فنُفي. ثم ثبت الكذب. فلا نقدّس كلامه بل نعتبره مؤرخاً استفاض. كان وافساثيوس الآخر من أقوى حضور نيقيا. ثم قلبا رأس قسطنطين.

٢ ـ كتب أفساڤيوس حياة قسطنطين فألّهه. اندسَّ عليه هو وسميُّه أسقف بيروت المنتقل إلى نيقوميذية. كان قسطنطين شخصاً قابلاً للتأثُر. ما دام كان في المجمع ٢٢ مناصراً لأريوس فأين الانحراف؟ قَبْلَ مجمع نيقيا عقد اليكسندروس الاسكندرية مجمعاً خلع أريوس. وعقد أسقف أنطاكيا وترأس مَجمَعين. وانعقدت بعد نيقيا مجامع عديدة أريوسية، ففشلت جميعاً، رغم اجتياح الجرمان في أوروبا وأفريقيا.

٣ ـ ظهر مكدونيوس ينكر ألوهة الروح القدس. شجبه مجمع ٣٨١ الحافل بأعلام المسيحية الخالدين أعظم الآباء. إنما كان باسيليوس قد توفي (٣٧٩) وبقي تعليمه الخالد.

٤ ـ الخلاف حول شخصية قسطنطين كبير جداً. كرّس محامٍ فرنسي ٣٠ سنة لدراسته ففاز بالإيجاب. لا أميل إليه ١٠٠٪ لأنه تقلَّب وخضع لخداع أفساقيوس وأفساقيوس: نُفِي رئيس مجمع نيقيا في ٣٣٠ أي في أيامه.

٥ ـ عمَّده الثاني لا الأول. إنما أدخل تشريعات إصلاحية هامة، وحرب الأرثوذكس ضد ابنه دليل على أن الشعب كان أرثوذكسياً. العلاّمة الكردينال نيومن يقول أن الصراع الأريوسي كان بين الأساقفة، أما الشعب فكان أرثوذكسياً: هو العماد الخالد. الأساقفة تقلبوا كثيراً وخنعوا للضغوط وتراجعوا...

البند الثالث والثلاثون

١ ـ في كتاب لم يظهر بعد أعرض الإيمان المسيحي بالثالوث القدوس وكيف هو بسيط ومطلق وثالوث، وفي كتاب نفد اسمه «يهوه أمْ يسوع» أثبتُّ ألوهة المسيح والثالوث.

٢ ـ في كتابي «سر التدبير الإلهي» عرض للتجسّد الإلهي. الروح القدس إله مثل الاب والابن في الكتابات السابقة لمجمع ٣٨١. باسيليوس الكبير (٣٨١) برغ في ذلك. صديقه غريغوريوس كذلك.

٣ ـ لا يمكن طرح العقيدة المسيحية قبل الإيمان بصحة الإنجيل. لولا الإنجيل لكان كل شيء معقَّداً. متى سلَّمنا بصحة الإنجيل هانت

الأمور. وصحة الإنجيل ثابتة. والباقي لغو. بعد التسليم بصحة الإنجيل يدور النقاش الهادىء حول فهمه على ضوء تعليم الكنيسة عبر العصور. الكنيسة هي صاحبة الإنجيل ومفسِّرته.

٤ ـ لا نقبل أي اعتراض على صحة الإنجيل لا يثبت من تاريخ القرون الأولى. وهذا مستحيل. جوزيف Klausner اليهودي المعتدل اعترف في كتاب «يسوع الناصرة» أن الأناجيل وحدها مصدر لحياة يسوع. كان أستاذ الآداب العبرية في جامعة القدس (جبل الزيتون).

البند الرابع والثلاثون

أ ـ العقلانيون ذهبوا كل مذهب مع شياطينهم. فشلوا واندحروا. ذكرتُ قبلاً أن بيرنار الإنكليزي (١٩٢٨) هو صاحب الرأي الساقط بالنسبة لإنجيل يوحنا.

البند الخامس والثلاثون

١ ـ سبق أن قلتُ إن ويل ديورات دجَّال من أعدى أعداء المسيحية. الثالوث موجود في متى (٢٨ : ٢٠) وتعليم الرسل. وكانت تتم المعمودية باسم الثالوث. وكان المؤمنون يجتمعون حول القربان مؤمنون مع بولس أنه جسد الرب ودمه (كورنثوس الأولى ١١ : ٢٢ ـ ٣٢). وفي القرن الثاني استعمل ثيئوفيلوس أسقف أنطاكية لفظة Trias (ثالوث). فأين كان أفلوطين وهو من رجال القرن ٣.

٢ ـ لا علاقة للمسيحية بأفلوطين. أفلوطين تلميذ بعيد لأفلاطون. الخلاف بينهما وبين المسيحية شاسع. لدينا كتاب اسمه «التريوري» يقول

إننا نأخذ من اليونانية الأدب ونرفض الفكر. وآباء الكنيسة اعتبروا أرسطو أبا البدع. أفلوطين أديب كبير جداً. استاذه أمونيوس سكاس مسيحيّ الأبوين. وكان أوريجنيس المسيحي وأفلوطين تلميذيه النجيبين. وكان الذهبي الفم تلميذ ليبانيوس الوثني: هذان وثنيان. ولكن الذهبي شيخ المفسرين الأرثوذكس ـ الكاثوليك.

سوع للآب والعكس بعمق كبير كما في اللفظة اليونانية واضح في متى ١١ : ٢٧ ويوحنا ٣ : ٣٥ و١٣ : ٣ و ١٧ : ١٠ و ١٦ : ١٥. والمساواة واضحة في يوحنا ٥ : ١٨ و ١٠ : ٣٠ و ١٧ : ١١ وو...

البند السادس والثلاثون

١ ـ إنجيل برنابا مكتوب بالطليانية. كتب الدكتور خليل سعادة مقدمة عن تاريخه. لا أساس له في اليونانية واللاتينية والسريانية. والطليانية لغة حديثة. وليس في تواريخ المسيحية إنجيل اسمه إنجيل برنابا.

٢ ـ اللغة اليونانية هي لغة العهد الجديد ولغة اللاهوت المسيحي حتى ظهر في القرون ١١ ـ ١٣ في الغرب لاهوتيون يكتبون باللاتينية دون أن يعرفوا سوى الترجمات لا الأصل اليوناني. وتأثروا بالفلسفة اليونانية إلى حد ما.

٣ ـ متى ثبت أصل إنجيل برنابا اليوناني كان لكل حادثة حديث.

٤ ـ أخطاء هذا الإنجيل الجغرافية والتاريخية لا تحصى. يقول مثلاً إن يسوع ركب السفينة من القدس إلى الناصرة. تبعد القدس عن يافا (أي البحر) ٦٣ كيلومتراً. وتفصل الناصرة عن حيفا مسافة كبيرة أيضاً تتخللها تلال.

فالكاتب يجهل فلسطين وتاريخها وزمن يسوع وينافي ١٩٦٠ سنة من انبساط المسيحية في العالم. ولم أقف على تصاريح روما لأن الأرثوذكسية لا تقبل إلا اليوناني. ولم يذكر هذا الإنجيلَ العربُ (البند ١٩ أعلاه).

البند السابع والثلاثون

أ ـ أفلاطون يقول بأزلية المادة وأن الخالق صنع الأشياء من المادة الموجودة.

ب ـ أفلوطين تداركه فقال بالإشراق. كيف تكون المادة أزلية إن لم تشرق من الله.

جـ ـ إله أفلاطون مثل. لاهوته لاهوت ماهيات نظرية.

د ـ الفلسفة اليونانية برمتها خالية من مفهوم الشخص الذي أتى به آباء الكنيسة لتفسير عقيدة الثالوث والتجسد.

هـ ـ في كتبي نسف للفلسفة اليونانية. الأرثوذكس رفضوها. اندسَّت على الغرب بنسبة ما بعد انشقاق ١٠٥٤. ولوثر نفسه متأثر جداً بتوما الأكويني الأرسطوي.

و ـ أفلاطون يقول بتناسخ الأرواح وسبق وجودها. وهذا مشجوب في المجمع الخامس المسكوني (٥٥٣). فالكنيسة حاربت الذين تأثروا بأفلاطون وحكمت عليهم.

ز ـ نرفض رفضاً قاطعاً لاهوت أفلاطون وأفلوطين لأنه عقلاني يقوم على تحليل عقلي لا على وجود شخصي. إله المسيحيين ثالوث من الأشخاص. إله أفلاطون وأفلوطين مُثُل لا أشخاص. إلهنا إله حي شخصي لا تحاليل ميتافيزيكية.

حـ ـ أفرخت الفلسفة اليونانية الفلاسفة العرب واليهود (موسى بن ميمون و . . .) والقرون الوسطى الغربية. أصابت العدوى بعض الشرقيين في القرن ١٤ فردّتهم الكنيسة على أعقابهم خاسئين. الأرثوذكسية هي العدو المسيحي المطلق للمساومات. فضّلنا وحشية العثمانيين على مسايرة روما.

ط ـ هرناك الألماني الجبّار جدّد المعركة بنوع آخر: فسّر آباء الكنيسة الكاتبين باليونانية كيفياً. فصنع لنا ديناً نبرأ إلى الله منه. رفضه العالم الأرثوذكسي كلياً. فنحن ورثتهم. نحن على إيمانهم. لذلك هو مرفوض. ليس لدينا شيء من كلامه بل العكس. كتبه كفر لدينا.

ي ـ إنجيل برنابا سبقه في هذا المخطط: أتانا بمسيح نبرأ إلى الله والكون والحجارة منه. إن الحريق مع العهد الجديد الحالي أسهل علينا من قبول إنجيل برنابا. نفضل الحريق والمشنقة عليه.

البند الثامن والثلاثون

١ ـ ستظهر دراسة مفصّلة عن نسب يسوع فى متى ولوقا في ١٩٩٦.

٢ ـ لا يكرّر الإنجيليون بعضهم بعضاً في كل شيء. هم أحرار. لكل مخطّطه في زمانه قبل ١٩٠٠ سنة.

٣ ـ آدم ابن الله في لوقا لا تعني أنه إله. إسرائيل أيضاً هو ابن الله البكر.

٤ ـ عبارة لوقا (٣: ٢٤) تدلّ على أن لائحة نسبه قائمة على ما يبدو للناس ويحسبون. وفي الختام أنا في خدمة محبتك بكل أمانة وإخلاص.

أخوك

الشماس اسبير وجبّور

ملحق

١ ـ دققتُ مراثي ١ : ٩ وحجي ٢ : ٧ في الترجمة السبعينية اليونانية.

في المراثي «المعزي» اسم فاعل يحتاج إلى مفعول به Parahalôn.
في حجي اللفظة اليونانية هي ta ecclectà. معناها «مختارات، منتخبات الأمم».

٢ ـ ويل ديورات يتصرف بلا ضمير. مترجم التلمود إلى العربية (القاهرة ١٩١٧) يشتم في مقدمته الترجمة السبعينية لأن العهد الجديد استشهد منها في معظم الأحيان. فرنسي كاثوليكي أجرى دراسات على لوقا: متأثر جداً بالسبعينية وإنشائها. كذلك كاتب الرسالة إلى العبرانيين.

٣ ـ الترجمة الأميركية عن العبري لا اليوناني وكذلك الترجمات العربية الأُخرى.

٤ ـ كانت الأماكن المقدسة في فلسطين دوماً محجة للمسيحيين. هيلانة أم قسطنطين بنت كنيسة القيامة وكنيسة المهد وسواهما.

٥ ـ رفض الكنيسة وكتبها ـ رغم تحريم المسيح للكذب في الفصل ٨ من يوحنا، وسواه ـ يدفع إلى رفض جميع وثائق العالم. أنتَ تذكر قيامها على دم الشهداء. فهل ماتوا من أجل خرافات وأكاذيب؟ خطاب

استيفانوس (أعمال ٧) واستشهاده أقوى من أي دليل آخر.

٦ ـ أعرف فلسطين منذ ١٩٤٦ و ١٩٤٧ ثم زرتُ الضفة في ٦٥ ـ ٦٦ و ٦٦ ـ ١٩٦٧. الأناجيل تنطبق على جغرافية فلسطين واليهود، وعلى الأخص إنجيل يوحنا كما اعترف حتى رينان في الملحد. حتى لوقا اليوناني الأنطاكي غير الفلسطيني أوضح من متّى اليهودي الفلسطيني في أمر محاكمة يسوع صباحَ الجمعة (متى ٢٧: ١ ـ ٢ ولوقا ٢٢: ٦٦ ـ ٧١). محاكمة الليل لدى متى ولوقا محاكمة موقتة، يجب انعقاد الجلسة في قاعة المجمع الكبير (السنهدرين) في هيكل اورشليم. هذا واضح ١٠٠٪ في لوقا لا في متى. بعد ١٩٢٥ سنة استجواب الرسل مستحيل عن دوافعهم.

٧ ـ كتب إمام عبد الفتاح إمام مقالة في «عالم الفكر» الكويتية في العدد الثالث ـ الرابع (١٩٩٤) عن الفيلسوفة الإسكندرانية هيباتيا. اعتمد على «قصة الحضارة». الوقائع مزوَّرة وترجمة نص المؤرخ الكنسي سقراط وأفكاره مزيَّفة (قصة الحضارة ١٢: ٢٤٧ ـ ٢٤٨، طبعة دار الجيل). فهو الآن تحت يدي. وعداء ديورانت للمسيحية واضح في كل مكان فيمتدح مثلاً المؤرخ الوثني سوزيموس ويقول في مُنَافسيه المسيحيين إنهم أهل «الأوهام والسخافات» (١٢: ٢٥٣). ويمتدح المؤرخ بروكوبيوس كثيراً (١٢: ٢٥٣ ـ ٢٥٤) وهو مؤرخ كذّاب كبير حشا تاريخه من الشتائم على الامبراطورة ثيئوذورا[1] حتى أعيا المؤرخين اليومَ في استخلاص اللبّ من أكاذيبه وحقده عليها. هذا هو ديورانت الذي لا يفتّش في كتابه إلا عن تشويه المسيحية. وحجته الباطنة هي بعدها عن اليهودية، ليتهمها بالوثنية

---

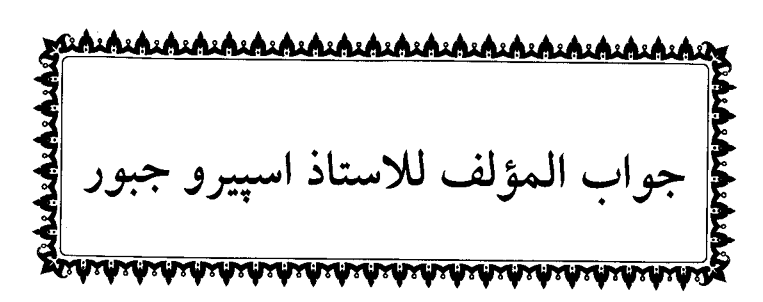
(١) ليست الامبراطورة بدون مآخذ، والارثوذكس لا يتذوقونها. إلا أنها من رجال الدولة العظام. وزوجها امبراطور عظيم لولا تأثيرها المفرط عليه. الحق هو الحق. لعنة على التعصب والهوى. ص ١٢: ٢٥٨ يسمّينا نساطرة: «سوريا النسطورية»؟ ولم يذكر السوريين في بناء كنيسة آجيا صوفيا.

اليونانية. ويجعل فنونها مسروقة وهي روعة الفنون[1].

٨ ـ تستطيع أن تستعير من الأخت زكية حداد كتاب «الآباء الرسوليون» فتقرأ أقدم المصادر المسيحية. واستعر كتابي «يهوه أمْ يسوع؟» واقرأ نصين لترترليانوس (المتوفى ٢٢٠)، وباسيليوس (٣٧٩) القائلين أن مَن لا يؤمن بالثالوث لا يكون مسيحياً. ليس من نسخة تحت يدي. ربما ص ١٧ أو ٣٢ على ما أذكر.

٩ ـ عالمية الإنجيل ـ لا يهوديته ـ واضحة جداً حين مقارنة متى ٨: ١٠ ـ ١٢ ولوقا ١٣: ٢٥ ـ ٣٠ ومتى ٧: ٢١ ـ ٢٢ و ٢٥: ١٠ ـ ١٢. القرابات الواسعة تتخذ في لوقا صفة هجومية في الوجه علناً ويوضحها بولس في علاطية (خاصة ٣: ٦ ـ ١٤ وو. . .) ورومية وسواها.

(١) ويعطي أهمية للرها ونصيبين بدلاً من أنطاكيا ومارسمعان وقلب لوزه.



جواب المؤلف للاستاذ اسپيرو جبور

الأخ العزيز

الأستاذ الشماس اسپيرو جبور ـ المحترم

سلام من الله عليك: وبعد:

تلقَّيت في أوائل هذا العام رسالتيك، مرفقتين بدراسةٍ مكثَّفة، لثمانيةٍ وثلاثين تساؤلاً، كنت قد وضعتها استجلاء للغموض، واستيضاحاً عن الحقيقة. فأخجلني ثناؤك. الذي عبَّر عما يختزنه صدرك من «سموِّ الروح» و«فضيلة الصبر» و «تواضع العلماء». فأنت والحق يقال ـ في تفكيرك وسلوكك ـ تجسد صدق الإيمان وصراحة الحق.

وإن أنس ـ لا أنسى ـ الأستاذ اسپيرو جبور ـ المحامي الذي حمَل هموم النّاس البسطاء ـ وكرس وقته وجهده وصحته، مدافعاً عن الحق الذي يتعرض إلى الاغتيال والضعفاء الذين يقع عليهم ظلم الأقوياء.

ثم:

فصلت بيننا الظروف. فعكفتُ أنا على مهنة المحاماة، بلا انقطاع، أربعين عاماً ونيفاً لا آخذ إلا بمقدار ما أعطي. حريصاً على أن يظل مأكلي حلالاً وملبسي حلالاً وأن أُربي أبنائي على الحلال. وأن أبقى مع الحق ملازماً له على الدوام، ملازمة الظل للشبح.

أما أنت، فقد كنت أجرأ، وأوضح وأشد التزاماً. حيث تفرغت لنوع من الفكر هو أعظم الأفكار، وعلمٍ هو أشرف العلوم. وهل أعظم من التفكير في الله؟ وهل أشرف من العلم الذي تبتغي به معرفة الله؟!

وأخيراً:

فوجئت بمخطوطك.

فلم يعبر في خاطري أن استيضاحاتي سوف تتلقى الإيضاح منك.

لقد كانت، تساؤلات:

حيرات كانت تجثم في رأسي. فوضعتها على الورق ـ ووجهتها إلى من طلب مني كتاب الحقيقة الصعبة في الميزان، ليكتب ردّاً عليه.

وكنت على أمل شبيه باليقين. أن أتلقى من الأجوبة ما يزيح هذا الصَّعب عن كاهلي. ولبثت أنتظر.

حتى جاءتني إيضاحاتك، التي تجدها إلى جانب الاستيضاحات.

لقد قرأتها مرة ومرة ومرة.

فلم تخرجني من حيرتي، بل ظلت التساؤلات المربكة تحتل بوابات الفكر وضفاف القلب. مما حملني على العودة، إلى منابع اللاهوت استخرج من نصوصها وتفاسيرها وما قاله المحللون فيها، ما أستطيع استخراجه.

فكانت هذه الأطروحة ـ بين يديك ـ تعرض نفسها ـ بخجل ـ عليك، راضيةً بل راجيةً منك أن تقوم بكتابة تعليق، تصحح ما فيها من خطأ التعبير وشطط التفكير. فصاحِبُها يعرض ولا يفرض ـ ويستخرج الأحكام ولا يحكم.

فالحكم لله ﴿**يقصّ الحق وهو خير الفاصلين**﴾ (الأنعام: ٦/ ٥٧).

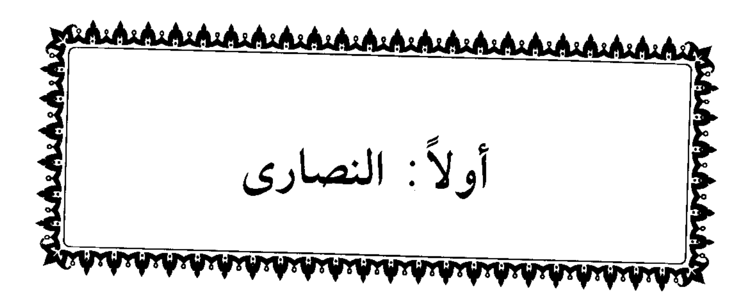
هذا:

ولا بد لي قبل طي هذا الكتاب، من تقديم صادق اعتذاري، عمَّا تجده اختلافاً بيننا في تفسير النصوص. فالحياد في العلم مذموم. والصراحة في الفكر هي خير ما ينبغي أن يتحلى به المفكر.

تقبل، تحياتي وتقديري.

وتمنياتي لك بعمر مديد وقلبٍ سعيد.

أحمد عمران



أولاً: النصارى

جاء في البند «أولاً» من مذكرتك. قولك:

«لم ترد كلمة (نصرانية) أو (نصارى) في كتب المسيحيين. وفي أعمال الرسل: إن التلاميذ دُعُوا (مسيحيين) في أنطاكية ـ ١١/٢٦»...

وبعد أن عدت إلى الآية ٢٦ وما تلاها من رسالة الأعمال تبين لي وجود بعض التزيُّد والتصرف في تفسيرك مما دعاني إلى استعادة قراءة النصوص واستقصاء ما تعنيه:

١ ـ «ثم خرج برنابا يطلب شاول، ولما وجده جاء به إلى أنطاكية، فحدث أنهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة وعلَّما جمعاً غفيراً ودُعي **التلاميذ** مسيحيين في أنطاكية، أولاً ـ أعمال ـ ١١/٢٦ ـ ٢٧».

«فهاتان الآيتان من أعمال الرسل تدلان على:

ـ أن لقب المسيحيين لم يطلق إلا على التلاميذ.

ـ وقد أطلق عليهم لأول مرة في أنطاكية.

ـ أما الجمع الغفير المذكور فلم يطلق عليه ذلك اللقب.

هذا التحديد الحصري يثير التساؤل:

ـ ماذا كان يدعى التلاميذ قبل أنطاكية.

ـ وأولئك الذين تقبلوا الدعوة قبل وبعد أنطاكية ماذا كانوا يسمون؟

٢ ـ قال الأستاذ الحداد في كتابه: «القرآن دعوة نصرانية» ـ ص ٤٥ ـ منشورات المكتبة البولسية.

«طالما بقيت الدعوة محصورة في فلسطين كانوا يسمون نصارى فلما انتشرت في سوريا أخذ الناس يسمونهم «المسيحيين».

٣ ـ جاء في أعمال الرسل ٢٤/ ٥:

«ولما جيء ببولس إلى الوالي: وقف حنانيا رئيس الكهنة مع الشيوخ، وخطيب اسمه «ترتلس» وقال «ترتلس» باسمهم جميعهم: لئلا أعوقك التمس أن تسمعنا بالاختصار بحكمك. فإننا إذ وجدنا هذا الرجل مفسداً ومهيِّج فتنة بين جميع اليهود الذين في المسكونة و«مقدام شيعة الناصريين»[١].

فهاتان الفقرتان (١ ـ ٢) تشيران إلى تسمية اتباع يسوع بالمسيحيين، وهي تسمية طارئة وضعت في أنطاكية لأول مرة. وكانوا من قبل يبشرون تحت الناموس، ويسمون «أتباع يسوع الناصري ـ ١٩/١١ ـ ٣٠)».

٤ ـ وفي اللغة العربية:

النصارى: من فعل نصر، أي أعان المظلوم.

والأنصار: أنصار النبي غلبت عليهم هذه الصفة فجرت مجرى الأسماء، وصارت تقبل الإضافة، «أنصاريّ».

نَصَرى، ونَصْرى، وناصرة، ونصورية هي قرية في الشام والنصارى ينتسبون إليها وقال سيبويه، نصارى هي جمع نصري ونصران مثل ندمان

(١) جاء في تفسير العهد الجديد: «ان الناصريين كان الاسم الذي أطلقه اليهود على أتباع يسوع».

ندامى، ويستعمل مع ياء النسبة فيقال: رجلٌ نصراني وامرأة نصرانية.

والتنصُّر: هو الدخول في النصرانية.

والأنصر: هو الأقلف ـ لأن النصارى قُلفٌ: وفي الحديث «لا يؤمَّنَّكم أنصر» ـ أي أقلف.

٥ ـ في متى: ٢/٣ ـ: «أتى وسكن في مدينةٍ يقال لها «ناصرة» لكي يتم ما قيل بالأنبياء، «إنه سيدعى ناصرياً».

٦ ـ خاطب القرآن أتباع المسيح كافة باسم النصارى حيث ورد هذا التعبير في القرآن للدلالة عليهم دون تفريق بين طوائفهم وذلك لوجود الجوامع العقائدية التي يلتفون من حولها، ولا يختلفون عليها وهي: أن:

ـ المسيح هو ابن الله.

ـ المسيح هو والله جوهر واحد ـ أي ـ هو الله.

ـ المسيح، صلب جسدياً، صلباً مادياً حقيقياً، فداءً عن خطيئة الجنس البشري التي حملها بالميراث والتسلسل عن الخاطئين الأصليين آدم وحواء.

وقد ورد تعبير «النصارى» في سبع آيات من سورة البقرة في خمس من سورة المائدة وفي واحدة من كل من سورتي التوبة والحج.

كما وردت «كلمة نصراني» في الآية ٦٧ ـ من آل عمران للدلالة على الانتساب إلى سيد النصارى المسيح بن مريم عليه السلام.

﴿ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً. . . ﴾

وفي هذا الخطاب يختفي في المنطق القرآني، كل تفريق بين الطوائف المسيحية من حيث العقيدة، ويبدو جلياً فيه، أن الخطاب والحوار العقائديين حددا نواحي الخلاف، القائم، بين الإسلام الذي يَدينُ

بالتوحيد ويؤمن بأحقية الثواب والعقاب، ولا يفرق بين الأنبياء، وبين من يشرك بالله، سواءٌ عن طريق تثليث الذات الإلهية، أو ادعاء البنوّة من الله، أو الإيمان ببعض الأنبياء دون بعض.

٧ ـ جاء في تفسير العهد الجديد ـ ط ـ ٢ بعام ١٩٨٧: «إن اسم المسيحيين لم يرد إلا في موضعين آخرين من الكتب المقدسة. وكان من قبل للتلاميذ من غيرهم لا من أنفسهم ويستبعد أن يعطيهم اليهود اسماً ناشئاً من اسم المسيح.

فالأولى: كانت في انطاكية عندما صار المؤمنون جمهوراً غفيراً يحتاجون الى اسم يميزهم عن سواهم ثم اتخذه المسيحيون بعد ذلك لأنفسهم وافتخروا به»

ثانياً: ورقة بن نوفل

قلت في البند «أولاً» (٢) من مذكرتك.

«القس ورقة بن نوفل هو ابن عم خديجة كان نصرانياً، أي لم يكن على «اليعقوبية أو الأرثوذكسية أو النسطورية».

ـ هذه المقولة، كان «أبو موسى الحريري» قد رفع صوته بها في عدة كتب من سلسلة الحقيقة الصعبة.

ـ من الثابت أن القرآن أطلق اسم «النصارى» على الفئات التي تعتقد بأن المسيح هو ابن الله، وبأنه ثالث ثلاثة، وبأنه لم يكن مخلوقاً ولا عبداً لله.

﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا. لقد جئتم شيئاً إدًّا، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا، أن دعوا للرحمن ولدا، وما

ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا، إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا، لقد أحصاهم وعدَّهم عدّا، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾ (مريم: ٨٨ ـ ٨٩ ـ ٩٠ ـ ٩١ ـ ٩٢ ـ ٩٣ ـ ٩٤ ـ ٩٥).

﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم**﴾ (المائدة: ٧٣).

﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة**﴾ (المائدة: ٧٢).

هنا تقوم التساؤلات التالية:

١ ـ ما هو المرجع الذي اعتمدت عليه قسوسيّة ورقة؟ أسفاراً تاريخية؟ أو أحافير أو آثاراً؟

٢ ـ لقد كان أبو موسى الحريري، قال من قبل:

«قيل عن ورقة بن نوفل إنه كان قساً والقس هو رئيس النصارى».

ولكنه لم يورد اسم القائل. فبقي كلامه مرسلاً ـ ماضياً مبنيّاً على المجهول.

وإذا كان ورقة، قسّيساً، رئيساً للنصارى، فأين كانت الكنيسة التي مارس فيها الخدمة الدينية؟

المعلوم:

ـ أن الهيكل يشكل القسم الثالث من المعبد المفصول عن قسم الوسط بحاجزٍ يسمى «أيقو نسطاسيا» أوجده الرسول بولس، منذ أول كنيسة أنشأها.

ـ وأن الخدمة الإلهية ليست استحباباً من الكاهن ولا كلاماً مرسلاً بل هي صلوات وممارسات روحية بأوقاتها، ومواعيدها، مثل الاجتماع الاسبوعي كل يوم أحد، والصلاة والقداس الواجبين في كل اجتماع، وصلوات الأعياد وقراءة الكتاب وتفسيره والمواعظ الأسبوعية والترتيل

الذي يشترك الشعب فيه وراء الكاهن. وهو طقسٌ كنسي استبدل في القرن الرابع بجوقة المرتلين.

كيف كانت قسوسية ورقة؟ أين كان يقوم بالخدمة الدينية؟ ومتى؟ أين كانت الكنيسة؟ وأين كان الهيكل؟

٣ ـ جاء في الأغاني: أن من بين الذين اعتزلوا الأوثان أربعة هم:

ورقة بن نوفل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث، وزيد بن عمرو بن نفيل.

فعبيد الله بن جحش مات في الحبشة نصرانياً.

وعثمان بن الحويرث مات في بلاد الروم وقد كانت له رتبة البطريق ـ بترك..

وقد أيد الأغاني في ذلك: كل من «اليعقوبي في تاريخه» و«ابن سعد في طبقاته» حيث جاء في الطبقات:

«وكان ورقة بن نوفل رابع أربعة تركوا الأوثان وما يذبح على النُّصُب وهم عبيد الله بن جحش بن أميمة بنت عبد المطلب وقد مات نصرانياً في بلاد الحبشة تاركاً امرأته «أم حبيبة» التي تزوجها الرسول من بعده. وعثمان بن الحويرث ابن عم ورقة وخديجة تزوَّج بأرض الروم وحسنت منزلته عند القيصر، ويقال له البطريق، لا عَقِبَ له. مات في الشام مسموماً. وزيد بن عمرو بن نفيل ـ وهو ابن أخي الخطاب ـ اشتهر عنه أنه نهى عن قتل الموؤدة وقال عنه النبي: «إنه يُبعث أمَّةً وحده».

٤ ـ تلك المراجع، بالإضافة إلى «السيرة المكية» و «سيرة ابن هشام» تحدثت عن الأسماء الأربعة بما ذكرناه وتوسعت في تاريخها.

غير أن أياً منها لم يذكر:

ـ أن ورقة كان قسيساً بالمعنى الكهنوتي.

ـ أو أنه كان يمارس طقوساً كنسية.

ـ أو كانت له كنيسة تستقبل فروضه وخدمته الدينية.

٥ ـ وفي تاريخ الكنيسة[١]:

«إن الكنيسة درجات دائمة تمركزت في خدمة الرسل الخارقة منذ ظهور الكنيسة. فالرسل الذين انحصرت فيهم سلطة الرئاسة بتمامها، مَنَحُوا هذه السلطات، بمقادير معينة إلى أشخاص منتخبين من بين المؤمنين حسب الأحوال واحتياج الكنيسة. وقد ظهرت هذه الدرجات الرئاسية في كنيسة المسيح ـ ابتداءً من الدرجات الأولى أي من «الشمامسة» الذين تنتخبهم جماعة المؤمنين، ثم تليها في الدرجة الرئاسية الثانية «وهي القسوسية» فالقس ينتخب من قبل أعضاء الإكليروس، والمؤمنين من الشعب (العلمانيين). وذلك من أجل إدارة أعمال الجمعية المسيحية ولإتمام الخدمة الإلهية. وينتخب القسس من بين الأشخاص اللائقين كما تدل تسميتهم (قسس ـ أي شيوخ) ومتقدمون في السن. وهكذا فعل بولس الرسول في رحلته الأولى فأقام قسوساً في بعض الكنائس التي أسسها[٢].

وكان الرسل هم الذين يكرسون القسس أو الشمامسة للخدمة المعينة وذلك بوضع اليد على رؤوسهم ومنحهم حقوقاً رئاسية عظيمة، وتفويضاً رسمياً. أما الأسقفية فهي الدرجة الرئاسية العليا، لسيامة القسس

---

(١) ص ـ ١٣٠ ـ ١٣١ ـ ١٣٢ ـ من تاريخ الكنيسة المسيحية، مترجم عن الروسية بعام ١٩٦٤.

(٢) وردت كلمة «المشايخ في اعمال ١١/ ٣٠» وظيفة الشيخ أو القسيس وخلق الكنيسة المسيحية في المجمّع اليهودي وكانت تشتمل على واجبات التعليم والسياسة الكنسية. لهذا السبب يدعى المشايخ «أساقفة» أو: «نظّاراً».

والشمامسة والرقابة على الكنيسة». وبعد انتشار المسيحية تشكلت مناطق مركزية حيث سُمِّيَ المجتمع في المدينة «باريكية» ثم أطلق عليه فيما بعد اسم «أبرشية».

ومن أجل إتمام الخدمة يقوم الأسقف بتقسيم الرعية التابعة له إلى جماعات يعين عليها قسوساً وشمامسة، ويطلق على كل كنيسة فيها قس «كاتدرا» وبدونها لا يمكن أن تكون كنيسة[١].

تلك الإجراءات مبنية على القانون الديني الكنسي وهو: «مجموعة قوانين الرسل الخمسة والثمانين التي اعتبرت أساساً للقوانين الكنسية في المسكونة منذ بدء القرن الثالث[٢]».

أي:

إن هذه الإجراءات هي التي كانت سائدة على أي مسيحي في زمن ورقة بن نوفل. وعلى ضوئها تقوم الأسئلة التالية:

- من انتخب ورقة بن نوفل قساً على كاتدرائية مكة؟
- هل قام دليل في الكتب أو الأحافير على أن مكة كانت كاتدرائية؟
- من بارك ورقة ووضع يده على رأسه ومنحه الحقوق القسوسية؟
- ما هي الخدمات الإلهية التي كان يؤديها؟ وأين؟
- هل كان يقوم بالوعظ والإرشاد والقربان والصلاة، ويجتمع مع المؤمنين أيام الآحاد وفي مواعيد ومياقيت الواجبات المفروضة[٣].

---

(١) ص ١٣٤ ـ ١٣٩ ـ من تاريخ الكنيسة.

(٢) ص ـ ١٤٦ ـ من تاريخ الكنيسة.

(٣) لقد اقتبسنا هذه النبذة من كتابنا «الحقيقة الصعبة في الميزان» الذي حاورنا فيه أبا موسى الحريري في كتابه «قس ونبي».

بعد هذه النبذة.

لن ننتقل إلى سواها، قبل تقديم اعتذار مبرر عن الإسهاب فيها.

وهو أن سبب التوسع، يعود إلى ما للأهمية التي يلقيها بعض الكتاب والمؤلفين على ورقة بن نوفل. فهم ما فتئوا يردِّدون:

- إن ورقة بن نوفل هو قس الجزيرة العربية.

- إن ورقة بن نوفل هو الأستاذ المعلم للنبي محمد.

- إن ورقة بن نوفل هو واضع القرآن، ترجمةً عن التوراة والإنجيل من أصلهما العبراني.

في حين أن التاريخ يتحدث عنه بوضوح فيقول:

- مات في السنة الرابعة من البعث الإسلامي (السيرة الحلبية - ١/ ٢٧٤).

- مات في الفترة ودفن بالحجون. (السيرة الحلبية - ١/ ٢٧٣).

والفترة: هي المدة المنقضية ما بين ارتفاع المسيح وظهور محمد.

والحجون: هو مدفن الحنفاء - يقوم على جبلٍ، بأعلى مكة. وقد دُفن فيه قصي ملك العرب.

- مات ورقة عن عمر يتجاوز المئة عام وكان في أواخر حياته أصم أعمى (السيرة الحلبية - ١/ ٢٧٤).

أي:

إن فترة حياته في زمن الرسالة - بحسب المصادر التاريخية - كانت تترنَّح تحت وطأة الصمم والعمى؛ فكلمة «سنوات» تفيد جمع القلة (ما بين ٣ - ٧).

ومن المعلوم أن القرآن توالى نزوله ثلاثة وعشرين عاماً ـ ملبياً المناسبات العقائدية والتعبدية والتنظيمية التي تطرأ في الحياة. دون أن يتغير نظمه أو يخف وزنه أو يدركه الضعف في التدبير أو التقدير.

ثالثاً: المقارنات

جاء في البند الرابع من مذكرتك:

«المقارنات بين الأناجيل لا تصح ١٠٠٪ إلا في الإزائية اليونانية».

هذا النفي والإثبات الشديدين يحرك عامل الاستنكار سيراً مع الوقائع الآتية:

ما دام أن رواة الأناجيل الأربعة هم ممَّن امتلأوا بالروح القدس. فإن الاختلافات القائمة بين رواياتهم حول الأمور الجوهرية، ليست مما يمكن العبور من جانبها دون الوقوف عندها والاندهاش منها. مثل:

١ ـ جاء تعداد الآباء البشريين للمسيح في إنجيلي متى ولوقا، بأعداد مختلفة وأسماءٍ متغايرة.

ـ ففي لوقا ـ ٣/ ٢٣ ـ ٢٨ عدَّد الآباء من يوسف بن هالي حتى آدم فبلغ العدد ٧٨ اسماً دون إيراد «الله»، الأب السماوي لآدم.

ـ وفي متى بلغ العدد ٤٢ اسماً من يوسف حتى ابراهيم (١/ ١ ـ ١٧).

ـ في حين أن الأسماء في لوقا حتى إبراهيم بلغت ٥٨ اسماً.

٢ ـ يضاف إلى اختلاف العدد، هو التغاير الكامل في جميع الأسماء بين الإنجيلين حتى لكأن كلاً منهما يروي نسب مسيح يختلف عن المسيح الذي يرويه الآخر.

٣ ـ جاء في يوحنا أن عشاء المسيح الأخير مع الحواريين تم «قبل عيد الفصح» وجاء في الأناجيل الثلاثة أنه تم «أثناء يوم عيد الفصح نفسه».

وهذا العيد الذي تم فيه العشاء الأخير، وحصل فيه وداع المعلم لتلاميذه له الأهمية القصوى في العقيدة المسيحية والطقوس الكنسيّة. مما يصعب معه التصور بأن التراث العظيم الذي نقله المبشرون الأول قد نسِيَ وقائع وتاريخ العشاء الأخير مع الرب.

٤ ـ والعشاء الأخير، وآلام المسيح، يحتلان لدى «يوحنا» أكثر من مثلي ما يحتلانه عند «مرقس ولوقا» وأكثر من مثل ونصف المثل عما لدى «متى».

٥ ـ وخطبة الجبل التي أعطى المسيح فيها أعظم وآخر وأطول إرشاداته ومواعظه، واحتوت على وصيَّته الروحية التي ألقاها على عاتق تلاميذه لينقلوها إلى أبناء آدم فوق كل أرض وتحت كل سماء.

تلك الوصية، احتلت في إنجيل يوحنا أربعة إصحاحات من ١٣ - ١٦ على مدى مئةٍ وخمسٍ وخمسين آية، في حين أنها وردت في إنجيل متى بمئة آيةٍ تقريباً ضمن الإصحاحين ٢٤ و ٢٥ وتخللتها الأخبار والتنبؤات. ولم تستغرق في إنجيل مرقس غير عشرين آية من الإصحاح ١٣ تخللتها أخبار وتنبؤات وأغفلت نهائياً في إنجيل لوقا.

٦ ـ وإنجيل يوحنا لا يشير بأية إشارة إلى تأسيس القربان المقدس أثناء العشاء الأخير مع التلاميذ. في حين أنه ليس من مسيحي أو مفكر ـ لا يعرف الكثير أو القليل عن أيقونة «العشاء الأخير» حيث يجلس المسيح بين تلاميذه وللمرة الأخيرة. ومن الملفت للنظر:

أن يوحنا الذي ينسب إليه الإنجيل الرابع كان يجلس بجانب

المسيح، أثناء تأسيس القربان، وكان يستند إلى صدره. ففي ذلك الاجتماع تمَّ تقديس الخبز والخمر اللذين حولهما المسيح إلى جسده ودمه ـ واللذين سيصبحان على مدى الدهور جسد المسيح ودمه ـ يتناولهما كل مسيحي مع تناول الطقوس العبادية.

فكيف: تحدثت الأناجيل الثلاثة عن تأسيس القربان، وخاصة «لوقا ومرقس» اَللذين لم يكونا حاضرين فيه؟ وأغفله يوحنا، الحبيب الحاضر المستند على صدر المسيح؟

٧ ـ تحدث الأب روجي في كتابه «مقدمة إلى الإنجيل ـ ص ١٨٢ ـ» فقال «إن قائمة النساء الآتيات إلى القبر لا تتطابق مع جميع الأناجيل».

أ ـ ففي إنجيل يوحنا: كانت مريم المجدلية وحدها.

ب ـ وفي إنجيل متى: الملاك هو الذي أعلن للنساء أنهن سَيَرين المسيح بالجليل ولكن المسيح يقابلهن على مقربة من القبر بعد لحظة.

جـ ـ وفي إنجيل لوقا: الملاك يقول: «تذكرون كيف تحدث إليكن عندما كان بالجليل».

٨ ـ «لوقا» لا يشير إلى ظهور المسيح ثلاث مرات بعد القيامة.

«يوحنا» يقول: ظهر مرتين بمجمع بيت المقدس على ثمانية أيام وظهر بالقرب من البحيرة في المرة الثالثة.

«متى» يتحدث عن ظهوره مرة واحدة في الجليل.

«مرقس» يتحدث عن ظهوره لمريم المجدلية أولاً، ثم ظهر لاثنين ممن كانوا معه، فيما كانا يمشيان منطلقين إلى البرية. ثم ظهر أخيراً للأحد عشر وهم متكئون.

٩ ـ أما صعود المسيح:

أ ـ فإن يوحنا ومتى لا يشيران إليه وهما من جملة الأحد عشر الذين شاهدوا ظهوره للمرة الأخيرة. وسمعوا كلامه الأخير.

هذه الواقعة التي قال عنها كل من مرقس ولوقا:

«ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله ـ ١٦/ ١٩ ـ مرقس.

«وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأُصعِدَ إلى السماء ـ ٢٤/ ٥١ ـ لوقا.

هي من الوقائع التي يقوم عليها جوهر العقيدة في المسيح، الذي قام من بين الأموات وارتفع جهاراً إلى السماء.

لذلك لا يمكن، ردُّ، إغفالها كليّاً في إنجيلي الرسولين الحاضرين متى ويوحنا، وسردها في إنجيلي مرقس ولوقا، الغائبين عنها.

نقول:

لا يمكن ردّ الإغفال، إلى السهو، أو الإهمال. فكلاهما غير معقول ولا مقبول.

ولا بد من انتظار ورود سبب معقول.

ب ـ أما في أعمال الرسل المنسوبة إلى لوقا، فقد جاء عن ظهور المسيح بعد القيامة ما يلي:

«أظهر نفسه بعد القيامة للرسل أربعين يوماً وهو يتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله، ثم ارتفع وهم ينظرون وأخذته سحابة عن أعينهم.

وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق إذا رجلان وقَفَا بهم بلباسٍ أبيض وقالا: أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماءً. إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء. (الأعمال ١/ ١٢).

تلك النقاط التسع، التي احتوتها هذه العجالة، والتي هي بعض ما تضمنته الأناجيل والأعمال. بلغت في بعضها إلى حد التناقض.

ففي الوقت الذي يمنع فيه الاعتقاد بوجود وضعين أو سَرْدَيْن لحادثة واحدة تتعلق بشخص المعلم، لا يستطيع القارىء أن يمسح من نفسه سحابة القلق وهو يقرأ التناقض والتغاير والزيادة أو النقص في حادثة واحدة عند اثنين أو أكثر ممن امتلأوا بروح القدس وكانوا شهوداً معاينين لها.

ويتعمق القلق، حينما يجد أن اثنين من كبار التلامذة وأحبهما إلى المسيح، صاحبي الإنجيلين متى ويوحنا، يغفلان نهائياً ذكر «تأسيس القربان» ولا يتحدثان من قريب أو بعيد عن ارتفاع المسيح إلى السماء.

ومن المفيد أن نشير إلى ما جاء في مؤلفات مدرسة الكتاب المقدس في القدس (الأب نوا والأب بوامار) التي أكدت أن الأناجيل كتبت ونقّحت وصححت أكثر من مرة.

أما التحذير الموجه إلى قارىء تلك الاختلافات فلن يكون فعالاً، إذ سوف يمارس ثقافته بحرية فكرية تامة، ويكون قناعته دون انتظار انتشار الإزائية. «فالإزائية» لا تعدو أن تكون اجتهاداً من واضعها، يحاول فيها لملمة الاضطراب والخلخلة وعدم التلاقي في الروايات.

ولا عبرة، لما يردده جماعة المؤمنين الطيبين، من أن الإلهام الإلهي هو الذي كان ينطق بألسنة كتّاب الأناجيل.

ـ فمجمع نيقية لم يكن من المؤمنين بهذا الإلهام حينما رفض «رسالة بولس إلى العبرانيين» و «رسالة بطرس الثانية» و «رسالتي يوحنا الثانية والثالثة» و «رسالة يعقوب» و «رسالة يهوذا» و «رؤيا يوحنا التي تسمى

الكتاب النبوي».

ولم يحكم بصحة هذه الكتب إلا في مجمع لوديسيا بعام ٣٦٤م.

ـ إن السند المتسلسل للأناجيل مقطوع.

ففي عام ٣٠٣م أصدر أحد أباطرة الروم أمراً بهدم الكنائس وإحراق الكتب، وتعذيب المسيحيين، فنفذ الأمر على نطاق واسع، واستمرّ حتى أواسط الربع الأول من القرن الرابع أي إلى أن نشر الإمبراطور قسطنطين الكبير حمايته على المسيحية وبدأت مسيرة الاطمئنان العقائدي في ظل القوانين.

أما ما قبل عام ٣٢٥م وهو عام انعقاد مجمع نيقية، فإن تلك الكتب ـ بما فيها الأناجيل الأربعة ـ لم تكن معروفة على نطاق واسع ـ ولم تكن حجة مطلقة لدى جميع المسيحيين ـ بل دخلت إلى موائد الحوار والمناقشة مع مئات الرسائل والأناجيل والكتابات التي طرحت على أساقفة مجمع نيقية. حيث اعتمدت رسمياً لأول مرة واستبعد ما سواها رسمياً لأول مرة.

ـ إن المسؤولين الكنسيين يقللون بشكل «مبالغ فيه» الفترة الزمنية الواقعة بين نهاية رسالة المسيح التي مارسها قولاً وعملاً حتى ارتفع إلى السماء، وبين ظهور النصوص العقائدية بدءاً من رسائل بولس.

وذلك لفرض القناعة على الناس بأن هذه النصوص ذات صيغة معنوية واحدة اعتمدت جميعها على تراث شفهي غير مختلف عليه، وثيق الصلة وقريبها جداً من المعلم، دون تزيُّدٍ أو اجتهاد من المؤلفين.

غير أن المحققين توصلوا إلى أن تلك النصوص أصابتها تعديلات كثيرة ويتحدثون عن مصاعب التفسير. والتناقضات البينة التي تقفز إلى

عيني القارىء المتأمل بمجرد عكوفه على المقارنة واتخاذه وضع الدارس المدقق.

تلك المصاعب ما فتىء الآخرون يحاولون تخفيفها أو إخفاءها أو تمييعها بحجج مديحية بارعة.

رابعاً: اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها

هذه العبارة وجهها السيد المسيح للأحد عشر وهم متكئون (مرقس ١٦/ ١٤ ـ ١٥)، أما في متى فقد وردت بالصيغة التالية:

«تقدم يسوع من الأحد عشر تلميذاً وكلمهم قائلاً: دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم» (١٨/٢٨ - ١٩).

ووردت في إنجيل لوقا (٩/ ١ ـ ٢):

«ودعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم قوة وسلطاناً على جميع الشياطين وشفاء المرضى وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى».

وفي إنجيل مرقس (٣/ ١٤) وردت:

«وأقام اثني عشر ليكونوا معه وليرسلهم ليكرزوا».

المتمعن في هذه النصوص الإنجيلية تتحصل لديه الثوابت الآتية:

أ ـ أقام المسيح اثني عشر تلميذاً ليكونوا معه وليكرزوا بين جميع الأمم من بعده. وبعد خيانة يهوذا وسقوطه. صار يشار إلى عدد التلاميذ بأحد عشر.

ب ـ إن أوامر المسيح بالكرازة توجهت بشكل شخصي محدد إلى التلاميذ الأحد عشر الذين كانوا معه يوم ارتفاعه إلى السماء.

حـ ـ يتبين من تعداد أسماء التلاميذ في الإصحاح ٣ من إنجيل مرقس أن مرقس ولوقا لم يكونا في عدادهم.

د ـ الكرازة هي بالإنجيل (مرقس ١٦/ ١٤ ـ ١٥) ومتى ولوقا.

إذن:

ما دام الأمر كذلك:

فلماذا لم يقم التلاميذ التسعة بالكرازة؟

ولماذا لم يدونوا ما سمعوه وما شاهدوه من المعلم؟

وإن كانوا قد فعلوا، قولاً أو عملاً فأين ذهب ذلك؟

ولماذا قام «مرقس» و «لوقا» بالكرازة ووضع الإنجيل وهما لم يكونا ممن شملهم تكليف المعلم[1]؟

خامساً: أسماء التلامذة:

قلت في البند الخامس من مذكرتك (فقرة ٣):

«من عادة اليهود أن يحمل المرء أحياناً اسمين، أو لقباً: «سمعان بطرس»، «متى ـ لاوي»، «يهوذا ـ تداوس». «شاول ـ بولس»، «يوسف ـ برساباس ـ يوستوس»، «يوحنّا ـ مرقس»، «يوحنا وأخوه يعقوب ـ ابنا الرعد».

---

(١) إن كان من المقطوع به أن التسعة، نفذوا أوامر المعلم، فكرزوا في غير البلدان التي كرز فيها، متى ويوحنا، فبأي إنجيل، كرزوا؟ وأي الأناجيل التي كرزوا بها؟

وقد اعتمدت في هذا على ما جاء بالآية ٢٣ من الإصحاح الأول من أعمال الرسل. غير أني بعد التدقيق ـ رأيت ما يلي:

أ ـ إن الآية ٢٣ من الإصحاح الأول من الأعمال لم تتحدث عن عادة ثنائية الاسم عند اليهود بل اقتصرت على: «يوسف الذي يدعى برسابا الملقب بوستوس».

ب ـ في إنجيل مرقس ١٦/٣ ـ ١٩:

ينسب تغيير الأسماء اليهودية التي كان يحملها التلاميذ إلى المسيح حيث جاء فيها:

«وجعل لسمعان اسم بطرس ـ ويعقوب بن زبدى ويوحنا أخا يعقوب اسم «بوانجرس ـ أي ابني الرعد» و«اندراوس و فيليبس و برثولماوس» ومتى، وتوما ويعقوب بن حلفى. وتدّاوس، وسمعان القانوني، ويهوذا الأسخريوطي الذي أسلمه، فالمسيح هو من أعطى الأسماء المسيحية للتلاميذ.

سادساً: لغة الإنجيل:

قلتَ في البند الخامس من مذكرتك فقرة ـ ٦ ـ:

«المسيح تكلم بالآرامية لغة الهلال الخصيب، التي كانت اليونانية قد زحمتها ثقافياً وبعد الإسكندر حلت سوريا محل أثينا في الآداب والعلوم والفنون (القرن الثاني قبل الميلاد)».

وقلت في الفقرة ٧ ـ من ذات البند الخامس.

«إنجيل متى الآرامي غير موجود، لأن اليوناني حل محله سريعاً».

وقلت في الفقرة ٨ منه:

«كل العهد الجديد يوناني».

وقد كنتُ في مذكرتي بالفقرة ٧ تساءلت:

عن أقدم الأناجيل، وأقدم اللغات التي دُوِّنت بها والمراجع المعتمدة.

لذلك: وبما أن جوابك اقتصر على ما ذكرت، وبما أنه لم يلبِّ طلبي.

وجدت أن الاعتماد على النفس، قد يكون أكثر إقناعاً وإمتاعاً.

فعدت إلى بعض المراجع التي أسعفتني بالمعلومات التالية:

١ ـ في الصفحة ٤٤ من المجلد الأول من تاريخ ابن البطريق: «إن بطرس هو الذي كتب إنجيل مرقس بالرومية ونسبه إلى مرقس».

٢ ـ في الصفحة ٨٧٢ من معجم اللاهوت الكتابي:

«كان بعد السيد المسيح إنجيل شفاهي ينقل على الألسن، وبعد مدة طويلة دُوِّنت الأناجيل»(١).

وقال المفسر الإنجيلي الكبير «هورن» حول الأناجيل:

«إن الحالات التي وصلت إلينا في باب زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة منقطعة وغير معيَّنة لا توصلنا إلى أمرٍ معين، وهذه الروايات وصلت من كاتب إلى آخر، وتعذر نقدها بعد انتهاء هذه المدة.» (جزء ٤ من تفسيره ط ـ ١٨٢٢ كما نقل عنه صاحب كتاب إظهار الحق ج١ ـ ٥٤).

وقال:

---

(١) لم تدون بلغة المسيح، بل باللغات الأجنبية عن المنطقة.

«كتب تولستوي وهو من كبار المؤلفين الأرثوذكس:

«ليعلم قارئو كتابي هذا أن أصل التعليم المسيحي مقدس إلا أن هذه الكتابات الرائجة ليست من تعاليم المسيح (ص ٦٠ من كتاب المقارنات بين الكتب السماوية)».

٣ ـ وفي الصفحة ٧٥ من كتاب «دراسة الكتب المقدسة» لموريس بوكاي:

«لا تشير أولى كتابات العصر المسيحي إلى الأناجيل إلا بعد مؤلفات بولس بفترة طويلة جداً. فالشهادات المتعلقة بوجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية تظهر فقط في منتصف القرن الثاني، وبالتحديد بعد عام ١٤٠م».

«وهذه الملاحظات التي تفرضها مقدمة الترجمة المسكونية للعهد الجديد المنشورة في عام ١٩٧٢ هي نتيجة عملٍ جماعي تضافر له أكثر من مئة متخصص من الكاثوليك والبروتستانت تتضمن ما يأتي:

«إن الأناجيل التي أصبحت رسميّة فيما بعد، أي كَنَسِيَّة. لم تُعرف إلا في عصر متأخر على الرغم من أن تحريرها كان قد تم في بداية القرن الثاني، ويكاد يكون من العسير التقرير بما إذا كانت الاستشهادات تمت بعد الرجوع إلى النصوص المكتوبة أم إنهم اكتفوا بذكر أجزاء من التراث الشفوي اعتماداً على الذاكرة».

«كما إنه لا توجد على أية حال شهادة تقول بوجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية قبل عام ١٤٠م».

٤ ـ وفي تعليقات أ ـ تريكو على ترجمته للعهد الجديد قال:

«ومنذ وقتٍ مبكر جدّاً، منذ بداية القرن الثاني استقر العرفُ على استخدام الكلمة «إنجيل» للإشارة إلى الكتب التي كان القديس جوستين

يسميها «مذكرات الرسل بعام ١٥٠م».

٥ ـ وفي كتاب العهد الجديد لـ: أ ـ كولمان قال:

«إن المبشرين لم يكونوا إلا متحدثين باسم الجماعة المسيحية الأولى التي ثبّتت التراث الشفهي. فقد بقي الإنجيل ثلاثين أو أربعين سنة في شكله الشفهي فقط. وهذا التراث الشفهي نقل أقوالاً وروايات منعزلة، وقد نسج المبشرون كلٌّ على طريقته وبحسب شخصيته الخاصة واهتماماته اللاهوتية الخاصة، الروابط بين هذه الروايات والأقوال التي تلقوها من التراث السائد».

«إن تجميع أقوال السيد المسيح، وربط الروايات بصيغٍ أسلوبية غامضة مثل: وبعد هذا... وما إن... الخ.

كل هذا له طابع أدبي، ولكنه لا يعتمد على أساس تاريخي.

وغير ذلك:

كثير مما لا تستطيع احتواءه هذه العجالة.

حيث يختلف هذا الموقف الجماعي من المفكرين وخاصة «المئة متخصص في تفسير العهد الجديد. مع الموقف الذي نوّهْتَ عنه في الفقرة «خامساً» من المقدمة بقولك: «الكنيسة سمَّت الأناجيل والكنيسة نسبتهم إلى كاتبيهم وهي المرجع الموثوق».

بعد ما تقدم وعلى ضوئه نستطيع تلخيص الرأي الذي نطمئن إليه كالآتي:

أ ـ قبل الاعتماد على «الإنجيل المربع» من قِبَلِ مجمع نيقيا، وربطه بقانون ملزم هو «قانون الإيمان النيقاوي» كانت تنتشر بين الناس أعداد غفيرة من الأناجيل التي يُخالف بعضها بعض ما في الإنجيل المربع مثل:

«إنجيل مرقيون» و «إنجيل ديصان» و «إنجيل ماني» و «إنجيل برنابا» و «إنجيل السبعين» و «الأناجيل الإزائية ـ وإنجيل بطرس ـ وإنجيل العبرانيين» وإنجيل المصريين ـ وإنجيل الأبيونيين» و «الأناجيل الهرطوقية ـ إنجيل يهوذا ـ وإنجيل باسيليدس ـ وإنجيل برثلماوس» و «الأناجيل القصصية ـ إنجيل يعقوب ـ وإنجيل توما ـ وإنجيل نيقوميدس». وغيرها.

ولكن سلطة الكنيسة المدعومة سياسياً وعسكرياً من الإمبراطور حرَّمتها وحرقتها مع سواها مما يختلف في كثير أو قليل عن نصوص الإنجيل المعتمد، ولاحقت جميع أتباعها ومعتنقيها باللعنة والحرمان حيناً وبالتصفيات الجسدية أحياناً مما ملأ أهل العلم بالأسى على ذلك التراث الفكري الغزير الذي فقد، وكان من حقه على الإنسانية ومن حق الإنسانية على الكنيسة أن يبقى حرّاً يتجول بين الناس.

ولا ينال من هذا الحق، قول خصومه ومناهضيه، بأن منه المنحول، ومنه الهرطوقي ومنه الخيالي ومنه المتعارض مع ثوابت التاريخ، فذلك جميعه يقرره القارىء الواعي الذي لا يستهين بعقله ولا يسلِّمه للأهواء والأخطاء بسهولة.

ب ـ من الثابت تاريخياً وكنسياً أن «مرقس» و«لوقا» لم يكونا من عداد التلامذة ولم يكلفا بالكرازة. وإذا كان متى ويوحنا، تلميذين مباشرين للمسيح، تلقيا مع رفاقهما التلاميذ أمر الكرازة من المعلم دون وسيط، فإن هذا الحظَّ الإلهي غير متوفر في «مرقس ولوقا» وبالتالي لا يزال الأساس الذي عليه قام اعتماد إنجيليهما، غير واضح.

جـ ـ يرجح ابن البطريق أن متى كتب إنجيله بالعبرية أو الآرامية ـ

السريانية في آخر العشرة الرابعة من ميلاد المسيح. وأن «يوحنا» صاحب الإنجيل الرابع ترجمه إلى اليونانية.

ويقول جرجي زَوْين اللبناني:

«إن متى كتب بشارته في أورشليم ٣٩م والسبب في ذلك ـ على ما ذهب إليه القديس أبيفانيوس ـ أنه كتبه ليكرز لليهود الذين آمنوا بالمسيح أو إجابةً لأمر الرسل. ويقول بانتيوس، إنه ذهب ليكرز في الهند فوجد إنجيلاً لمتى بالعبرانية فجاء به إلى الإسكندرية وبقي محفوظاً في مكتبة «قيصرية» ولكن هذه النسخة فقدت وبعد فقدها ظهرت النسخة اليونانية».

ويقول صاحب ذخيرة الألباب:

«إن القديس متى كتب إنجيله بالعبرانية ثم ما عتم أن ترجم إلى اليونانية، ثم تغلبت الترجمة على الأصل الذي لعبت به أيدي النساخ الأبيونيين ومسخته بحيث أضحى الأصل فقيداً وخاملاً منذ القرن الحادي عشر».

ويقول الدكتور بوست في «قاموس الكتاب المقدس» مخالفاً آراء الآخرين:

«يُظن أن هذا الإنجيل كتب ما بين سنة ٦٠ ـ ٦٥م»

أما هورن، فيقول: قد يكون تمَّ تأليف هذا الإنجيل في سنة: ٣٦ أو ٣٧ أو ٤١ أو ٤٣ أو ٤٨ أو ٦١ أو ٦٢ أو ٦٤ ـ للميلاد.

إذن:

من قبل خراب أورشليم بسنوات قليلة لم يكن يوجد بين أيدي الناس من هذا الإنجيل غير الترجمة.

والباحثون ـ إن تسامحوا في معرفة تاريخ تأليفه بالضبط والدقة،

وحقيقة مترجمه[1] ـ فإنهم جميعاً كانوا ـ ولا يزالون ـ يودون معرفة الأصل الذي ترجمت عنه النسخة اليونانية، ليعرفوا، إن كانت الترجمة طبق الأصل أم أن فيها انحرافاً ما، وليعرفوا، إن كان المترجم ذا إلمام عميق واسع باللغة الأصل يحقق له فهماً كاملاً لمرامي العبارات ومعانيها وفيما إذا كان أميناً في النقل، لا يتزيّد على العلماء، فقيهاً في المسيحية، وحجّة في عقائدها.

ذلك جميعه لا يزال ـ مع الأسف بدون تغطية.

د ـ أما إنجيل مرقس:

فقد اتفقوا جميعاً على أنه كتب باليونانية في رومية.

حيث يقول ابن البطريق في تاريخه:

«في عصر نارون قيصر، كتب بطرس رئيس الحواريين، إنجيل مرقس في مدينة رومية ونسبه إلى مرقس وذلك بعام ٦١م».

ولكن الكاتب «أرينيوس» الذي وجد من غير المنطق أن يكون بطرس رئيس الحواريين راوياً لمرقس، قال: «إن مرقس كتب إنجيله بعد موت بطرس وبولس».

أما نحن:

فليس بين أيدينا ما يقوي قول ابن البطريق المؤرخ المسيحي الشرقي على قول الكاتب القديم أرينيوس، أو العكس.

هـ ـ وإنجيل لوقا، كتب باليونانية، حيث كتبه مؤلفه على التوالي إلى أحد عظماء عصره أو علمائهم اسمه ثاوفيلس (لوقا ـ ١/ ١ ـ ٤).

وكانت كتابته، في قيصرية بفلسطين خلال أسر بولس ما بين ٥٨ ـ ٦٠م.

---

(١) لم يتم الإجماع على أنّ مترجم هذا الإنجيل إلى اليونانية كان يوحنا.

ويقول القس ابراهيم سعد:

«إنجيل لوقا كتب لليونان، وإنجيل متى كتب لليهود، وإنجيل مرقس كتب للرومان. والباحثون جميعاً ـ إن اختلفوا حول تحديد شخصية لوقا وجنسيته وصناعته ـ فإنهم متفقون على أنه لم يكن من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ حوارييه، بل كان من تلاميذ بولس[1].

ونظراً إلى أن لوقا، كاتب الإنجيل الثالث، هو ـ كما اتفق عليه ـ كاتب أعمال الرسل.

وجدنا من المفيد تقديم نبذة عن شخصية هذا الرسول:

ـ كان رفيق بولس في بعض أسفاره. صاحبه إلى فيليبي وظل فيها سبع سنوات يعلم الذين اهتدوا إلى المسيحية. ثم صاحبه من هناك إلى آسيا وفلسطين ثم إلى روما وكان معه قبل استشهاده بوقت قصير.

ـ كان أصله أمميا لأنه يتميز عمَّن كانوا في الختان.

ـ استوطن أنطاكية.

ـ يظهر من اسمه ومهنته، ورسائله، أنه كان تابعاً لأحد عظماء الرومان.

ـ تبدو ثقافته الطبية من أخباره بالشفاء الذي أجراه المخلص ومن وصفه للأمراض بدقة في اصطلاحات هذا الفن لا نجدها عند غيره.

ـ من مقدمة إنجيله، يتبين أنه لم يكن معايناً للحوادث بل ألفَّ إنجيله من شهادة الذين عرفوا السيد ولازموه في حياته الأرضية.

ـ يتضمن إنجيله معلومات، لم يذكرها غيره: مثل:

---

(١) الإمام أبو زهرة في «محاضرات في النصرانية ـ ص ٤٩».

ـ أخبار الحوادث التي جرت قبل الولادة وبعدها (أخذها عن أم الرب).

ـ خطابات وأقوال السيد التي صدرت ما بين ذهابه من الجليل وبين عيد الفصح الأخير في أورشليم.

ـ خبر مطول في ما حدث بعد القيامة والصعود.

ـ كتب إنجيله حينما كان محبوساً في قيصرية بفلسطين نحو عام ٦٣ ـ أي قبل كتابة «أعمال الرسل».

و ـ أما الإنجيل الرابع «إنجيل يوحنا»، فهو ذو شأن كبير، لأنَّه الإنجيل الذي تضمَّن فقرات صريحة عن ألوهية المسيح، ولأن تلك الفقرات هي نصوص الإثبات وأركان الاستدلال على الألوهية.

فالجمهور، على أن كاتب هذا الإنجيل هو «يوحنا بن زبدى الحواري» الصياد الذي آخاه المسيح وكان يخصه بالحب والعطف. وقد نُفِي في زمن الاضطهاد ثم استقر في أفسس يبشر فيها حتى مات شيخاً هرماً تجاوز المئة.

ولكن علماء المسيحية في القرن الثاني أنكروا نسبة هذا الإنجيل إليه. وكان من أبرزهم «أرينيوس» تلميذ بوليكارب الذي كان تلميذاً مباشراً ليوحنا الحواري فقد أكد أرينيوس نَفْيَ الإنجيل قائلاً «لو كان يوحنا الحواري هو المؤلف، لَعلِمَ تلميذه بوليكارب بذلك. ولكن المذكور لم يذكر شيئاً من هذا ولم يتصدَّ للجهات التي أشاعت نفي الإنجيل عن أستاذه يوحنا.

غير أن الدكتور بُوست، الذي يمثل جماعة المتعصبين لهذا الإنجيل، من حيث المؤلف والمضمون هاجم المنكرين له، بعنفٍ شديد واتهمهم بالكفر لِسببين:

الأول: إن ما جاء في الإنجيل لا يمكن أن يصدر إلا عن تلميذ مزوَّد بالإلهام الإلهي وممتلىء بالروح القدس.

الثاني: إن القديس بطرس استشهد في الفقرتين ١٣ و ١٤ من رسالته الثانية بالآية ١٨ من الإصحاح ٢١ من هذا الإنجيل. وهذا دليل مادي حاسم.

ولكن الباحثين الذين تجاوزوا السبب الأول ولم يقفوا عنده لعاطفية حجته، توقفوا عند الثاني ملياً وقالوا:

«ما دام أن الإنجيل ـ كما اتفق المؤرخون ـ كتب في أواخر القرن الأول ما بين ٩٥م و ٩٨م. وأن بطرس استُشهد مصلوباً بعهد نارون قيصر بعام ٦١م[١] فكيف يمكن أن يكون قد اعتمد على فقرات من إنجيل لم يكن موجوداً؟».

وقالوا:

«إن وجد شيء من التوافق في المعنى أو المبنى بين القولين ـ فإن اللاحق منهما هو الذي أخذ عن السابق واعتمد عليه وليس العكس».

أما:

لجهة، عودة دائرة المعارف البريطانية عما كانت قد أكدته في طبعتها الأولى حول تزوير هذا الإنجيل وعدم علاقة «يوحنا الحواري» به.

فهو قول، أو موقف منها ـ إن ثبت ـ تعارضه وتعترضه ملاحظتان:

أولاهما: إن كانت الطبعة الأخيرة من هذه الدائرة قد خلت من النفي

---

(١) يقول ابن البطريق في تاريخه (وأخذ بطرس لنارون قيصر فصلبه منكَّساً وقتله) لأن بطرس قال له: إن كنت تريد أن تصلبني فاصلبني منكَّساً لألا أتشبه بسيدي المسيح فإنه صُلب قائماً.

الذي أوردته في طبعتها الأولى. فإنها لم تبين سبب ذلك.

وبوضوح أكثر: لم تبين، أن قيامها بشطب واستبعاد ما كانت قد أثبتته سابقاً، قام على أدلة سائغة، من «العلم والأثر» يبرر لها تجاوز التقرير السابق الذي تضافر عليه خمسماية عالم من علماء الكتاب المقدس.

وبالتالي: لم يثبت أن خلو الطبعة الجديدة مما كان في الطبعة الأولى لم يكن استجابة لضغوط سياسية غير علمية.

الثانية: إنه يتعارض تعارضاً صريحاً مع أقوال «أورينوس» و«بوليكارب».

ز ـ وبعد: لما كان ثابتاً في التاريخ أن مجمع نيقية بعام ٣٢٥م هو أول اتفاق جماعي على توحيد «النص» المتمثل في الأناجيل الأربعة. فذلك يعني بوضوح أن الكنيسة المسيحية لم تكن حتى ذلك التاريخ تملك نصّاً يتمتع بقوة الإجماع أي لم يكن لديها «عهد جديد» كالذي نراه اليوم. فليس ثمة كنيسة «شامية» أو «إغريقية» أو «أنطاكية» أو في «بيزنطة» أو «روما» أو «أوديسا». كانت تضم جميع أسناد العهد الجديد، قبل ذلك التاريخ بل لم تكن الأناجيل الأربعة معتمدة لوحدها عند أية كنيسة.

بل ـ أيضاً ـ لم تكن أية كنيسة تحوز الأناجيل الأربعة مجتمعةً».

هنا يتساءل البروفيسور عبد الأحد داوود قائلاً:[1]

ترى؟! كيف كان الحال سيكون لو لم يعقد مجمع نيقيا؟ وكيف

---

(١) عبد الأحد داوود هو العالم الروحي الكلداني الكاثوليكي. واسمه الأول البروفسور ديڤيد بنجامين. كان قسيساً في طائفة الكلدان. وبعد أن اعتنق الإسلام غير اسمه. له كتاب تحليلي لنصوص التوراة والإنجيل عنوانه «محمد في الكتاب المقدس».

يمكن تصور كنيسةٍ ما ليس لديها غير واحد من الأناجيل؟

سابعاً: الرهبانية:

كنتُ في مذكرتي تساءلت: عما إذا كانت الرهبانية قائمة على نصوص كتابية أم على ممارسات الرسل؟ أم إنها اجتهاد متأخر؟

وسألت عن أصل الكلمة بالآرامية. وعما إذا كان المسيح قد أوصى بها أو مارسها. ولماذا جاء تعريبها «بالرهبانية»؟

فأجبتني في الفقرة ٢ من البند الثاني جواباً لا يملك الشفاء الكافي وذلك عندما قلتَ:

ـ الرهبانية هي تطبيق لما جاء في إنجيل متى (١٦) ورسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ـ ٧.

ـ بدأت الرهبانية ببولس البسيط في القرن ٣ ـ ٤م. وتعاظمت بأنطونيوس المتوفى في عام ٣٥٦م وعمت العالم المسيحي شرقاً وغرباً.

أما: لماذا لم أجد في جوابك الشفاء الكافي فذلك لأن ما لديَّ من ثقافة لاهوتية متواضعة يختلف بعض الاختلاف عما جئت به عن نشأة الرهبانية وتعريفها.

ممّا برَّر لي وضع الفقرات التالية:

١ ـ إن الآية ٢٤ من إنجيل متى، اقتصرت على تخيير السيد لتلاميذه: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني ـ ١٦/ ٢٤».

٢ ـ كذلك اقتصرت رسالتا بولس إلى أهل كورنثوس على الوعظ العام، والوعظ بشؤون الأسرة، ومنع التعدد، وزواج الترمل.

٣ ـ الرهبانية كجمعية، لم تنشأ في عهد المسيح، ولا عهود تلاميذه وحوارييه. أي لو كان نص الآية ٢٤ ـ من متى ـ ورسالتا بولس، يتعلق بالرهبانية أو يدل عليها، لنشأت منذ العهود المسيحية الأولى.

ولكن تاريخ الكنيسة يحدثنا عن نشأتها فيقول:

تأسست الرهبانية لأول مرة سنة ٣٠٥م اجتهاداً وتنسّكاً من الناسك أنطونيوس الكبير المصري المولود بعام ٢٥١م والمتوفى بعام ٣٥٦م حيث عدد صوامع الرهبنة ووضع نظاماً عاش النساك بموجبه منفصلين أحدهم عن الآخر تحت قيادة شيخ واحد «أبّا»[1] في أكواخ أو مغاور. وقد دعيت هذه الجماعات النسكية «لافرا» ثم طوّرها الناسك أنطونيوس فصاروا يعيشون معاً في مسكن واحد أو عدة مساكن تحت قيادة «الأبّا» وفي عهد البار بوخوميوس ٢٩٢ ـ ٣٤٨ ـ دُعِيت الجمعية «كيفوفيا ـ أي دير».

ـ وقد انتقلت الرهبانية إلى الغرب على يد القديس أثناسيوس الذي كان أول من عرَّف الغرب بها، بواسطة وصف لحياة القديس أنطونيوس ترجمه إلى اللاتينية في أواخر القرن الرابع[2].

ـ إن نزعة الزهد عند جماعة العازفين عن الدنيا لا تعتبر رهبنة ما لم يرتبط صاحبها بجماعةٍ يشاطرهم السكن المعبر عن أقصى درجات البساطة والحياة المعبرة عن أقصى درجات الكفاف ويمارس معهم طقوس التعبد بأقصى درجات اليقين والإمِّحاء في الله. وذلك من خلال نظام دقيق شديد لا شقوق فيه ولا منافذ.

لذلك:

---

(١) الأبّ الذي عاش النساك بقيادته عيشة جماعية في مساكن عامة دعي أيضاً «أرشمنديت ـ أي رئيس الرهبان».

(٢) تاريخ الكنيسة ـ ص ٣٧١ ـ ٣٧٦.

صار تعريبها بالرهبانية، عوداً بها إلى الخوف والرهبة وتعبيراً عما يمتلىء به الراهب من مخافة الله التي تحضه دوماً على التعبد والفرار من الشر إلى عمل الخير.

- إن بولس الثيبي أو البسيط وإن كان قد بدأ حياة التنسك قبل البارّ أنطونيوس إلا أنه:

- لم ينشىء جمعية.
- ولم يعش مع جماعة.
- وكان ناسكاً منفرداً.
- وقد قام أنطونيوس الكبير بدفنه عند موته.

لذلك: لا يمكن اعتبار حياته النسكية، بداية الرهبنة بمعناها المسيحي. خاصةً وإن تاريخ المسيحية وتواريخ الشعوب والديانات الأُخرى حافل بهذه الفئات من النساك الذين تفننوا في أساليب الزهد واحتقار مطالب الجسد. ولكنها لم تكن جميعها إلا نزعات لا تنطوي على مفهوم «الرهبنة».

- وإذ قرأتَ الآية ٢٧ من سورة الحديد، قلتَ في هامش الصفحة الثالثة من مذكرتك:

«الآية القرآنية التي تستشهد بها لديك تقول: إن الرهبانية مكتوبة علينا إذن لم نبتدعها ابتداعاً».

أقول: لقد فهمتَ الآية فهماً فيه بعض الخطأ[١].

---

(١) الآية: ٢٧ ـ الحديد: ﴿ثم قفَّينا على آثارهم برسلنا وقفَّينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل، وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم=

والصواب في معناها هو الآتي:

إن الرهبانية ممارسة نسكية تصوفية لم يأمر بها السيد المسيح ولا أحدٌ من تلاميذه[1].

ونظراً لصفاء سريرة روّادها الأوائل، لم تعنِ كلمة «ابتدعوها» ذمّاً لهم بدليل تتمة الآية ﴿ما كتبناها عليهم﴾ ومعنى «ما كتبناها ـ ما فرضناها عليهم فرضاً» أي إنهم أحدثوها من عند أنفسهم فراراً بأرواحهم الطاهرة من الفتنة في الدين ـ مخلصين أنفسهم للعبادة. متحملين قسوة الخلوة وخشونة اللباس، وشظف العيش واعتزال النساء والتعبد في الكهوف والغيران.

أما عدم رعايتهم لها حق الرعاية، فيتمثل فيما آلت إليه الرهبانية. حيث تغيرت، وتغير معها الرهبان شكلاً وموضوعاً، ولم تعد تمثل ما كانت عليه من النسك وخلوص النفس لله.

ثامناً: مصدر الإنجيل ومعناه:

أولاً: قلت في البند «خامساً» من المقدمة:

«ليس في المسيحية تنزيل، مقدمة إنجيل لوقا تدل على أن كثيرين أخذوا في تأليف قصة حياة المسيح، فتتبع هو كل شيء، واتصل بمعايني يسوع والمبشرين به. في النهاية تبلورت الأمور في أربعة روايات سمتها الكنيسة ـ لا الكتّاب ـ أناجيل التي أطلقت أخيراً على الكتب الأربعة وهي أربع شهادات بأقلام «متى ويوحنا» الرسولين المعروفين و«مرقس تلميذ

= **أجرهم وكثير منهم فاسقون﴾**.

(١) أنت لا تختلف معي في تاريخيتها، إذ قلتَ آنفاً: إنها انتشرت في القرن الثالث الميلادي.

بطرس وبولس ولوقا تلميذ بولس».

والكنيسة هي سمَّت الأناجيل، وهي التي نسبتهم إلى كاتبيهم، وهي المرجع الموثوق به.

وقلت في البند ٨ من مذكرتك:

«ليس لدينا إنجيل منزَّل على يسوع، يسوع ينزِّل».

تلك الأقوال تجد بعض المعارضة فيما يلي:

أ ـ «أنا أتكلم بما رأيت عند أبي ـ يوحنا ـ ٨/ ٣٨».

«لست أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي، والذي أرسلني هو معي ولم يتركني الآب وحدي ـ يوحنا ـ ٨/ ٢٨ ـ ٢٩».

«الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني ـ يوحنا ـ ١٤/ ٢٤».

«الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم ـ يوحنا ـ ١٧/ ٨».

«كل الكتاب هو موحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر ـ رسالة بولس ـ الثانية إلى ثيموثاوس ٣/ ١٦»[١].

ـ هذا الكلام المتفق على صدوره عن يسوع، يعطي مفهوماً مغايراً لما صدر عنك.

فيسوع عليه السلام.

«لم يفعل شيئاً من نفسه. ولا يتكلم إلا بما علَّمه الله».

و«هو مرسل، من الله ليعطي الناس ما أعطاه الله».

---

(١) من المفيد أن نشير إلى أن المؤرخين أجمعوا على أن رسائل بولس كتبت قبل كتابة أي إنجيل. وأن رسالته الثانية إلى ثيموثاوس ورسالته إلى العبرانيين كتبتا أثناء سجنه الأخير في رومية.

و«الكتاب جميعه وحي من الله».

وإذن: لا فرق إلا في التسمية:

بين من يقول: إن ما جاء به سيدنا المسيح منزل عليه من الله.

ومن يقول: إنه مرسل، لا يتكلم إلا بما عُلِّم ولا يعطي إلا مما أُعطِيَ له...

تعقيباً على الأقوال الثابت صدورها عن السيد المسيح:

«أنا أتكلم بما رأيت... لست أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي».

«بعد أن أسلم يوحنا تجول المسيح في بلاد الجليل يبشر «بملكوت الله»[(1)].

«لقد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل».

نقول:

ألا تعني هذه الأقوال وأمثالها، أن الإنجيل، شيء، مستقل عن المسيح، كان المسيح يبشر به؟

ألا تعني، أن الإنجيل بشر به المسيح قبل أن تظهر «الأناجيل الأُخرى بمئة عام؟ وكانت قبل تسميتها بالأناجيل، تسمى «مذكرات الرسل»؟.

ب ـ ظل يوحنا المعمدان، يكرز في برية اليهود حتى استشهد. وظل هديره الإلهي يتصاعد في آفاق اليهودية فتردده الجبال والوديان والسهول والمدن والقرى: «توبوا لأنه اقترب ملكوت السماوات ـ متى ـ ٣/ ٢».

---

(١) ملكوت الله، كلمة عربية ذات أصل يوناني ـ معناها الانجيل.
اي: كان المسيح يبشر بالإنجيل.

أما يسوع:

«فكان يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ـ متى ٤/ ٢٣»[1].

«وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة الملكوت ويقول:

قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل مرقس ١/ ١٤ ـ ١٥».

أجاب يسوع وقال:

«الحق أقول لكم، ليس أحدٌ ترك بيتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أمّاً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً لأجلي ولأجل الإنجيل إلا ويأخذ مئة ضعف الآن في هذا الزمان... وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية مرقس ١٠/ ٢٩ ـ ٣٠».

جـ ـ أجاب يسوع وقال لهم:

«الحق الحق أقول لكم. لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل».

«الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة يوحنا ٥/ ١٩ ـ ٢٤».

«إذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها من آمن واعتمد خَلُصَ ومن لم يؤمن يُدَن مرقس ١٦/ ١٥ ـ ١٦».

---

(١) بشارة الملكوت هي ترجمة عن اليونانية لكلمة «الإنجيل».

«أما أنا فلي شهادة أعظم من يوحنا، لأن الأعمال التي أعطاني الآب لأكملها، هذه الأعمال بعينها التي أعملها هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني يوحنا ٥/ ٣٦».

«ولكن ليفهم العالم أني أحب الآب وكما أوصاني الآب هكذا أفعل يوحنا ١٤/ ٣١».

إن قراءة هذه النصوص، تؤدي إلى ذات النتائج التي توصلنا إليها في الفقرات السابقة:

ـ فقد كان يسوع يبشر بملكوت السموات ـ الإنجيل ـ وكان يدعو إلى الإيمان به.

أي كان بين يديه، إنجيل يدعو إلى الإيمان به: «فتوبوا وآمنوا بالإنجيل مرقس ١/ ١٤ ـ ١٥».

ـ ولم يكن يتكلم إلا بما أرسله به الآب ـ الله. ولم يفعل شيئاً إلا ما علمه إياه. وجميع ما نطق به من كلام ـ مواعظ، خطب، أحاديث ـ لم يكن له بل لله الذي أرسله يوحنا ١٤/ ٢٤ ـ و ١٧/ ٨».

ـ وهو بصفته، التي وصف بها نفسه، رسول، والرسول مكلف بإبلاغ رسالة. ولكن رسالة سيدنا المسيح، لم تكن آنية، تنقضي، بلقاء أو خطاب، بل كانت مسيرة شاقة دؤوباً مدة ثلاث سنوات. تخللتها ـ ظروف ـ أوجبت وضع نظام كامل للإيمان والمعاملات والعبادات. وألقت مهمتها المستمرة إلى آخر الدهر، على عاتق التلامذة، لكي يسيروا بها في أرجاء الأرض كافة.

هذه، رسالة المسيح، كانت وحياً من الله، في جميع ما يقول وما يفعل وفي جميع ما قال وما فعل.

وهذا يعترض، ويعارض قولك الشديد:

«ليس لدينا إنجيل منزل، يسوعُ ينزِّل».

ثانياً: الإنجيل:

أما ما تعنيه كلمة «الإنجيل» فهو الآتي:

كلمة الإنجيل ـ في اللغة العربية ـ تؤنث وتذكر، فمن أنَّث أراد الصحيفة، ومن ذكَّر أراد الكتاب، وهي كلمة عبرانية أو سريانية ـ آرامية.

وقيل: هي عربية. وفي صفة الصحابة: «مَعَهُ قومٌ أناجيلهم في صدورهم» يعني أن كتبهم محفوظة في صدورهم.

وكلمة الإنجيل:

أ ـ وردت مضافة إلى ملكوت الله.

ب ـ كما وردت مفردة وعنواناً ودستوراً يكرز به يسوع.

جـ ـ «أنا أفعله لأجل الإنجيل ـ بولس ـ الرسالة الأولى لكورنثوس».

أي إنجيل هذا الذي أشار إليه بولس؟ وهو ليس صاحب إنجيل، ولم تكن الأناجيل المعروفة قد ظهرت. ألا يدل هذا على أنه كان بين يديه الإنجيل الذي بشر به المسيح ودعا إليه؟

ففي مرقس ٨/ ٣٥ يقول المسيح:

«من يريد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يريد أن يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل يخلصها».

وفي هذا القول أبلغ الدلالات على أن المسيح والإنجيل ليسا أقنوماً واحداً.

«بولس عبد ليسوع المسيح المدعو رسولاً المفرز لإنجيل الله ـ الرسالة إلى رومية ـ ١/ ١».

«فإن الله الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه ـ الرسالة إلى رومية ـ ١/ ٨».

«لأني لست استحي بإنجيل المسيح ـ الرسالة إلى رومية ـ ١/ ١٦».

ومن ذلك يتبين:

أن الإنجيل دوماً، هو إنجيل المسيح. بهِ بشَّر، وإليه أضيف على الدوام.

ولكن الكتب الأربعة أضيفت، إلى أصحابها، ونسبت إليهم.

وقد ظلت حتى أواخر القرن الثاني، لا تحمل اسم «إنجيل» بل «مذكرات» لكي تدل على صدورها عن واضعيها، وليس لتدل على الإنجيل الخاص بالمسيح. وفي معجم اللاهوت الكتابي ـ مادة خلاص ـ: المخلِّص هو يسوع وكلمة الخلاص هي الإنجيل وهي من الله. وهذا يقطع بأن المسيح كان يدعو للإنجيل.

تاسعاً: في الصليب وصلب بطرس والأحد والميلاد

وفي الصليب وصلب بطرس أجبتني بالآتي:

ـ الصلب تم في أورشليم لا في أثينا. (البند الرابع من مذكرتك).

ـ يوم الأحد هو يوم القيامة، ويوم العنصرة، واليوم الربَّاني، لأنه مأخوذ من كلمة dimanche-deus (البند الثالث).

ـ في القرن الثالث دخل عيد الميلاد. (البند الثالث).

ونظراً إلى هذه الأجوبة لم تكن غائبة عني تماماً وإلى أنها لم تُغن

عن الاستزادة في طلب الإيضاح، لذلك أرى أن الأسئلة لا زالت قائمة، وهي مرفودة بالمعلومات الآتية:

أ ـ لم أقل إن الصلب حصل في أثينا.

بل قلت في البند ٢٧ من مذكرتي إنه تم في روما. وهو على كل حال لم يتم في أورشليم. وتقول المصادر التاريخية الموثوقة:

إن بطرس قتل مصلوباً في نفس اليوم الذي قتل فيه بولس بحد السيف. وذلك على أثر اتهام «نارون» للمسيحيين بحريق روما في عام ٦٥م أو ٦٧م، فابن البطريق يقول في تاريخه:

«وأخذ بطرس لنارون قيصر فصلبه منكِّساً رأسه وقتله، لأن بطرس قال له: إن أردت أن تصلبني فاصلبني منكساً لئلا أتشبه بسيدي المسيح فإنه صلب قائماً».

وفي تاريخ الكنيسة ص ٣٣ و ٤٥:

«وبدأ اضطهاد نيرون في سنة ٦٥ ودام حتى سنة ٦٨، عندما أنهى هذا الملك حياته بالانتحار فوضع حدّاً لهذه المذابح، في هذا الاضطهاد استشهد في رومية الرسولان بطرس وبولس. فبطرس علق على صليب منكَّس الرأس (رأسه إلى أسفل) وبولس قطعت هامته.

ب ـ إن كان يوم الأحد مأخوذاً أخذاً رمزياً عن كلمة الله، في اللغة الإفرنسية فإن الأخذ بهذا الاسم سابق للسيد المسيح. وسابق للأصل الفرنسي المنسوب إليه.

وقد كان يرمز إلى «الشمس» في بلاد اليونان، فيدعى «يوم الشمس» «Sunday» عوداً به إلى اليونان الذين كانوا في أيام المسيحية يعبدون الشمس ويعتبرونها «إله الكون» ولا يبعد أن يكون التعبير الفرنسي منطلقاً

من هذا المنطلق.

وفي تاريخ الكنيسة ص ١٥٦:

«واليوم الذي يلي السبت المدعو أول أيام الأسبوع «يوم الشمس»[١]

فلماذا جعلت عطلة الأسبوع يوم الأحد مع أن العطلة المقدسة الأسبوعية في الناموس الذي جاء المسيح ليتممه هو «يوم السبت».

يقول تاريخ الكنيسة:

منذ القرن الرابع أصبح يوم الأحد عيداً يعيَّد به كل أسبوع. حيث عمم قسطنطين قانوناً يقضي بتعطيل المحاكم في هذا اليوم. كما منع فيه أعمال الجندية. وفي عهد ثيوزسيوس الصَّغير مُنِعت أسبابُ اللَّهو والمشاهد (ص ٣٥٦)[٢].

ولا بد من الإشارة:

«إلى أن مجمع نيقية هو الذي قرر إرضاءً للامبراطور اعتبار يوم الأحد (يوم الشمس) عطلة رسمية. ويوم ١٢/٢٥ (عيد إله الشمس) عيد ميلاد المسيح وصليب النور (شعار إله الشمس) استعير شعاراً للمسيحية».

(ص ١٥٦ ـ من مؤلف البروفسور محمد عطاء الرحيم أستاذ اللاهوت وعلم النفس في جامعات لندن وأدنبرة وعليكر).

---

(١) حينما كتب الفيلسوف «أنكساغوراس» كتابه الذي بحث فيه عن حقيقة السماء والشمس والقمر، تصدى له «كليون» الذي كان يتزعم الشعب واتهمه بالإلحاد لأنه وصف الشمس بأنها كتلة من الحجارة المحترقة. ونظراً إلى أن اليونانيين كانوا يعبدون الشمس فقد حوكم «أنكساغوراس» وأدين بالرغم من دفاع پركليز عنه واضطر إلى الفرار حيث مات بعيداً عن بلاده.

(٢) ذلك جميعه يدل على أن اعتماد يوم الأحد، عطلة الأسبوع، لم يكن بسبب يوم العنصرة، ولا القيامة، إذ لم يعتمد إلا بعد مرور ثلاثة قرون عليهما.

إن كان سبب اعتبار يوم الأحد، عيداً، هو أن السيد المسيح، صلب فيه، فيجب أن يقترن الاحتفال به اسبوعياً بالحزن على ما لاقاه المسيح من عذاب في ذلك اليوم. ولكن الأمور تسير على العكس. فهو عيد البهجة عند اليونان (عيد إله الشمس) وعند الشرقيين (عيد ميلاد بوذا) كذلك (عيد ميلاد مثراس). في الفرس والرومان.

جـ ـ إن تحديد ميلاد المسيح، مسألة صعبة إن لم تكن مُستحيلة.

فالأناجيل لم تحدد السنة التي ولد فيها.

بل اكتفى الرسولان متى ولوقا بالإشارة دون تعيين:

«ولد في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك ـ متى ٢/ ١».

«وفي السنة الخامسة عشرة من سلطة طيباريوس قيصر إذ كان بيلاطس البنطي والياً على اليهودية وهيرودس رئيس رُبع على الجليل. في أيام رئيس الكهنة حنّان وقيافا... جاء يوحنا يكرز بمعمودية التوبة ـ لوقا ـ ٣/ ١ ـ ٤».

«في أيام هيرودس ظهر الملاك لزكريا وبشره بأن امرأته أليصابات ستلد له ابناً وتسميه يوحنا ـ لوقا ـ الإصحاح الأول».

«في الشهر السادس أُرسل الملاك جبريل من الله إلى ناصرة. إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيتِ داوود اسمها مريم. وبشرها بقوله: ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع ـ لوقا ـ الإصحاح الأول».

وهكذا:

لم تتحدد سنة الميلاد. ولا الشهر ولا اليوم. مما أوقع الاختلاف بين الدارسين:

فبعضهم: حدده بالتاسع عشر من ابريل.

وبعضهم: حدده بالعاشر من مايو.

والبعض: في السابع عشر من نوڤمبر من العام الثالث قبل الميلاد.

ومنذ القرن الثاني بدأ الشرقيون يحتفلون بمولد المسيح في السادس من يناير.

ولكن بعض الكنائس الغربية، بدأت منذ عام ٣٥٤م الاحتفال بذكرى مولد المسيح في الخامس والعشرين من نوڤمبر ومن هذه الكنائس «كنيسة رومة». وهذا اليوم ـ كما هو ثابت في التاريخ ـ هو يوم الاحتفال بعيد «مثراس» أي «مولد الشمس التي لا تقهر».

ولم يستقر في الشرق كعيد للميلاد إلا في أواخر القرن الرابع.

وهو ـ في الزمن السابق لتاريخ اعتماده ميلاداً للمسيح ـ لم يكن عيداً وثنياً غربياً فقط كما اتهمت الكنيسة الشرقية أختها الغربية بذلك. بل كان عيداً وثنياً شرقياً أيضاً لأنه عيد ميلاد بوذا، الإله الذي ولد من العذراء «مايا» بعد أن حلَّ فيها الروح القدس. فصار يوم الميلاد ٢٥/ ١٢ يوم عيد عند البوذيين[١].

فعيد الميلاد هو عيد انتصار الشمس ـ الانقلاب الشتائي ببداية طول النهار. ثم أصبح عيداً لمثراس الإله الشاب الذي تعلو وجهه هالة من النور ترمز إلى الوحدة بينه وبين الشمس. وفي القرون الميلادية الأولى كانت عبادة الإله «مثراس» منتشرة في الامبراطورية الرومانية وكان الاحتفال بهذا اليوم من الطقوس المستقرة في حياة الناس. مما كان له أثر في اعتماده ميلاداً للمسيح. حيث تحولت المسيحية بالتجمعات الاحتفالية البشرية،

---

(١) ص ـ ١٠ ـ من «الملاك المسيح لبنسن». وخرافات التوراة وما يماثلها في الديانات لدوان ـ ص ٢٩٠.

من الجو الوثني إلى الأجواء المسيحية الطاهرة.

وإنه ـ لجدير بالإشارة أن الامبراطور ـ على الرغم من حمايته للمسيحية وتبنّيه لقانون الإيمان النيقاوي، ظل يحكم الإمبراطورية بعقلية السياسي، الذي لم يجد من مصلحة الحكم شطب وإلغاء ومكافحة الطقوس الوثنية التي كان الشعب، بأكثريته، يؤمن بها ويمارسها، بل ظل يمارس ـ إرضاءً للشعب ـ طقوساً وثنية، معروفة في الاحتفالات العامة. مثلما فعل في حفل تدشين القسطنطينية.

عاشراً: التلاقي والافتراق:

قلتَ:

«إن مسألة التلاقي والافتراق بين الإنجيليين أعيت الباحثين. افترضوا مصدراً مشتركاً استعمله كل منهم بحسب مخططه. إنجيل يوحنا يعبّىء النقص: في الفصل السادس استفاض. ذكر غسل الأرجل، والفصح اليهودي، وترك الباقي لزملائه». هذا قولك.

ولكن:

ـ ما هو المصدر المشترك؟ قد يكون ما تحدث عنه اكهارن بقوله:

«كان في ابتداء الملة المسيحية في بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة يجوز أن يُقَال: إنها هي الإنجيل الأصلي. والغالب أن هذا الإنجيل كان للمريدين الذين لم يكونوا سمعوا بآذانهم أقوال المسيح ولم يروا بأعينهم أحواله. وكان هذا الإنجيل بمثابة القلب، وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب».

قال: القس ابراهيم سعيد:

«كتب إنجيل لوقا لليونان[١] وإنجيل متى لليهود[٢] وإنجيل مرقس للرومان[٣] وإنجيل يوحنا للكنيسة للعامة.

أما تواريخ تدوين الأناجيل، فهي تقديرية غير يقينية. ومع ذلك يغلب أن:

ـ يكون تدوين إنجيل متى في أواخر العشرة الخامسة أو أوائل السادسة في عهد طيباريوس وقد كتب في فلسطين[٤].

ـ وإنجيل مرقس كتب باليونانية في رومية سنة ٦٠ ـ ٧٠م وفيه نظريات ومشاهدات أستاذه القديس بطرس. ويميل بعض المؤرخين إلى نسبة هذا الإنجيل لبطرس الذي كتبه ـ كما يقولون ـ ووضعه باسم مرقس[٥].

ـ وإنجيل لوقا كتب في قيصرية بفلسطين خلال أسر أستاذه بولس بين ٥٨ ـ ٦٠م ومن المفيد أن نشير إلى الاختلاف حول شخصية لوقا، من حيث الأصل والمولد والصناعة والقوم الذين كتب لهم وتاريخ الكتابة.

فالمؤرخون لم يتفقوا إلا على أمرين:

أولهما: إن لوقا لم يكن من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ حوارييه.

الثاني: إن إنجيله كتب باللغة اليونانية[٦].

---

(١) في أثينا.

(٢) في أورشليم.

(٣) في روما.

(٤) تاريخ ابن البطريق ـ وكتابات ذخيرة الألباب. وبعض المؤرخين يقولون أنه كتب في آخر العشرة الرابعة للميلاد.

(٥) مرشد الطالبين.

(٦) كنا ذكرنا ذلك في هامش الفقرة هـ ـ من البند سادساً ـ «لغة الإنجيل» وقد =

ـ أما إنجيل يوحنا، فقد اختلف المسيحيون في تاريخ تدوينه بين أن يكون في ٦٨ أو ٦٩ ـ أو ٩٥ أو ٩٨م إذ ليس هناك بيان خالص من الشك حول تاريخ تدوين هذا الإنجيل.

ولن يفوتني، تذكيرك بما جاء في الفقرة ٤ من البند الخامس من مذكرتك حيث قلت:

«أحدث مراجعي يجعل رؤيا يوحنا ورسائله قبل إنجيله (العام ١٠٠). هذا التباعد في تواريخ تدوين الأناجيل، وفي أماكن تدوينها، واستقلال كل كاتب بكتابة ما اختزنه من ذكريات عن أعمال المعلم وأقواله...

نقول: هذا التباعد، والاستقلال:

يتركان في قارىء الأناجيل قلقاً وارتباكاً.

ويتزايد القلق ويطغى وهو ينتقل بين إصحاحات الأناجيل وآياتها، فلا يطوي وجهاً من وجوه التباين، حتى يقوم أمامه وجهان أو أكثر.

إنها جوهرية، وليست تافهة ولا ثانوية، فإذا كانت الواقعة ذات تأثير عقائدي، وكان يتمحور من حولها يقين الناس، ويرون فيها خلاصهم الأبدي، كان الاختلاف في عرضها، زيادة أو نقصاناً، رفعاً أو وضعاً، أو إهمالها نهائياً، مما لا يصح العبور عنه، دون الاهتمام به، والغوص إلى أعماق الظروف التي سبقت ورافقت ولحقت بالواقعة للوقوف على جلية الأمر.

لقد كنتُ في «ثالثاً ـ المقارنات» عددت بعضها وهو يسيرٌ من كثير.

وهي متحدةً أو منفردة، تملأ فضاء النفس ـ مهما بعدت آفاقه ـ

= اقتضت ضرورة الموضوع تكرارها هنا.

بالارتباك عند قراءة النسب البشري للسيد المسيح، يختلف في الأسماء واحداً واحداً ويختلف في الأعداد، ويختلف حتى في الجد الجامع مع سليمان[١].

ـ **وخطبة الجبل** التي وضع المسيح فيها قواعد الدستور المسيحي حتى يوم الدينونة وسلمه أمانة لرسله، كي ينطلقوا به إلى العالم أجمع.

هذا الدستور، يختلف في المضمون بين إنجيل وإنجيل.

وما دام أن كلاً من كتّاب الأناجيل كان يكرز بإنجيله في عالم مستقل عن الباقين فإن من حق الناس كل الناس، ألا يُكتمَ عنهم شيءٌ من مواعظ المعلم ودستوره. وبالتالي، يكون من قرأوا في أحد الأناجيل جميع الخطبة، هم أوفر حظاً ممن لم يقرأوها، أو قرأوها مُبتسرةً من إنجيل آخر، هذا إن لم نقل، إن ظلماً حل بالآخرين وهو افتراض يجلُّ عنه الرسل.

ـ **والعشاء الأخير** وما تم فيه من تأسيس القربان، هو أيضاً طقس مسيحي، وضعه المعلم بدقائقه وتفاصيله، فما يُقبل وقوع الاختلاف في روايته وشرحه.

ـ **ومصير يهوذا الذي**:

ـ يقول عنه متى إنه خنق نفسه ـ الإصحاح ـ ٢٨.

ـ ويقول سفر الأعمال: إنه خرَّ على وجهه وانشق بطنه فانسكبت أحشاؤه كلها ومات.

هذا المصير، الذي لا يُنتظر الاختلاف فيه.

لأنه مصير أكبر خائن عرفته الإنسانية منذ آدم.

---

(١) كنا نوهنا عن هذا الاختلاف بين إنجيلي متى ولوقا.

ولأنه خان أشرف من حملته الأرض وأظلته السماء.

فكيف، لا تستطيع الأناجيل أن تتفق عليه؟

ـ وحينما صُلِب المسيح طغت على الكون والكائنات ظواهر وخوارق لا يمكن أن يخطىء في تعدادها ووصفها اثنان ممن شاهدوها.

ومع ذلك جاءت في الأناجيل مختلفة بين واحد وآخر.

ففي متى:

«ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة. ونحو التاسعة صرخ يسوع بصوتٍ عظيم قائلاً: إيلي إيلي لماذا شبقتني؟ أي: إلهي إلهي لماذا تركتني؟. فقومٌ من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا إنه ينادي إيليا. وللوقت ركض واحدٌ وأخذ إسفنجة وملأها خلاًّ وجعلها على قصبة وسقاه. وأما الباقون فقالوا: اتركه لنرى هل يأتي إيليا يخلِّصه. فصرخ يسوع أيضاً بصوتٍ عظيم وأسلم الروح. وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين. (٢٧/ ٤٥ ـ ٥٤).

ـ وفي مرقس:

اتفاق تام تقريباً، مع ما جاء في متى.

ما عدا: زلزال الأرض وتشقق الصخور، وتفتح القبور، وقيام الكثير من القديسين من قبورهم وظهورهم للكثيرين.

ـ وفي لوقا:

اتفاق مع مرقس ومتى فقط: في ظلمة الشمس وانشقاق حجاب

الهيكل، دون بقية الوقائع.

- **وفي يوحنا:**

«بعد هذا رأى يسوع أن كل شيء قد كمل، فلكي يتم الكتاب قال: أنا عطشان وكان إناءٌ مملوءاً خلاًّ فملأوا إسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدموها إلى فمه فلما أخذ يسوع الخل قال قد أكمل ونكس رأسه وأسلَمَ الروح - (١٩/ ٢٨ - ٣٠)».

هنا: لا «ظلمة» ولا «تشقق صخور» ولا «تفتح قبور» ولا «خروج من الأموات» ولا «استغاثة من يسوع».

لهذا كله:

وللكثير من مثله المبثوث في الأناجيل والأعمال، ممّا لا يخفى على أي قارىء مدقق لم أقتنع بمقولة القائلين: «سارَ كل من الإنجيليين حسب مخططه، فيوحنا عبّأ النقص، حيث استفاض بالفصل السادس في ذكر غسل الأرجل، والفصح اليهودي وترك الباقي لزملائه. إذ لا يصح أن يترك زميل شيئاً لزميل له، إلا إذا كان ثمة من تلاقٍ وترافق واتفاق بينهما، على توزيع العمل والمهمات وهذا:

- لم يثبته تاريخ الدعوة المسيحية.

- كما ينفيه واقع الحال الذي أفاد بكل وضوح، أن كل إنجيلي انفرد عن إخوته بمكانٍ وزمانٍ وقوم، وقام مستقلاً، بالكرازة وسرد حياة المسيح العجائبية بمعزلٍ عن الباقين.

- ثم، وهذا مهم، لا يمكن التصور أن مثل هذه العجائب، كانت واجبة النشر في مكان انتشار إنجيل متى، وغير واجبة في الأماكن التي انتشرت فيها الأناجيل الأُخرى.

فتلك الاختلافات:

التي تجاوزت الشكليات، لتستقر، في أمور عقائدية جوهرية لا يزيلها من أذهان الناس، الدوران من حولها بألفاظٍ بلاغية أو صورٍ بيانية عاطفية.

وماذا عسى أن نقول لشخصين:

أحدهما روى الساعات الأخيرة التي فاضت فيها روح السيد المسيح، وفقاً لما قرأ في متى وآمن بجميع الوقائع التي سردها حرفياً.

والثاني رواها وفقاً لما قرأها في يوحنا، وليس فيها شيء من العجائب والخوارق التي تحدث عنها متى.

وكلاهما يعتمد على «تلميذٍ إنجيلي كان مرافقاً للمسيح، وكان معايناً لجميع ما جرى».

ـ إن الإيمان ـ وإن كان من مسائل القلب ـ لا يمكن أن يهجر العقل، كما ذكرتَ في الفقرات ٢ ـ ٣ ـ ٤ من البند الرابع والعشرين من مذكرتك.

فشرط التنازل عن العقل قبل الإيمان بالأناجيل أو اعتناقها هو مطلب عسير القبول بالنسبة إلى الأكثرية الساحقة من بني الإنسان.

لأن العقل أشرف مخلوقات الله.

وبه يثاب المرء ويعاقب.

وبدونه يسقط التكليف الإلهي عن المكلفين.

وكل عقيدة، تتجاوز عقل الإنسان أو تتخلف عنه لا يحق لها أن تكون مرجعاً له ولا دستوراً يحاسب بمقتضى قواعده.

والله ذو الجلالة ـ وإن كان غيباً منيعاً، منزّهاً عن أن يحده زمان أو يحويه مكان، أو يدرك ذاته إنسان، خاطب الناس بما يعقلون، وحدثهم

بما يفهمون وأرسل إليهم رسلاً منهم، بشراً، جعلهم وسائطه الأزلية لإبلاغ الديانات. والديانات في معناها ومبناها، ممارسات عبادية يتوجه بها الإنسان إلى الخالق لكسب رضاه، وممارسات أخلاقية تنظم علاقته مع الآخرين في حدود الخير والتقوى.

هذه هي الديانات.

فهل يمكن أن توصف بما وصفتَها، عندما قلت: «ليس من ديانةٍ عقلية. الديانة غيبيات، الإيمان إيمان بما يفوق العقل لا بالعقلي»[١].

وإن كانت الديانة غيباً لا يدرك بالعقل، فما حاجتك إذن إلى القول «إن جميع الأدلة تقنع المسيحيين بصحّة كتابهم»[٢]؟ لأنك ـ حينذاك لن تحتاج إلى أدلة للإقناع.

ـ هذا:

ويؤكد تاريخ الكنيسة أن أبرز الخصائص التي ميزت الكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية هو سماح الكنيسة الشرقية باشتراك العقل مع الإيمان ـ فأوضحت وفسرت أسس التعليم المسيحي بالطريقة العلمية، أما الكنيسة الغربية، فقد رفضت هذا الاشتراك وابتعدت عن الدرس العلمي في عقائد الإيمان ووجهت الانتباه إلى الطقوس والنظام والإدارة وعلاقة الكنيسة بالمملكة وبالجماعة[٣].

حادي عشر ـ الإلهام والوحي:

قلتَ في الفقرة ٢ من البند الرابع والعشرين:

---

(١) فقرة ٣ من البند ٢٤ ـ من مذكرتك.
(٢) فقرة ـ ٤ ـ من البند ٢٤ ـ من مذكرتك.
(٣) ص ٣٨١ ـ من تاريخ الكنيسة.

«نعرف أن هذه العقيدة فوق العقل، لأنها لو كانت عقليّة لكانت قابلة لأن تصدر عن البشر ـ فيسقط بذلك الإلهام العلوي ومستلزماته بما فيه الإيمان»[١].

وقلتَ في الفقرة ٣ من ذات البند:

«متى قلنا دين، قلنا غيبيات، الإيمان إيمان بما يفوق العقل لا بالعقلي».

وقلت:

«لم يقتصر الإلهام على الإثني عشر فقرة ١٠ بند ١١.

إن نظرية الإلهام:

فرضتها طبيعة النصوص التي تكوّن منها العهد الجديد بدءاً من بدء إنجيل متى حتى الآية ٢١ من الإصحاح ٢٢ من رؤيا يوحنا اللاهوتي.

إذ ما دام أن ليس في المسيحية إنجيل منزّل على يسوع ـ كما قلت في البند ٨ من مذكرتك ـ وما دام أن يسوع لم يُملِ شيئاً من الأناجيل على كتّابها، ولم يُملِ شيئاً من الرسائل وأعمال الرسل والرؤيا ـ على من كتبوها، لأنهم كتبوها من بعده.

ومع هذا، فإنها جميعاً على قدم المساواة ـ تتمتع بالعصمة

---

(١) إن المسيح هو ابن الله لا بمعنى جسدي ـ وإلا كان كفراً. الكتاب المقدس استعمل لفظة «الابن» للدلالة على أن جوهر يسوع هو جوهر الآب، ولكن يسوع إله وإنسان، معاً، طبيعته الإلهية هي طبيعة الآب والروح القدس. طبيعته البشرية مأخوذة من أمه العذراء، ضمها إلى شخصه الإلهي بدون أي استحالة. فلا الإله استحال ولا الإنسان استحال فيه. اتحدا في شخصه الواحد بدون أن يتأثر الإله. نعرِف أن هذه العقيدة فوق العقل. . .».

والقدسية، فلا يقبل أي اعتراض عليها أو مناقشةٍ لها. (فقرة ٤ من البند ٣٣ من مذكرتك) لذلك: ولما كان لا بد لهذه العصمة من مرتكزٍ تستند إليه.

صار الالتجاء إلى الإلهام الإلهي العاصم من الخطأ أو الضلال.

أي:

إن جميع هذه النصوص كتبت بالوحي الإلهي والإلهام السماوي، لذلك فهي منيعةٌ لا يأتيها الباطل وهي حق وصدق في كل حرف من حروفها، المقدسة.

هنا:

نجد من اللزوم أن نَعْرِض للفروق بين وجهتي النظر المسيحية والإسلامية عن «الوحي».

ـ فالوحي في الإسلام قسمان: قسم يوحى به على أنه كلام الله في مبناه ومعناه وقسم يوحى به إلى النبي في بعض أمور الأخلاق وشؤون الدنيا، وهذا يعود معناه إلى الله أما العبارات عنه فهي للنبي.

ـ أما في المسيحية فالوحي ـ على الدوام ـ يجمع الإلهي والبشري، أي إن الملهمات الإلهية تتجسد في قوالب لغوية بشرية لتكون مفهومة لدى الناس، فالكلمة المعلنة في الإنجيل هي «رمز» لكلمة الله ـ الوحي المعلن لنا عن الله.

وفي توضيح ذلك يقول «موَجز تاريخ الأمة القبطية»:

«الكتاب المقدس هو مجموع الأسفار التي كتبها رجال الله القديسون بإلهام الروح القدس في أوقات مختلفة، وفيها أعلن الله مشيئته ووصاياه وما قطعه من المواعيد وما فرضه من المثوبة وما فيه من إرشاد للناس

وخيرهم وصلاحهم، وما أتمه من عمل الفداء».

وهذا يعني:

إن كلمات العهد الجديد ليست من كلمات الروح القدس. بل هي إلهام، من حيث المعنى، لا من حيث العبارات والألفاظ، التي تنتسب إلى كاتبها، فتصرَّف فيها حسب طباعه وعاداته ومفاهيمه.

وكونها كذلك:

هو الذي ترك بينها تلك الاختلافات، في التعابير والوقائع.

إذ لو كانت صادرة عن الروح القدس، لما تعددت الأناجيل ولما وجدت فيها تلك الفروق، وخاصة في الأقوال التي صدرت عن المسيح. والأعمال التي قام بها[١].

ونظراً إلى أن هذا القول لا يرضي الكثيرين، وخاصة الطيبين الذين يرددون على الدوام إن كتَّاب نصوص العهد الجديد هم التلاميذ الذين كلفهم المسيح للكرازة بالإنجيل والذين عادوا إليه قائلين: «حتى الشياطين تخضع لنا باسمك...» فقال لهم:

«رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء وها أنذا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب، وكل قوة العدو، فلا يضركم شيء ولكن لا تفرحوا بهذا لأن الأرواح تخضع لكم بل افرحوا بالحري أن أسماءكم كتبت في السماوات»

ولكننا دققنا:

فيمن أعطي لهم هذا السلطان. وقمنا بجولة استقصائية، شملت

---

(١) أقوال المسيح وأعماله، لا تقبل التصرف والتصريف من قبل أي إنجيلي أو سواه.

نصوص العهد الجديد. بحثاً عن الأقوال والأعمال التي صدرت عن المعلم، في هذا الخصوص.

وذلك، لتحديد، أشخاص المكلفين، بالكرازة، الذين ترافقوا مع الإلهام في مسيرتهم الرسولية قولاً وعملاً، فوجدنا:

- أن الرسل الذين أرسلهم ليكرزوا بملكوت الله، وأعطاهم السلطان، ومنحهم القدرة على شفاء الأمراض وطرد الشياطين، هم الرسل الإثنا عشر (لوقا - ٩/ ١).

- و«بعد ذلك عيَّن الرب سبعين آخرين أيضاً وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل مدينة وموضع حيث كان مزمعاً أن يأتي - لوقا - ١٠/ ١».

- وأن من بين الأحد عشر تلميذاً والسبعين المعينين، خمسة فقط نسبت إليهم الكتب والرسائل:

- متى ويوحنا، في إنجيليهما.

- بطرس ويعقوب ويهوذا في الرسائل.

أما غيرهم من كتّاب الأناجيل والرسائل، فلم تذكر أسماؤهم في عداد الرسل ولم يكلفوا بالكتابة والكرازة، ولم يكونوا في من أعطي لهم السلطان.

- وأن مهمة السبعين المعينين - بمقتضى النص - محددة ومحصورة بالتوجه إلى كل مدينةٍ وموضع كان المعلم مزمعاً أن يأتي إليه (لوقا ١٠/ ١).

أي:

- هي منطقة الجليل وسواها من مناطق فلسطين.

ـ لأن المسيح، يعرف مسبقاً، أنه سوف يُصلب في أورشليم، وأنه لن يغادر فلسطين إلى غيرها من البلدان، لذلك، انحصرت مهمة السبعين في الديار الفلسطينية.

ـ ووقفنا ملياً عند القديس لوقا، لأنه «صاحب الإنجيل الثالث» ولأنه كاتب سفر أعمال الرسل بجميع ما فيه من جهاد ووقائع وأعمال عجائبية. فكلاهما ـ الإنجيل وسفر الأعمال ـ هما رسائل متتالية من القديس لوقا إلى «ثاوفيلس».

أما لماذا وقفنا ملياً عند هذا القديس فذلك لما يلي:

أ ـ **لم يكن من تلاميذ المسيح**، ولا من تلاميذ حوارييه، وبالتالي لم يكن من الرسل، ولا من السبعين المعينين.

ب ـ **لم تصدر عنه معجزة**، تخبر عن الإلهام، والامتلاء بالروح القدس.

يقول «واطسن ـ في المجلد الرابع»:

«إن عدم كون تحرير لوقا إلهامياً، يظهر مما كتب في ديباجة إنجيله ونصها: إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأُمور المستيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة. رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس، لتعرف صِحَّة الكلام الذي عُلِّمت به».

جـ ـ بما أن كلاً من ديباجتي «إنجيل لوقا» و «سفر أعمال الرسل» متَّفقتان في الصيغة والهدف حيث وجهتا بشكل رسائل أو أقارير إعلامية تعليمية إلى «ثاوفيلوس» فإن مصدرهما ـ على ما رجح الدارسون ـ هو القديس لوقا.

وبما أن فكرة الإلهام ـ خلت منها الأناجيل وانفردت أعمال الرسل في الحديث عنها، مما جعل سفر الأعمال هو المصدر الوحيد المعتمد لإثبات الإلهام والامتلاء من الروح القدس فيما صدر عن الرسل من أعمال وأقوال.

وبما أن السند غير متصل بين لوقا وبين المسيح وتلاميذه فإن دعوى الإلهام تصبح بدون تغطية نصوصية ثابتة التسلسل.

د ـ إن سفر الأعمال.

لم يذكر أسماء المئة والعشرين، وفيما عدا التلاميذ من بينهم، لم تنسب معجزة إلى أي واحد منهم (أعمال ـ ١/ ١٥). وجميعهم باستثناء التلاميذ لم يسمُّوا رسلاً ولم يسمعوا غير خطاب بطرس.

«وفي تلك الأيام قام بطرس في وسط التلاميذ ـ وكان عدة أسماءٍ معاً نحو مئة وعشرين فقال. . . ١/ ١٥ ـ أعمال.

«وكانت عجائب وآيات كثيرة تجري على أيدي الرسل. . . ٢/ ٤٣ ـ أعمال».

«وجميع الذين آمنوا كانوا معاً وكان عندهم كل شيء مشتركاً ـ ٢/ ٤٤ ـ أعمال».

ملاحظة:

(إن الذين آمنوا وهم تتمة المئة وعشرين كانوا معاً وكانوا مشتركين في كل شيء. ولكنهم لم يأتوا بالعجائب والخوارق).

هـ ـ إنّ ما جاء في الآيات ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ من الإصحاح الثاني من الأعمال، التي ذكر فيها صوت العاصفة والريح المفاجئة التي ملأت البيت وظهور الألسنة المقسمة من النار التي استقرت على كل واحد فملأت الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أُخرى.

هذه المضامين، لا تفيد بصراحة، أن البيت كان يتسع لمئة وعشرين شخصاً. ولا تفيد بصراحة أن الامتلاء بالروح القدس كان لغير التلاميذ. ويتبين من سياق الآيات التي يتألف منها الإصحاح الثاني أن المعني بذلك كله هم التلاميذ.

و ـ ولم نعثر فيما توفر لدينا من مراجع أن أحداً توفرت فيه «صفات الرسالة» وما «رافقها من وحي وإلهام» وما «تلاها من أعمال عجائبية خارقة» غير التلاميذ ثم بولس[1].

هنا: لا بد من تكرار التنويه، بأن كتاب الأناجيل لم يقولوا إنهم كتبوا ما كتبوه بإملاء من المسيح أو تلقين من الوحي[1].

كما، نرى من المفيد أن ندوِّن رأي «هورن» في كيفية رؤيته وتقويمه لقداسة تلك النصوص وعلاقتها بالمسيح، حيث يقول:

«إذا قيل إن هذه الكتب المقدسة أوحي بها من عند الله، لا يُرادُ أن كل الألفاظ والعبارات هي من إلهام الله، بل يُعلم من اختلاف محاورات المصنفين واختلاف بيانهم أنهم قد جُوِّز لهم أن يكتبوا. على حساب طباعهم وعاداتهم وفهومهم، ولا يُتَخيَّل أنهم كانوا يلهمون في كل أمرٍ يبينونه وفي كل حكم كانوا يحكمونه»[2].

---

(١) جاء في ص ـ ٢٠ ـ من تاريخ الكنيسة، صراحة، ان الروح القدس حل على التلاميذ بعد مرور عشرة أيام على صعود المخلص.
وفي أثناء عيد الخمسين عند اليهود، تمّ حلول الروح القدس على التلاميذ. وعندما سمع الضجيج من الجو اجتمع كثيرون منهم تجاه البيت حيث كان الرسل، فاتجه الرسل إليهم بالوعظ ناطقين باللغات التي يتكلم بها المجتمعون. ومنذ حلول الروح القدس ابتدأ وعظ الرسل العلني عن يسوع المسيح (ص ـ ٢٠ ـ الأسطر ـ ٣ و ١١ و ١٢ و ٢٥).

(٢) محاضرات في النصرانية للإمام «أبو زهرة» ص ـ ٧٨.

كما يجدر بنا التنويه بالآتي:

أولاً: تقدم التلاميذ إلى الناس بعد الصليب على أنهم رسل يسوع يكرزون بما رأوه وسمعوه منه. (رسالة بطرس الأولى ١/١ ورسالته الثانية ـ ١/١).

ثانياً: فقط، بولس وحده، تكلم أحياناً من عند الله مباشرة، وأحياناً تكلم من عند نفسه وأحياناً كان يقول:

«إنه رسول يسوع المسيح بمشيئة الله ـ الرسالة الثانية إلى كورنثوس ـ ١/١».

و«إنه رسول يسوع والله الآب ـ الرسالة إلى غلاطية ـ ١/١».

ثالثاً: بولس وحده، وضع الكثير من قواعد العقيدة اجتهاداً شخصياً منه، مثل:

أ ـ المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب ملعون من علق على خشبة ـ غلاطية ـ ٣/ ١٣[١].

ب ـ «**إذا كان إثمُنا يبيِّن بر الله فماذا نقول**، فإنه إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده فلماذا أدان أنا بعد كخاطىء ـ الرسالة إلى رومية ـ ٣/ ٧»[٢].

---

(١) كيف يمكن أن يكون المسيح لعنة؟ إن المكتوب الذي نوه عنه بولس هو ما جاء في سفر التثنية (٢١/ ٢) ونصه: «يتعلق بعقوبة القتل صلباً للقاتل. وبوجوب انزال جثته عن الخشبة ودفنه في ذات اليوم لأن المعلق ملعون من الله».
وهذا الحكم لا ينطبق على المسيح، لأنه الفادي وليس القاتل. ولكن بولس اجتهد في هذه وأمثالها لاسقاط الاهتمام بالشريعة.

(٢) هذا الكذب ـ المقدس ـ يذكر بواضع الأحاديث المكذوبة المبالغة في مدح النبي محمد، ولما جيء به لينال العقاب قال: أنا لم أكذب عليه. بل كذبت له. (على=

جـ ـ «أما الآن فقد تحررنا من الناموس، إذ مات الذي كنا ممسكين فيه حتى نعبد بجدَّة. الروح لا يعتق الحرف ـ رومية ـ ٧/ ٦».

د ـ «ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع (لوقا ٢/ ٢١).

والختان هو عهد بين الله وابراهيم ـ ليحفظه ويحفظ نسله من بعده، وليكون علامةً بين الله وبينهم، ابن ثمانية أيام يختن، كل ذكر من أجيالكم (تكوين ١٧/ ١١ ـ ١٢).

ولكن بولس:

ـ حرَّم الختان، باجتهاد شخصي إذ قال:

«الختّان هو ختان القلب، بالروح لا بالكتاب الختان ـ الرسالة إلى (رومية ٢/ ٢٩)».

«لا يحسب الإيمان بالختان بل بالغرلة (رومية ٢/ ١٠)».

هـ ـ «أنا بولس خادم الإنجيل، الذي الآن أفرحُ في آلامي لأجلكم وأكمل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة التي صرت أنا خادماً لها حسب تدبير الله المعطى لي لأجلكم لتتميم كلمة الله ـ كولوسي ـ ١/ ٢٣ ـ ٢٤ ـ ٢٥».

هنا لا يستطيع القارىء، أن ينجو بنفسه من الاندهاش فيتساءل:

ترى؟! ماذا يريد القديس بولس أن يثبت بهذه العبارات؟

ـ هل يعني أن الآلام التي تجرعها المسيح، كانت ناقصة، فقام هو بإتمامها؟

ـ أم يعني أن الآلام التي كلف المسيح باحتمالها، هي ناقصة من

= كل حال: لا شيء يبرر الكذب)

الأزل، فقام هو بوضع تتمتها ونفذ هذه التتمة؟

ـ هل يعني بأن الله أرسل لإتمام كلمته غير المسيح؟

وبعبارة أوضح: هل كان إتمام كلمة الله من قبل المسيح ناقصاً فأعطي إلى بولس صلاحية إتمام الكلمة بتدبير الله؟

و ـ وإبطال العمل بالناموس، هو اجتهاد لم يقل به الإنجيليون، الذين عاصروه. ولم يكتب لهذا المبدأ النجاح، في حياة بولس، بل كان عليه أن ينتظر حتى تبرز ظروف القرن الثاني الميلادي السياسية، فيشتت أصحاب الناموس، ومن يقول بقولهم ويبرز الاجتهاد البولسي، قائداً للمسيحية.

فالإيمان الخالص بالدين المسيحي:

يحدده القديس بولس، بـ «الإيمان بسر الفداء» و «الثالوث» وليس «العمل بالناموس» (أي هو الاعتقاد دون العمل).

وهذا يختلف مع تحديد الأنبياء: الذين اتفقوا على أن الإيمان: هو الاعتقاد في القلب، مقروناً به الإقرار باللسان، والعمل المستطاع باليد.

وبعد فما يدري قارىء الرسائل: وسيرة هذا الرسول الديناميكي العظيم، على أي صعيد يستقر، وهو يستعيد أقوال بولس، وبين يديه أقوال غيره من الإنجيليين الذين سمعوا الكلمة من يسوع مباشرة:

«لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلَّم الناس هكذا يدعى أصغَرَ في ملكوت السماوات

(متى ٥/ ١٧ ـ ١٨ ـ ١٩)».

«وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت قائلة ارحمني يا سيد يا ابن داوود ابنتي مجنونة جداً، فلم يجبها بكلمة، فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا فأجابهم وقال: لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة: فأتت وسجدت له قائلة أعني يا سيد. فأجاب:

وقال: ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب. فقالت: نعم ياسيد والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها (متى ١٥/ ٢١ ـ ٢٧).

ز ـ **ثم يتزايد الارتباك عند القارىء** وهو يتفرس في رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية (٢/ ١ ـ ١٦) فيقع على مجاهرته بالخصومة العقائدية الشديدة بينه وبين رئيس التلامِذَة والحواريين بطرس ورفقاه يعقوب ويوحنا وبرنابا وسواهم:

ـ فهو يسميهم «الإخوة الكذبة».

ـ ويؤكد أنه لن يذعن لهم بالخضوع ولا ساعة.

ـ وأنه عرض الإنجيل الخاص به الذي يكرز به بين الأمم.

ـ وأنه أئتُمِن على إنجيل «الغرلة» كما أئتُمِن بطرس على إنجيل الختان.

ـ وأن برنابا انقاد إلى ريائهم.

ـ وأنه قرأ إنجيله الخاص على التلاميذ منفردين لا مجتمعين.

بعد هذا التفصيل، الذي لا يسعنا غير الاعتذار عنه.

نعود إلى الإلهام الإلهي الذي وصفت به تلك النصوص كافةً «عصمةً لها» من الخطأ و«تقديساً موجباً للخضوع والتسليم».

فالإلهام الإلهي، . . . ـ هو الذي دفع بك إلى قول ما يقوله الكثيرون عن قناعة ويقين:

«لا نقبل أي اعتراض على صحة الإنجيل فقرة ٣ بند ٣٣ من مذكرتك».

«لا يمكن طرح العقيدة المسيحية قبل الإيمان بصحة الإنجيل فقرة ٢ من المذكرة».

ومع التقدير العميق لهذا الاعتقاد لن نستطيع أن نمنع السائل من الاستفهام الاستنكاري الآتي:

إذا كان العهد الجديد جميعه إلهاماً من الروح القدس.

وإذا كانت نصوصه جميعاً تتمتع بالصحة والعصمة والقداسة.

ـ فلماذا رفض مجمع، «نيقية» بعام ٣٢٥: «رسالة بولس إلى العبرانيين» و «رسالة بطرس الثانية» و «رسالتي يوحنا الثانية والثالثة» و «رسالة يعقوب» و «رسالة يهوذا» و «رؤيا يوحنا اللاهوتي»، التي تسمى «الكتاب النبوي»؟!؟

ـ ولماذا ظلت مبعدة عن الاهتمام والعقيدة والالتزام المسيحي حتَّى مجمع لوديسيا في عام ٣٦٤م؟ الذي حكم بصحتها.

ثم:

ما دام، من الثوابت التاريخية القاطعة:

«أن اللغة الآرامية كانت اللغة الشعبية السائدة» و «أن المسيح تحدَّث

بها منذ ولادته» و«أنه خطب وخاطب ووعظ وأعلن بها عن عجائبه».

ـ فأين النسخة الأصلية لكلامه بذات اللغة؟

ـ أين الإنجيل الشفوي الذي كرز به من قبل أن يسجن يوحنا؟

ـ هل ضاع أو أتلف؟ هل ترجم إلى اليونانية أم إلى أية لغة أجنبية أُخرى؟

ـ لماذا لم يكتب الرسل أناجيلهم بلغتهم؟ لغة البلاد؟ أي لماذا كتبوها باليونانية مباشرة؟ وما هي الحكمة من عدم وجود أي نص في اللغة الأصلية؟ وهل يعقل أن يكون الرسل المبشرون بين اليهود قد بشروا باللغة اليونانية؟[1].

فكيف يمكن الإقناع والاقتناع، بأن هؤلاء جميعاً بشّروا بالدعوة ونشروها وألفوا الأناجيل باللغة اليونانية التي لم تكن تفهمها في البلاد غير الخاصة من المثقفين؟

لقد أجمع المؤرخون:

على أنه كان وسوف يبقى، من قبيل الجهود التي لا طائل لها، محاولة إيجاد، إنجيل أو حكمة، أو خطبة، أو موعظة، منسوبة إلى سيدنا المسيح، بلغته التي تكلم بها نيّفاً وثلاثين سنة.

فأين ذهب ذلك الميراث العظيم؟

وهل حرَّمه وحرَّقه ـ مجمع نيقية بعام ٣٢٥م فيما حرَّم وحرَّق من

---

(١) لقد كتب متى إنجيله لليهود في فلسطين ـ مراعياً فيه الناموس. ولوقا كتب إنجيله في قيصرية بفلسطين ويعقوب استشهد في أورشليم وقضى حياته فيها. وبقية التلاميذ ـ عدا من ذهب إلى الأمم ـ ظل يتكلم العبرية ويبشر بها.

الكتب والمذكرات والأناجيل؟[١].

ثاني عشر ـ علاقة اللغة المسيحية باللغة العربية:

قلتَ في البند الثامن من مذكرتك:

«ليست اللغة العربية لغةً مسيحية. في القرون الأولى كانت تتم الترجمة إليها من اليونانية والسريانية. المعاجم العربية تذهب كل مذهب في التأويل. لسان العرب يفسر لفظة (أبيل) كما يشاء حتى يقول: إن المسيح هو (أبيل الأبابيل). ولكن اللفظة من أصل رهب. الرهبة هي الخوف المصحوب بالاحترام ـ الترهب توحدٌ ونسك» مقالتك تلك: تطرقت إلى موضوعين هما:

ـ علاقة اللغة المسيحية باللغة العربية.

ـ المعنى اللغوي لـ «أبيل الأبابيل».

ففي علاقة اللغة المسيحية باللغة العربية:

منذ أن حملت هذه المنطقة الجغرافية اسمها «الدال عليها». ومنذ أن أخذت امتدادها الجغرافي قبل الإسلام، وانساح شعبها في شتى الجهات المسكونة مع الفتح العربي الإسلامي. لم يُعرف أن المسيحية التي كانت

---

(١) إنه لمن المستحيل، معرفة العبارات الشفهية التي نطق بها السيد المسيح. فقد ألقيت في مجتمع شفهي، لا يكتب إلا قليلاً. لذلك إذا كان لا بد من المحاولة، علينا أن نتحقق من موضوعات المعرفة المصاغة الموروثة منذ القرون الخوالي. والتي تتحدث عن الوجود المادي للمسيح بين الناس بيسر وسهولة كأنها تعيشه اليوم في حين الزمن بما يحمله من متغيرات في العقل والسياسة والاقتصاد لم يعد يقبل تلك التفاسير الغيبية التي تركها لنا الأسلاف.
ومع ذلك كله، تبقى جهودنا، نوعاً من المحاولات التي يغلب عليها الفشل.

منتشرةً في جميع أصقاعه، كانت تستعمل لغة خاصة بها لا يستطيع المحيط العربي فهمها إلا عن طريق الترجمة التي تقدمها إليه.

إن مسيحية الديار العربية ـ كما يقول المطران جورج خضر ـ لم تنفصل عن لحم الأرض وزمانها. كانت ـ ولا تزال ـ تؤثر وتتأثر بمقدار.

فالكنائس التي كانت ترعى الطقوس والخدمات الدينية، كانت كنائس عربية.

وأبناؤها كانوا ـ ولا يزالون ـ عرباً.

والسريانية التي كانت لغة العبادة والطقوس، كانت تنزوي في الحياة العامة والأدبية لتكون اللغة العربية هي السائدة.

والمسيحية التي دخلت البلاد العربية في زمان الرسل[1] لم تكن تستقل عن لغة البلاد بلغةٍ غريبة والتاريخ يتحدث بصوتٍ مرتفع عن «النابغة الذبياني» و «المنخَّل اليشكري» و «حسان بن ثابت» وغيرهم من شعراء بلاط الغساسنة واللخميين الذين كانوا جميعاً يدينون بالمسيحية.

يقول المطران جورج خضر في محاضرته المطبوعة ضمن كتاب «المسيحيون العرب».

«ما يؤهلنا حقاً أن ننعت المسيحية بالعربية هو أن كل فرقها، بلا استثناء، كتبت بالعربية. وفي كتاب «تاريخ الأدب العربي» للمؤلف الألماني «غراف» تعداد لبعض أسماء الكتب المسيحية التي وضعت بالعربية عند الأقباط والسريان والنساطرة والروم والموارنة. وهي ألوف

---

(١) الرسول بولس بشر فيها بالإنجيل. وأوريجان بشر فيها بالقرن الثالث. وفي القرنين الرابع والخامس امتدت إلى العمريين في العربية السعيدة. وانتشرت بين القبائل البدوية بواسطة النسّاك والرهبان القاطنين على حدود فلسطين. (تاريخ الكنيسة ص ـ ١٩٤).

مؤلفة ولكنها لم تنشر. وإن كشفها سيمكن من كتابةٍ جديدة للحضارة العربية. وسيكشف الغطاء عن تلك الكنوز أكان من حيث البلاغة والشعر أم من حيث الفلسفة والعلوم. فلو تجاوزنا المفهوم القومي الذي لم يكن بارزاً في أذهان ذلك الزمان واكتفينا بالمفهوم الحضاري وجدنا أن المسيحية نطقت بالعربية قبل الإسلام وبعده».

وفي عصور الترجمة:

حيث انفتح الفكر العربي الإسلامي على الفكر العالمي، توافدت إلى اللغة العربية مئات بل آلاف الكتب المترجمة في الآداب والفنون والعلوم والفلسفة وأصول الحكم. من مصادر شتى - منها اليوناني - ومنها الفارسي - والبيزنطي والهندي[١].

ولم تقتصر أقلام الترجمة على المثقفين المسيحيين. بل كان المثقفون اليهود وغيرهم من رواد تلك الحركة الحضارية.

ومن نافلة القول أن نضيف:

لقد تحدَّرت تلك الثقافات إلى العربية، فلم تكتف هذه «بالتلقي الأصمّ» بل أثرت وتأثرت وأخذت طابعها المميز الذي ظل يضخ حضارة العرب في نهر «الحضارة الأممية» طول سبعة قرون بلا انقطاع.

يحمل إلى العالم صنوف العلم والعرفان، ويغذي من زيته الأقدس مصابيح التطور والرشاد. . . .

وفي المعنى اللغوي لأبيل الأبابيل:

نقصد في اللغة العربية التي ضمت حروفها هذا التعبير.

ففيها:

---

(١) كتاب كليلة ودمنة الذي زعم ابن المقفع أنه ترجمه عن السنسكريتية.

«الأبابيل ـ جمع تكثير لا واحد له. وفي القرآن ﴿**طيراً أبابيل**﴾ أي جماعة من هنا وجماعة من هناك وهي مثل «شماطيط» و«شعاليل» و«عبابيد» والأبيل هو رئيس النصارى وقيل الراهب، وقيل صاحب الناقوس.

وفي أبيات لابن الجن ورد القسم بتقديس أبيل الأبيلين.

وابن الجن ـ ممن لا يطعن في حسن فهمهم للسان العربي ووقوفهم على معانيه فلو كان هذا التعبير:

ـ غير عربي لما أورده في شعره.

ـ ولو لم يكن يعني القداسة لما أقسم به، ولما كان أطلقه على ابن مريم.

أمـا ودمـاءٍ مـاخـراتٍ تخـالهـا   على قِنَّة العُزَّى أو النسر عندما
وما قدس الرهبان في كل هيكلٍ   أبيل الأبيلين المسيح بن مريما
لقـد ذاق منّـا عـامـرٌ يـوم لعلـعٍ   حساماً إذا ما هُزَّ بالكف صمَّما

فإطلاق تعبير «أبيل الأبيلين» على المسيح، هو من باب رفع القدر وتعظيم الأثر. وفي الرواية كان عيسى ابن مريم يسمى «أبيل الأبيلين».

فـالأبيـل علـى وزن فعيـل. أطلـق عليـه لتـأبّلِـهِ عـن النسـاء وتـركـه غشيانهن.

والفعل منه «أبل يأبل إبالة» إذا تنسك وترهب. وكانوا يحلفون به مثلما يحلفون بالله. وأنت إذ تقول: إن لسان العرب يفسر لفظة أبيل كما يشاء، حتى يقول: إن المسيح هو أبيل الأبابيل، ولكن اللفظة نفسها من أصل رهب، الرهبة هي الخوف المصحوب بالاحترام».

فإنك:

ـ لم توضح أسباب استخفافك بلسان العرب الذي لا يدانيه بين المعاجم غير المقاييس لابن فارس.

ـ إن لسان العرب لم يقل: إن المسيح هو أبيل الأبابيل، بل كان ذلك شائعاً في التداول اللغوي، كما مر معنا لابن الجن.

ومهمة ابن منظور كانت تجميع ألفاظ العربية المتداولة، لا وضعها من عنده ولا اختراع معاني لها.

ـ وإذ عدت باللفظة إلى «رهب» فإنك لم تأت بالإسناد المعجمي، لذلك أحسنت التخلص، بقولك في ختام نظريتك «والله أعلم» كيلا تفيد اليقين، وتكون النظرية باعثاً على الاقتداء.

ثالث عشر: التعميد:

كنتُ في البند ٢٠ من مذكرتي تعرضت إلى «العماد» في المسيحية، التي عربت عن الكلمة اليونانية BABTISMOS، التي تفيد وتدل على «التغطيس بالماء» أي «الصِّباغ» ممّا يجعل اللفظ العربي «العماد» بعيداً عن معناها الحقيقي.

ففي حين أن العملية الطقوسية، تتم بذات الإجراءات في كل مكان، وذلك بتغطيس الطفل في الماء كلاًّ أو جزءاً فإن لفظة BABTISMOS اليونانية تفيد معنى العملية تماماً وتدل عليها. ولكن كلمة «العماد» المعربة عن الأصل اليوناني، تعني في العربية «الانتصاب واقفاً» ومنه عمود البيت. ومثله ما جاء في القرآن الكريم: ﴿في عَمَدٍ ممدَّدة﴾.

وتبعاً لذلك قلتُ:

ما دام أن مقاصد هذه العملية، في المفهوم العقائدي هو التكوين

العقيدي الجديد، والدلالة على الدين الذي ملأ الروح لاقترانه في الغالب بقول الكاهن «للمعمَّد» الآن صرت نصرانياً. فإن التعبير القرآني أكثر عمقاً ودقة ودلالة إذ وصف الإيمان الصادق بقوله: **﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغةً ونحن له عابدون﴾** (البقرة ٢/ ١٣٨) وذلك عوداً بصبغة الله إلى الموصوف بها في الآيتين السابقتين ٢/ ١٣٦ ـ ١٣٧ وهو الأمر بالإيمان بجميع الرسل وبجميع ما أنزل إليهم، لأن هذا الإيمان هو دين الفطرة الإلهية، صبغة الله.

﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ـ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾ (٢/ ١٣٦ ـ ١٣٧).

﴿صبغة الله ومن أحسنُ من الله صبغة ونحن له عابدون﴾ (٢/ ١٣٨).

هنا:

وبإطلاق «صبغة الله» على العملية الطقوسية التي قام بها يوحنا المعمدان والمسيح يتحقق قول يوحنا وهو يغطُّ الناس في البرك والانهار «أنا أعمدكم الآن بالماء أما من يأتي بعدي فسوف يعمدكم بالروح ونار».

وممَّا يثبت أن هذه العملية، كانت تعني في الأصول المسيحية «حالة الصباغ» أن القديس يوحنا المعمدان، أُطلق عليه اسم «يوحنا الصابغ».

ولكنك:

بدلاً من أن تبين سبب ترجمة BABTISMOS بكلمة العماد التي لا تدل عليها تحدثت عن سواها في جميع الفقرات العشر التي جاءت في

البند التاسع عشر من مذكرتك، متجاوزاً أساس المسألة.

على أن هذا لن يمنعني من التوقف بعض الوقت عند بعض تلك الفقرات محللاً ومستفسراً في آن واحد.

أولاً:

قلت في الفقرة ب ـ المسيحية هي ثورة على اليهودية كما نرى في الإصحاحين ١٠ ـ ١٥ من أعمال الرسل.

ومن العودة إلى الإصحاحين المذكورين يتبين أن مضمونهما، لا يفيد «ثورة المسيحية على اليهودية».

١ ـ فالإصحاح ١٠ يتكون من ٤٨ آية تضمنت في أكثرها قصة «التقي كرنيليوس» الذي ظهر الملاك له في الرؤيا وكلفه بالشخوص إلى بطرس، الذي يقول له: ماذا ينبغي أن يفعل إلى آخر القصة التي تنتهي بإيمانه، وهو قائد مئة ومشهود له من كل أمة اليهود.

٢ ـ أما الإصحاح ١٥ فآياته الواحدة وأربعون اقتصرت على الختان وحفظ الناموس حيث اتفق الرسل والمشايخ على «الامتناع عن الذبح للأصنام، وعن الدم، والمخنوق، والزنا».

ويبدو من مجمل الآيات. أن بولس وبرنابا تساهلا في قبول الداخلين إلى دعوتهما فلم يشترطا عليهم الاختتان وحفظ طقوس الناموس كاملة. مما سبب مشكلة خلافيّة بينهما وبين الرسل في أورشليم الذين كانوا على طقوس الناموس ووجوب الختان (بطرس ـ توما ـ يعقوب رئيس البيت المقدس وبترك أورشليم).

ثم استقر الأمر أخيراً على الممنوعات المحددة أعلاه، دون التعرض للختان والناموس. ولقد كنا في الرقم ـ ثالثاً من البند الحادي عشر ـ بيّنّاً

أن استقلال المسيحية عن اليهودية، كان اجتهاداً من بولس الذي أمضى عمره العظيم مكافحاً في سبيله فلم يكتب له النصر، إلا في القرن الثاني. بعد سقوط السلطة اليهودية من فلسطين وأوردنا فقرات عديدة عن «إبطاله للناموس» وذلك بوضع أحكام دينية وسن تشريعات، تتجاوز شريعة موسى وتتعارض معها أحياناً وتنفيها وتندد بها أحياناً أُخرى. (متى: ٥/ ١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢١ ـ ٢٧).

كما نوهنا في ذات الرقم ثالثاً عن:

ـ رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية ٢/ ١ ـ ١٦ التي تضمنت قيام خصُومة حقيقية عقائدية بينه وبين باقي الرسل. الذين انضم إليهم برنابا وانقاد إلى ريائهم. وأن بولس أطلق عليهم اسم «الإخوة الكذبة» وأنه «لن يذعن لهم بالخضوع ولا ساعة». «وأنه يحمل إنجيله الخاص ليكرز به بين الأمم» وأنه المؤتمن على إنجيل الغرلة كما أٌتمن بطرس على إنجيل الختان.

٣ ـ إن استقلال المسيحية، الذي وصفته بأنه ثورة منها على اليهودية:

ـ لم يرد في أقوال المسيح، الذي ما فتىء يردد أنه مكمل لا ناقض، وأن كلمات الناموس وحروفه ونقاطه باقية إلى ما بعد زوال الأرض والسماء.

ـ ولم يرد في الأناجيل.

ـ فقط ورد في «أعمال الرسل» تجاوز اجتهادي من بولس، على اليهودية.

ولكن:

ـ إذا كان سفر الأعمال من تأليف وصياغة لوقا.

ـ ولم يكن لوقا، ولا بولس من تلاميذ المسيح، كما لم يشاهداه عياناً ولم يجر من المسيح تكليف لأي منهما بالكرازة قبل الصلب.

ـ وكان الذين امتلأوا بالروح القدس، هم الرسل فقط (أعمال ـ ٢/ ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤) و(تاريخ الكنيسة ـ ص ٢٠ ـ سطر ٣ ـ ١١ ـ ١٢ ـ ٢٥).

فإن سفر الأعمال:

ـ منقطع السند بين تاريخ إنشائه وتاريخ وقائعه.

ـ وليس لدينا نصوص مسيحية ثابتة تؤكد عصمة مؤلِّفِهِ التي تبعده عن الأخطاء، وتحصِّنه منها.

ثانياً:

جاء في صفحة ٧٢ ـ ٧٣ ـ ٧٤ من كتاب موريس بوكاي: «دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة» دراسة، نقدية للمسيحية البولسية والمسيحية اليهودية نوجزها بالآتي:

«يذكر الكاردينال (دانيللو) في مقاله (الكتابات المسيحية اليهودية) فيقول: لم تكن المسيحية اليهودية سائدة فقط، بالقدس وفلسطين، طيلة القرن الأول للكنيسة فقد تطورت البعثة اليهودية المسيحية فيما يبدو، في كل مكان قبل البعثة البولسية، وذلك أوضحته رسائل بولس التي كانت تشير دوماً إلى صراع قائم.

ـ إنهم نفس الأعداء الذين قابلهم حيثما ذهب، بغلاطية وكورنثة وكولوس وروما وأنطاكية. كان الساحل السوري ـ الفلسطيني من غزة إلى أنطاكية، حتى آسيا الصغرى، يهودياً مسيحياً، كما يشهد بذلك «سفر الأعمال» و «الكتابات الكليمنتية».

وغيرها: فوجود اليهود المسيحيين تشهد به رسائل بولس إلى

الغلاطيين والكولوسيين أما كتابات بانياس فهي تعطي معلومات عن اليهودية المسيحية بفرِيجي.و فيما يخص اليونان فتذكر رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس اليهود المسيحيين وبابوللس على وجه خاص. وتعد روما مركزاً هامّاً حسب رسالة كليمنت وراعي هرمياس. ويرى سويتون Suéton وتاسيت Tacite أن المسيحيين يشكلون طائفة يهودية.

ـ ويعتقد الكاردينال دانيللو أن أول تبشير بالأناجيل في إفريقيا كان يهودياً مسيحيّاً وإلى اليهودية يعزى إنجيل العبريين وكتابات كليمنت الإسكندري. إن معرفة هذه الوقائع أمر رئيسي حتى يُفهم في أي جو من الصراع بين الجماعات حررت الأناجيل. إن خروج النصوص التي نملكها اليوم إلى النور بدأ في عام ٧٠م بعد تعديلات في المصادر. وهي الفترة التي كانت الجماعتان المتنافستان في أوج صراعهما وكانت السيادة في ذلك الوضع لليهود المسيحيين ولكن الموقف انقلب تماماً بسبب حرب السبعين وسقوط القدس.

ـ ويشرح الكاردينال دانيللو أسباب الانهيار كالآتي:

لما كان اليهود منبوذين في الامبراطورية فقد نحا المسيحيون إلى الانفصال عنهم وعندئذٍ ساد المسيحيون الهللينستكيون. لقد حاز بولس على النصر بعد وفاته بهذا انفصلت المسيحية اجتماعياً وسياسياً، عن اليهودية لتكون ما يعرف بالشعب الثالث. برغم ذلك وحتى آخر التمرد اليهودي عام ١٤٠م كانت اليهودية المسيحية سائدة.

وفي عام ٧٠م وحتى فترة تحدد بما قبل عام ١١٠ نتجت أناجيل مرقس ومتَّى ولوقا ويوحنا. ولا تشكل هذه الأناجيل أولى الوثائق الثابتة في المسيحية فرسائل بولس، سابقة عليها ويرى أ. كولمان O'Colman أن بولس كتب رسالته في عام ٥٠م إلى أهل تسالونيكي. ولكن مما لا شك

فيه أنه مات قبل عدة سنوات من الانتهاء من إنجيل مرقس.

وإذا كان بولس أكثر وجوه المسيحية موضعاً للنقاش. وإذا كان قد اعتُبر خائناً لفكر المسيح ـ كما وصفته أسرة المسيح والحواريون الذين بقوا في القدس حول يعقوب ـ فذلك لأنه قد كوّن المسيحية على حساب هؤلاء الذين جمعهم المسيح من حوله لنشر تعاليمه. ومن المسموح به أن نتساءل:

ما كان يمكن للمسيحية أن تكون عليه دون بولس؟

ونستطيع في هذا المقام أن نضع افتراضات كثيرة. ولكن فيما يخص الأناجيل فليست هناك مجازفة كبيرة في أنه لولا جو الصراع بين الطوائف التي ولدت بانشقاق بولس لما حصلنا على الكتابات التي في حوزتنا اليوم.

إن هذه الكتابات الخصامية ـ كما يصفها الأب كانينجسر ـ قد ظهرت في فترة صراعٍ حاد بين الطائفتين وانبعثت من حشد كتابات عن المسيح. ففي هذا العصر شكلت المسيحية البولسية ـ بعد نصرها النهائي ـ نصوصها الرسمي أي القانون - Canon - الذي يستبعد جميع الوثائق الأُخرى التي لم تكن توافق الخط المختار من، الكنيسة ويعدها معاكسةً للأرثوذكسية.

ثالثاً: وقلتَ في البند التاسع:

ـ المسيح لم يعمَّد لأن المعمودية المسيحية تأسست يوم العنصرة. واعتمدتَ على الآيات الآتية: «وأما أنتم ففي الروح القدس تعمدون بعد أيامٍ غير كثيرة ـ أعمال ـ ١/ ٥».

«عمِّد الرسل قبل العنصرة إنما معمودية يوحنا ـ معمودية التوبة فقط دون حلول الروح القدس ـ يوحنا ـ ٧/ ٣٧ ـ ٣٩».

ونظراً إلى أن كلمات الآيات المدونة في مذكرتك تختلف بعض الشيء عما هي عليه في الكتاب: كما إنها في الأصل لا تعني ما ذهبت إليه تماماً.

لذلك قمت بإجراء مقارنات بين تلك النصوص فتوصلت إلى اقتباس المعاني الآتية:

١ ـ «**وبعد هذا جاء يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية** ومكث معهم هناك وكان يعمِّد. وكان يوحنا أيضاً يعمِّد في عين نون بقرب ساليم. لأنه كان هناك مياه كثيرة وكانوا يأتون ويعتمدون (يوحنا ٣/ ٢٢ ـ ٢٣)».

«وحدثت مباحثة من تلاميذ يوحنا مع يهود من جهة التطهير فجاؤوا إلى يوحنا وقالوا له يا معلم هوذا الذي كان معك عبر الأردن الذي أنت قد شهدت له هو يعمد والجميع يأتون إليه (يوحنا ٣/ ٢٥ ـ ٢٦)».

هذه النصوص.

تفيد بوضوح أن المسيح كان يعمِّد.

٢ ـ «**وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم** ـ بل ينتظروا موعد الآب الذي سمعتموه مني. لأن يوحنا عمد بالماء وأما أنتم فستتعمدون بالروح القدس. ليس بعد هذه الأيام بكثير (أعمال ١/ ٥)».

هذه الآية:

ـ لا تفيد أن المعمودية المسيحية لم تتأسس إلا بيوم العنصرة.

ـ إذ لو كان ذلك، حقيقياً، لما كان التعميد الذي قام به المسيح قبل يوم العنصرة تعميداً مسيحياً.

ـ على أية حال: هذا الخطاب، الوارد في الآية، يختص بالرسل الذين اختارهم وأراهم نفسه حياً وظهر لهم أربعين يوماً وهو يتكلم عن

الأمور المختصة بملكوت الله.

أولئك الرسل هم الذين كُلِّفوا بالانتظار في أورشليم حتى موعد الآب. (أعمال ١/ ١ ـ ٥).

٣ ـ «وفي اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً: «إن عطش أحدٌ فليُقبل إليّ ويشرب. من آمن بي ـ كما قال الكتاب ـ تجري في بطنه أنهار ماءٍ حي ـ يوحنا ـ ٧/ ٣٧ ـ ٣٨».

وهاتان الآيتان:

لا تفيدان شيئاً مما ذهبتَ إليه في الفقرة هـ ـ من البند التاسع.

إذ ليس فيهما شيء عن تعميد الرسل قبل العنصرة ـ بل ليس فيهما شيء عن التعميد.

٤ ـ هنالك التباس بين:

ـ ما جاء في يوحنا ٧/ ٣٧ ـ ٣٩ الذي تضمن أن يسوع حتى اليوم الأخير العظيم من العيد لم يكن قد مُجِّد، لأن الروح القدس لم يكن قد أعطي بعد.

وما جاء في يوحنا ـ ٣/ ٢٢ الذي تضمن أن المسيح، كان يعمِّد.

كذلك جاء أيضاً في متى ٤/ ٢٣ ومرقس ١/ ١٤ ـ ١٥.

والالتباس هو في صعوبة تصور المسيح فارغاً من الروح القدس لحظة واحدة.

وفي استحالة الافتراض، أنه كان في يوم من الأيام غير ممجَّد، وهو الذي يعطي المجد، ومنه وبه الروح القدس.

كما يلقي شبهة على التعميد الذي قام به المسيح أثناء حياة يوحنا.

رابعاً:

قلتَ: إن معمودية يسوع، تختلف عن معمودية يوحنا.

«لأن يوحنا حدد الفرق بين المعموديتين، بأنه يعمد بالماء أما معمودية الآتي بعده فهي بالروح القدس ونار».

و: «بولس لم يقبل معمودية يوحنا، فعمد معمودية يسوع.

غير أن كتب الإنجيل الأربعة لم تتضمن فرقاً عملياً، بين التعميدين.

فكلاهما: يسوع ويوحنا، كان يغط بالماء.

واستمر يسوع في ممارسة هذا الطقس، قبل وبعد استشهاد يوحنا.

أما روح القدس الذي يميز عمادة يسوع، فقد جاء في يوحنا ـ كما مرَّ سابقاً ـ أنه لم يُعط حتى اليوم الأخير العظيم من العيد. أي حتَّى ذلك اليوم لم يكن يسوع قد مُجِّد[1].

خامساً:

وفي تفسيرك لما جاء في لوقا ـ ٣/١٦ ـ ١٧ ومرقس ١/ ٢ ـ ٧ قلتَ:

«إن تنقية البيدر هنا تتم بتطهير أرواح الناس وفي الآخرة في الحساب».

ولكن:

«تنقية البيدر» و«جمع القمح» و«حرق التبن» ليست سوى رموز متلاحقة تفيد انتصار الرسالة، وجمع المؤمنين، وتطهيرهم من الشكوك والأوهام، وفرزهم فرزاً نهائياً عن العناصر الكافرة، التي سوف يكون حرقها من مهمة الآتي.

(١) هذا افتراض، ترفضه طبيعة المسيح الممجدة منذ ولادته.

هذه الإنجازات العظيمة. لم ينفذ منها شيء على يد يسوع. ولا في عهده. ولم يستطع رفش الهداية والتطهير أن يقوم بمهمته فوراً. بل كان عليه أن يكافح كفاحاً سرِّيّاً، تعمد بدماء الشهداء وتعبَّد بأجسادهم الطاهرة حتى أطلت أواسط العقد الثالث من القرن الرابع الميلادي. حيث استراح تحت مظلة الامبراطور قسطنطين الكبير.

وما دام:

أن عناية الآب شاءت:

- أن يكون يوحنا ابناً لأليصابات ويسوع ابناً لمريم والاثنتان نسيبتان.

- وأن يكون فارق السن بينهما ستة أشهر.

- وأن يبشِّرا في منطقة جغرافية واحدة هي فلسطين وبين قوم معينين هم اليهود.

- وأن يلتقيا فيقوم الأدنى بتعميد الأعلى.

نقول:

ما دام أن تلك هي حقائق إنجيلية.

فإن ضجيج يوحنا، وإعلانه الدؤوب: «ولكن يأتي بعدي من هو أقوى مني» يصعبُ منطقياً أن ينصرف إلى المسيح.

لأن «بعدي» تفيد عن القادم في المستقبل، لا المعاصر، المعروف، القريب الذي يعمِّد بذات الطريقة ويعمَّد بنفس الأسلوب.

وفوق هذا فإن الاستعدادات التي طلب يوحنا من الشعب أن يقوم بها تمهيداً لمجيء الآتي[1] تنطوي على مهمات شديدة لا يمكن تنفيذها في

---

(١) «أعدوا طريق الرب. اصنعوا سبله مستقيمة. كل واد يمتلىء، وكل جبلٍ وأكمةٍ تنخفض. وتصير المعوجات مستقيمة، والشعاب طرقاً سهلة ويبصر كل بشر =

أيام أو سنين بل لا بد من فترة زمنية طويلة يستطيع الدعاة فيها أن ينشروا عبادة الله، وأن يهيئوا النفوس لاستقبال الآتي وتقبل معمودية الروح التي لا تموت والنار التي لا تنطفىء[1].

ثم: وفوق ما تقدم:

هيا، لنقرأ، فقرات من الإصحاح ١١ من متى:

لنرى: مدلولها. وما تنطوي عليه من معانٍ بعيدة.

«الحق أقول لكم. لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ولكن الأصغر في ملكوت السماوات أعظم منه. ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن، ملكوت السماوات يُغصَب والغاصبون يختطفونه، لأن جميع الأنبياء، والنّاموس تنبأوا إلى يوحنا، وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي. من له أذنان للسمع فليسمع».
(متى ١١/ ١١ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤ ـ ١٥)».

إن هذا الكلام صادر عن المسيح. وهو صريح وواضح لا ينطوي على رمز.

وأوجه الاندهاش منه تتمثل في المحصلات التالية:

ـ المسيح، هو مولود من امرأة، وليس مخلوقاً، فهل يوحنّا أعظم منه؟

ـ إن كان يوحنا هو «إيليا المزمع أن يأتي» أو كان غيره «إيليا المزمع أن يأتي» فمن هو القادم «المعزي» الذي صرح المسيح بمجيئه، بعد انتقاله هو إلى أبيه؟

= خلاصه. متى ـ ٣/ ٤٣ ولوقا ـ ٣/ ٥».

(١) النار، قد تكون رمزاً للشريعة التي تستمر مع الزمن.

ـ وإن كان يوحنا، هو إيليا، فلماذا أرسل اثنين من تلاميذه وهو في السجن، ليسألا يسوع: «أنت الآتي أم ننتظر آخر ـ متى ١١/ ٢ ـ ٣» لأن إيليا لا يمكن أن تفوته معرفة المسيح، وبالتالي لا يمكن أن يكون مضطراً إلى التحقيق عن شخصه، والاستفسار عنه.

سادساً:

قلتَ في الفقرة ح ـ من البند التاسع:

«خلاص الله هو الصليب، فالمؤمنون به، ينتقلون بالمعمودية على رجاء القيامة والحياة الأبدية».

«وقد ذكر الأمير حسن مكزون السنجاري الصليب والقربان والماء».

«واعتمدت في ذلك على كتاب الدكتور أسعد علي (الجزء الثاني من معرفة الله والمكزون السنجاري ـ ص ٦٨».

حيث أخذتَ منه أبياتاً ثلاثة صححت في كل منها بعض الكلمات:

وتساءلت عن الإنجيل الذي ورد فيها وقلت: هل ذكر المؤلفون العرب القدماء إنجيلاً غير أناجيلنا؟

نظراً

لتعدد مواضيع هذه الفقرة.

ولأن لي عند كل منها رأياً، يختلف قليلاً أو كثيراً مع رأيك.

وضعت هذه النقاط كالآتي:

١ ـ أنا لا أستطيع موافقتك على «أن خلاص الله هو الصليب».

فالخلاص في الإيمان. و«خلاص الله هو في الإيمان الصادق بالله».

أما الصليب، فلا يعدو، أن يكون رمزاً، لأنه كان الأداة الصمَّاء التي

صار تنفيذ الفداء عليها، وهي آلة لا تبدىء ولا تعيد ولا تملك شيئاً من الأمر ولا تستطيع التفريق بين السيد المسيح، وبراباس.

يقول معجم اللاهوت الكتابي في بحث «موت يسوع الاختياري ص ٥٩٦ ـ ٥٩٧»: «إنه لفداءٌ غالي الثمن. حيث إنه يستبدل تقديم الذبائح غير العاقلة بالذبيحة الشخصية والاختيارية بعبد الرب فداءً عن كثيرين متى ٢٠/٢٨ ومرقس ١٠/ ٤٥. وسوف تكون ذبيحته هي وسيلة خلاصنا، وهذا الطابع الاختياري في موت يسوع هو الذي يقصد إبرازه القديس يوحنا في إنجيله ١٨/ ٤ ـ ٨».

إن كلمة الصليب:

تعني في اللسان العربي، الوَدَك «أي الصديد الذي يسيل من المقتول بهذه الطريقة والمقتول به سمي «مصلوباً» لما يسيل من «وَدَكِهِ».

أما قول المسيح: «احمل صليبك واتبعني» فهو رمز للاستشهاد في سبيل الحق. وفي زمنه كانت السلطة تنفذ حكم الإعدام بواسطة الصليب.

فإذا وجب علينا تقديس الصليب لأنه الأداة التي نفذ بها حكم إعدام المسيح وجب أيضاً تقديس السكين التي احتزت رأس يوحنا المعمدان والسيف الذي أطاح برأس القديس بولس، ووسائل القتل، التي قضى بها جميع القديسين الذين استشهدوا على طريق الحق.

التقديس:

في نظرنا هو «لعملية الاستشهاد في سبيل الله».

والعظمة هنا هي للسيد المسيح وليس للخشب الذي فاضت عليه نفسه الزكية.

فالصليب تقدس «كرمز» إلى واقعة معينة، شأنه كشأن «الحمامة» رمز

البراءة و«السمكة» رمز للأحرف اليونانية التي تتكون منها كلمة سمكة التي تبدأ بها جملة «يسوع ابن الله المخلِّص» و«المركب» رمز الكنيسة مخلصة البشر و«صياد السمك» رمز صياد الناس. و«البلح» رمز قيامة البشر و«الهيكل» رمز تكليل الصديقين في الحياة البشرية. و«شجرة الكرمة» الشكل الذي طبقه المسيح على نفسه (يوحنا ١٥) و«الراعي الصالح» و«الحمل» مثال يسوع. (تاريخ الكنيسة ص ١٥٣).

هذه الأسماء. واجبة التقديس توجُّهاً إلى ما ترمز إليه. دون التجمُّد على أشكالها العينية، ومثلها جميعاً خشبة الصليب.

٢ ـ هذا التقديس هو ممارسة عملية طقوسية، استجابة لفكرة «الصلب» التي استقل القديس بولس، في تصويرها على أنها «الإيمان الحقيقي» و«طريق الخلاص» وبها سقط العمل بجميع الوصايا والتعاليم السابقة له.

وتقوم هذه الفكرة على:

«أن الله قدم ابنه الحبيب ذبيحة للتكفير عن ذنوب البشر التي لحقتهم بالإرث عن جدهم آدم».

وبعدها:

أي بعد التنفيذ، بعد أن صُلب ابن الله غُفرت ذنوب البشر.

ونحن:

قبل أن نستعرض عمق هذه الفكرة، وبعدها السحيق في تواريخ الشعوب نود أن نشير إلى مجموعات النصوص الإنجيلية التي تتعارض مع افتراض غفران الخطايا بوقوع الصلب. وتتعارض مع الطابع الاختياري للصلب:

أ ـ لقد علَّم المسيحُ اتباعَه ما يجب أن يرددوه في صلواتهم، فقال لهم:

«متى صليتم فقولوا: أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض، خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم. واغفر لنا خطايانا لأننا نحن أيضاً نغفر لكل من يذنب إلينا ولا تدخلنا في تجربة. ولكن نجنا من الشرير».
(لوقا ١١/ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ومتى ـ ٦/ ٩ ـ ١٣).

ب ـ وفي متى ٦/ ٥ يضاف إلى ما جاء في لوقا:

«فإن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي. وإن لم تغفروا للناس زلاتهم. لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم».

جـ ـ وقوله لتلاميذه:

«إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه. ويحمل صليبه ويتبعني. فإنَّ من أراد أن يخلص نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها» (متى ١٦/ ٢٤ ـ ٢٥).

د ـ «حينئذٍ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها «جشيماني» فقال للتلاميذ «اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك. ثم أخذ معه بطرس وابني زبدى. وابتدأ يحزن ويكتئب. فقال لهم: نفسي حزينة جداً حتى الموت. امكثوا ههنا واسهروا معي، ثم تقدّم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلي قائلاً: يا أبتاه إن أمكن فلتعبُر عني هذه الكأس. ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت (متى ٢٦/ ٣٦ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠).

«فمضى ثانية أيضاً، وصلى قائلاً: يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك ٢٦/ ٤٣».

«فتركهم ومضى أيضاً وصلى ثالثة قائلاً ذلك الكلام بعينه ـ ٢٦/ ٤٤».

«ثم جاء إلى تلاميذه وقال لهم: ناموا الآن واستريحوا، هوذا الساعة قد اقتربت وابن الإنسان يسلَّم إلى أيدي الخطاة ـ ٢٦/ ٤٥»[1].

هذه الأقوال، مع اختلافٍ بسيط في النصوص وردت في مرقس ـ ١٤/ ٣٦ وفي لوقا ٢٢/ ٣٩ ـ ٤٤.

وفي الأناجيل الثلاثة يصرخ المسيح بصوتٍ عال على خشبة الصليب: «إيلي إيلي لماذا شبقتني؟ ـ أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟».
(متى ٢٧/ ٤٦ ولوقا ٢٣/ ٤٦ ومرقس ١٥/ ٣٤).

من هذه النصوص ومن سواها، مما لم يسعفنا الوقت في العثور عليها يتبين:

ـ أن ابن آدم خطّاء، ما دام حياً، قبل الفداء وبعده، وأنه سوف يمثل يوم الدينونة ليحاسب عن أخطائه، وليس عن خطيئة جده آدام وجدته حواء. وأن خلاصه، لن يكون إلا بإيمانه المقرون بالعمل الصادر عنه.

ـ إن المسيح لم يكن راغباً، بلقاء هذا المصير الرهيب، لأن الراغب بالشيء والساعي إليه لا يخر على وجهه مصلياً لله كي يصرفه عنه.

بعد ما تقدم:

سألنا تواريخ الشعوب، عن «فكرة الخلاص البشري بذبح أحد الآلهة، فداءً عن الخطيئة الأبدية القائمة منذ الوجود الأول».

فوجدنا جذور هذه الفكرة راسخة في عقائد عدد كبير من الشعوب، منها:

---

(١) يُسلَّم إلى أيدي الخطاة، وليس: يسلِّم نفسه.

أ ـ إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة، فداءً عن الخطيئة، قديم العهد جداً، عند الهنود وغيرهم.

وذكر هذه العقيدة عند الهنود سابق لعصر الفديك ـ Vedice [(١)].

وكتاب «الرَكْفدا» يمثل الآلهة يقدمون «بروشاد» الذكر الأول، قرباناً ويعدونه مساوياً للخالق.

وقد جاء في كتاب «التزيا برهمانا»: أن سيد المخلوقات «پرجاباتي» قُدم ذبيحة للآلهة.

وفي كتاب «خرافات التوراة وما يماثلها في الديانات الأُخرى» قال دوان:

«يعتقد الهنود بأن كرشنا المولود البكر، الذي هو نفس الإله فشنو، الذي لا ابتداء ولا انتهاء له ـ على رأيهم ـ تحرك حُنوّاً كي يخلص الأرض من ثقل حملها، فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة».

ـ وقال هوك في ص ٣٢٦ ـ من المجلد الأول من رحلته:

«ويعتقد الهنود الوثَنيون بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه فداءً عن الناس من الخطيئة».

ـ وقال القس جورج كوكس في كتابه «الآثار المسيحية»:

«يصف الهنود كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتاً لأنه قدم شخصه ذبيحة ويقولون: إن عمله هذا لا يقدر عليه أحد سواه».

ـ وقال المسيو كوينيو في كتابه: «الديانات القديمة»:

---

(١) الفديك vedic ـ معناها العلم بالديانات، وهي أربعة مجلدات من الشعر كتبت قبل ميلاد السيد المسيح بألف عام.

«يذكر الهنود موت كرشنا بأشكالٍ متعددة: أهمها أنه مات معلقاً على شجرة سُمِّر بها بضربةِ حربة».

ـ ويقول دوان:

«المقصود من الشجرة هو الصليب. وإن المستر مور صوَّر كرشنا مصلوباً كما هو مصوَّر في كتب الهنود. مثقوب اليدين والرجلين ومعلقةً بقميصه صورة قلب الإنسان» ومن ألقاب كرشنا عندهم «الغافر من الخطايا والمخلص من أفعى الموت»[1].

ـ وفي النيبال يعبدون «أندرا» ويصورونه مصلوباً ويقولون: «إن دمه سفك بالصلب، وثقبت يداه ورجلاه بالمسامير كي يخلص البشر من ذنوبهم وصورة الصلب موجودة في كتبهم»[2].

ـ وجاء في ترنيمةٍ لبوذا:

«عاينتَ الاضطهاد والامتهان والسجن والموت بصبرٍ وحب عظيم، لجلب السعادة للناس وسامحت المسيئين إليك...».

ويدَّعون:

أن بوذا الطبيب العظيم، ومخلص العالم، قدَّم نفسه ذبيحة ليكفر عن آثام البشر ويجعلهم ورثاء ملكوت السماوات.

ـ وقال «ل. هوك»:

«إن بوذا هو ـ في نظرهم ـ إله وإنسان معاً وإنه تجسَّد بالناسوت في هذا العالم يهدي الناس ويفديهم ويبيِّن لهم طريق الأمان. وهذا التجسد اللاهوتي يعتقده البوذيون كافة، كما يعتقدون أن بوذا مخلِّص الناس. ـ

---

(١) خرافات التوراة ـ ص ـ ١٨٤.

(٢) هيجن في كتابه: ـ thecelti - k druids

رحلة هوك ـ المجلد الأول».

ـ وقال مكس مولر:

«يزعم البوذيون أن بوذا قال: دعوا كل الآثام التي ارتكبت في هذا العالم تقع علي كي يخلُصَ العالم»[١].

ـ وقال العلامة بيل:

«قال بوجانا، سأتخذ جسداً ناسوتياً وأنزل فأولد بين الناس لأمنحهم السلام وراحة الجسد وأزيل أحزان وأتراح العالم[٢]».

ـ وقال وليمس:

«يقول الهنود: ومن رحمته ـ أي بوذا ـ تركه للفردوس ومجيئه إلى الدنيا من أجل خطايا بني الإنسان وشفائهم كي يبررهم من ذنوبهم ويزيل عنهم القصاص الذي يستحقونه»[٣].

ب ـ وفي الصين. قال دوان[٤]:

«القدوس تيان، واحد مع الله، منذ الأزل، قبل كل شيء، ولأجل الناس يموت ليخلص العالم. وهو الوحيد القادر على أن يقدّم للرب ذبيحة تليق به».

جـ ـ وعند المصريين يقول موري في كتابه «الخرافات»:

«إنهم يحترمون أوزيريس ويعدونه أعظم مثالٍ لتقديم النفس ذبيحة لينال الناس الحياة».

---

(١) تاريخ آداب اللغة السنسكريتية ـ ص ـ ٨٠

(٢) تاريخ بوذا ـ ص ـ ٣٣.

(٣) ديانة الهنود ص ـ ٢١٤.

(٤) خرافات التوراة وما يماثلها في الديانات القديمة ـ ص ـ ١٨١ ـ ١٨٢.

وقال دوان، نقلاً عن السر ولكنسون:

«إن تألُّم وموتَ أوزيريس، هما السر العظيم في ديانة المصريين. وبعض آثار هذه العقيدة ظاهر في ديانات الأمم. وكيفية ظهوره على الأرض وموته وقيامته من بين الأموات، وأنه سيكون ديان الأموات في اليوم الأخير. جميعها عند المصريين، تشبه ما عند الهنود».

د ـ وعند الفريجيين الذين كانوا يقطنون في آسيا الصغرى:

يدَّعون أن «هورس» هو الفادي والمخلص وإله الحياة الأبدي المولود الوحيد.

هـ ـ وكان السوريون يقولون:

«إن تموز الإله البكر المولود من عذراء، تألم من أجل الناس».

ويدعونه المخلص، والفادي، والمصلوب، وكانوا يحتفلون في يومٍ مخصوص من السنة تذكراً لموته، فيصنعون صنماً على أنه هو، يضعونه على فراش ويندبونه والكهنة ترتل قائلة: ثقوا بربكم فإن الآلام التي قاساها قد جلبت لنا الخلاص...

و ـ أما عند اليونان:

فرواية صلب القراسيوس التي كتبها آسيوس، في أثينا، قبل المسيح بخمسماية عام هي أقدم شعرٍ باقٍ إلى الآن، بخصوص الصلب.

فالقارىء لا يتمالك نفسه من الانفعال الكبير وهو يقرأ تأثر وحزن الذين كانوا يعتقدون بألوهية المصلوب. فهو خالقهم ونافعهم ومخلصهم.

وجلده، شُفُوا. وقد ظَهَر صبرُهُ العظيم حينما كانت كهنة الشر تسمِّر يديه ورجليه»[1].

ز ـ وعند الوثنيين الرومان:

كان «باخوس» ابن المشتري الوحيد، من العذراء البديعة «سميل» هو المخلِّص حامل الخطايا، وهو الفادي بتحرير الأرض من الأوزار، وتخليص المذنبين في العالم.

وقال باخوس الفادي، للأمم:

«أنا مُرشدكم وحاميكم، وفاديكم، أنا الألِفُ والأميكا».

ـ وكان هيركلوس بن زنيس يدعى المخلِّص، والابن الوحيد، والكلمة، وأنه عاد واتحد مع الإله، وأنه مكوِّن كل شيء. وهو أبو الزمان.

ـ كذلك:

«اسكولابيوس» و «أپولو» كان كل منهما يدعى المخلِّص[2].

ـ قال دوان:

«كان الرومان يؤلهون ملوكهم ويعبدونهم ومنهم: رومولوس، مؤسس رومية ويدعونه ابن الله، ولد من العذراء واسيلفيا، ويقولون عن يوليوس، «ابن الله» كذلك يقولون عن «بلاتو» ابن الله، الذي ولد بعام ٤٢٩ق.م في أثينا من عذراء نقيَّة طاهرة نذر خطيبها «إيريس» في المنام ألا يمسَّها ولا يقترب منها، حتى تضع حملها، لأنها وجدت حُبلى من الإله أپولو»[3].

---

(١) دوان ـ خرافات التوراة ـ ص ـ ١٩٢.

(٢) خرافات التوراة: ـ ص ١٩٣.

(٣) خرافات التوراة ـ ص ـ ١٢٥.

جـ ـ و«مثراس» عند الفرس هو الوسيط بين الله والناس، وأنه بتألمه فَدَى الناس وخلّصهم ويدعونه «الكلمة» و «الفادي».

ويعتقدون أن «زورستر» مرسل إلهي ليخلص الناس من الشرور.

ولما ولد ظهر نورٌ أضاء الغرفة، وأنه ضحك لأمه حين ولادته[1].

ط ـ والمكسيكيون ـ عبدوا إلهاً مصلوباً دعوه المخلص الذي ولد من عذراء بتول طاهرة وكانوا يقولون: إنه رسول من السماء، بُشِّرَت أمُّه بأنها ستحمل به من غير مضاجعة رجل. واسم أمه العذراء: «جوبشيكترال ـ ملكة السماء».

هذه الفقرة التاريخية المحمولة على الحروف من (أ ـ ط).

مقتبسة، اقتباساً من الكتاب المقدس في الميزان، لمؤلفه الشيخ محمد علي برُّو، الذي تناول أسانيده التاريخية من مصادرها المباشرة.

٣ ـ وقلتَ في الفقرة «ط» من البند التاسع عشر:

«وقد ذكر الأمير حسن المكزون السنجاري «الصليب» و«القربان» و«الماء» وذلك ثابت في ص ٦٨ من الجزء الثاني من مؤلف الدكتور «أسعد» عن المكزون، بالأبيات التالية:

ورايات الصليب إلي تسري ... وقد شهر السلاح له السليحُ
وإنجيلي على صدري وكفي ... بها كأسي وقديسي سطيحُ
وأسقى من حميم الظل ماءً ... به لمزاج أتراحي يزيحُ

وعلقت قائلاً:

أ ـ السليح، لفظة سريانية تعني الرسول.

---

(١) خرافات التوراة ـ ص ـ ١٩٣.

وقديسي ـ الصحيح ـ قداسي لأن بها المعنى يصح.

وحميم الظل ـ الصحيح ـ الطَّل فيصبح المعنى ماء.

ب ـ أي إنجيل هذا؟ هل ذكر المؤلفون العرب القدماء غير أناجيلنا؟ هل ذكروا إنجيل برنابا؟

فعن ذلك، أبدي بعض التحفظات كالآتي:

ـ مع أنني لست ملمّاً بالسريانية أستعد أن يكون المكزون قد استخدم في «حائيته» لفظاً غير عربي، لأنه من مفكري وشعراء القرن السادس الهجري المميزين مما دعا بعض النقاد إلى اعتباره أحق من المعري بلقب «فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة».

لذلك: ينبغي أن نلتمس للكلمة معناها العربي.

فالسليح، على وزن فعيل، من أوزان المبالغة، وهي من «تسلَّح» وجاءت بهذا الوزن لتفيد تمام التسليح وكماله.

وبذلك: تكون رايات الصليب مدعومةً ومحمية، بمن تقلَّد سلاحه الكامل.

وإذا تعاملنا بالرمز مع الكلمة، يكون السلاح الداعم لرايات الصليب هو سلاح الإيمان والعلم ومكارم الأخلاق.

ـ كما نرى أن «قديسي» هو مقصود الشاعر، لأنها مبتدأ وخبره سطيح، وكلا اللفظين معرفة، فالأول عرفته الإضافة والثاني عرفته العَلَميَّة.

وسطيح: هو الكاهن الذئبي، من بني ذئب، كان يتكهن في الجاهلية وقد سمي بهذا الاسم، لأنه كان إذا غضب قعد منبسطاً فيما زعموا.

وقيل: سمي بذلك. لأنه لم يكن له بين مفاصله قصب تعمده، فكان

منبسطاً سطيحاً على الأرض لا يقدر على قيام ولا قعود. ويُقال: لم يكن له عظم غير رأسه، وقد عمَّر مئة وخمسين سنة كما روى الأزهري عن مخزوم بن هانىء عن أبيه.

أما الرأي باستبدال كلمة «قديسي» ووضع «قداسي» مكانها، فذلك ـ في نظري ـ يخل بالمعنى ـ خللاً جوهرياً، إذ لا يعقل أن يكون «القداس» سطيحاً، أي مستلقياً على ظهره فاقد أهلية المرونة والتشخيص العادي.

٤ ـ وثمة بحث، عن العماد:

وجدت، لزاماً علي، أن أفرد له فقرة، لأنه، ينطوي في المسيحية، على سر عظيم، هو «سر الولادة الجديدة في المسيح». ولأنه من الطقوس البارزة في ديانات العديد من الشعوب. وكانت محطته الأخيرة عند المسيحية.

لذلك:

ـ قمت بجولة خاطفة، على المسيرة التاريخية لطقس «العماد» مستنداً إلى بعض المصادر التي تطرح نفسها في جملة مصادر التاريخ.

ـ وحرصت على أن يكون العماد المسيحي، هو الفقرة الأولى التي أبتدىء بها جولتي التاريخية:

أ ـ في المسيحية:

هو إحدى صور التعبد الهامة في المسيحية.

ففي معجم اللاهوت الكتابي: ص ـ ٧٥٤ ـ ٧٥٥:

ورد الحديث عن العماد بالقول: «العماد هو تغطيس بالماء أو غسل». ورمزية الماء كعلامة تطهير أو حياة، هي كثيرة الشيوع في تاريخ الأديان، فلا غرابة إن وجدناها في الأسرار الوثنية. إلا أن أوجه الشبه بينها

وبين السر المسيحي خارجية فقط ولا تتصل بالحقائق العميقة».

والمعمودية عند المسيحيين نوعان:

أولهما: عماد يوحنا الذي كان يهدف إلى الضم والإلحاق بالشعب الإسرائيلي. هو معروض على الشعب اليهودي بأسره. وهو بصفته تلك، تدبير موقت، يحقق نوعاً من الاندماج في ذرية إبراهيم أي من تبقى من إسرائيل ممن نجَا من غضب الله وهم ينتظرون العماد. لذلك كان هذا العماد بالماء.

الثاني: هو عماد المسيح، الذي بدأ بالماء والروح وتحول إلى عماد بالروح والنار في يوم العنصرة، فالتغطيس يمثل موت المسيح ودفنه والإخراج من الماء يمثل القيامة والاتحاد بالمسيح.

فالعماد ـ كما يقول القديسان بولس ويوحنا ـ يميت الجسد من حيث إنه أداة الخطيئة، والغسل بالماء الطاهر هو رش دم المسيح الذي هو أبلغ من دم هابيل. وبذلك ـ يقول القديسان ـ العماد هو سرٌّ فصحي، يموت فيه المعمد من حيث الخطيئة ويحيا من أجل الله. والتحويل هو خلع للإنسان العتيق وموته وارتداءٌ للإنسان الجديد وخلقٌ على صورة الله من جديد.

(هذا ما جاء في معجم اللاهوت الكتابي، اعتماداً على تعاليم القديسين بولس ويوحنا. دون أن يشير المعجم إلى مصدر قولي أو عملي، صادر عن المسيح).

وفي معجم اللاهوت الكاثوليكي: قال كارل راهنر:

«لما كان سر العماد. السر الأول والأساسي، وجب أن يُفْهَم من خلال علاقته التاريخية بنظرية الكنيسة الكاثوليكية القائلة: «إنه سر الولادة الجديدة المطهَّرة المقدسة» (ص ـ ٢٢٤ ـ ٢٢٥).

وقال أيضاً:

«يستعيد طقس العماد رمز التغطيس المقدس والطقسي الذي كانت تستعمله الديانات منذ القديم».

وفي يوحنا ٣/ ٥ ولوقا ١٦/ ٦:

تحديد شديد بأن الولادة من الروح لا تكون إلا بالعماد:

«كيف يمكن الإنسان أن يولد وهو شيخ؟ ألعله يقدر أن يدخل بطن أمِّه ثانية ويولد؟ أجاب يسوع: الحق الحق أقول لك: إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل في ملكوت الله. المولود من الجسد جسد والمولود من الروح هو روح» (يوحنا ٣/ ٤ ـ ٥ ـ ٦).

والأصول المتبعة في العماد المسيحي هي نفس الأصول والإجراءات والمراسم عند القدماء، وهي تتلخص بالآتي:

ـ صب الماء (رش أو تغطيس) مرفقاً بقول الكاهن: «أنا أعمدك يا فلان مع دعوة الثالوث الأقدس باسم الآب والابن والروح القدس.

ـ إطلاق اسم أحد القديسين على الطفل. ليكون اسمه الخاص وشفيعه وحاميه.

إعلان «محو الخطيئة الأولى» وقبول المعمد في الدين المسيحي

وقبل أن نقدم سرداً لطقوس العماد في الديانات القديمة ـ نود وضع نصين ثابتي المصدر بينهما فاصل زمني يزيد على خمسماية سنة. وكلاهما يتحدث عن عملية العماد.

الأول: من إنجيل متى ٣/ ١٣ ـ ١٦ يقول:

«وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل، واعتمد من يوحنا في الأردن وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السماوات قد انشقت والروح مثل حمامةٍ نازلاً عليه».

الثاني: من كتاب «الملاك يسوع ـ ص ٤٥» يقول:

«وقد عُمِّد بوذا المخلِّص وحين عمادته بالماء كان روح الله حاضراً وهو لم يكن الإله العظيم فقط بل وروح القدس الذي صار تجسَّد «كوتاما» لمّا حلَّ على العذراء مايا».

ب ـ بعد ذلك:

نشد الانتباه إلى الإجراءات والمراسم الذي كانت تسبق وترافق وتلحق عملية العماد عند الأقدمين. كما يلي:

العمادة هي من أقدم العبادات عند الوثنيين القدماء.

فقد كانوا يعتقدون بأن ماء التعميد يزيل الخطايا، وكانوا يسمون الكهنة القائمين على حافة الأنهار لاستقبال الطالبين «أبناء الشمس»[(١)].

وكان الكاهن البرهمي يأخذ الطفل فيلطخه بالوحل ثم يغمسه بالماء ثلاث مرات وعند غمسه في كل مرة يتلو: «يا أيها الرب العظيم إن هذا الطفل خاطىء تلطخ بالخطيئة كتلطّخه من وحل هذه القناة فكما أن الماء ينظفه من الوحل طهِّره وخلصه من الخطيئة.

جـ ـ وفي الفرس، وعند المصريين، واليونان، والرومان.

---

(١) كتاب التفصيل والتحليل لأمبرلي ـ ص ـ ٦١. والملاك المسيح لبنسون ص ـ ٤٢ وليلي في الديانة البوذية ـ ص ـ ٥٥ ـ ١٣٤.

كانوا يقومون بنفس المراسم، التي يقوم بها البرهميون فكانوا حين إجراء العمادة: «يصلون ويتوسلون للشمس، ويأخذون على الشخص الأيمان المغلظة على أداء الطاعة للكهنة وحفظ الأسرار والنظافة على جسده، ثم يرشون الشخص بالماء ثلاث مرَّات ويخاطبونه بما يوافق المقام، ويعدون الرش بالماء (الخلق الجديد) ويُلبِسُون الشخص ثوباً خاصاً وإكليلاً، ويرسمون على جبينه صليباً، ويضعون على صدره صليباً من شكل صلبان (تو).

د ـ وعند الرومان كانت العمادة تتخذ الإجراءات الإضافية التالية:

«كان تعميد الذكور في اليوم التاسع للولادة والإناث في اليوم الثامن».

«بعد العمادة يعطي الكاهن للأبوين ورقة شهادة على أن ولدهما عُمِّد وخُلِقَ ثانية، وبعد ذلك لهم الحق أن يعدوه من العائلة، ويتخذون هذا اليوم عيداً عظيماً.

هـ ـ كانت هذه المراسم سائدةً عند:

«الأسوجيين» و«النروجيين» و«الدانمارك» و«الجرمان» و«قدماء الدريديين» و«المكسيكيين».

وفي المكسيك، كان يدعى الأقارب والأصدقاء إلى بيت والد الطفل، ويقيمون الاحتفال بالعمادة التي يعتبرونها، الولادة الثانية.

و ـ وفي البرازيل كان الأولاد من الذكور والإناث يعمَّدون في الهيكل المسمى «هيكل الصليب» وذلك بصب الماء من إبريق. ويسمون ماء العمادة «ماء الولادة الثانية»[١].

---

(١) قصة الحضارة ٦/ ٣٤٢ وخرافات التوراة ـ ص ـ ٣٢٠.

تلك النبذة عن طقس العمادة عند الأقدمين. الذين سبقوا المسيحية بعشرات القرون. ندين بعرضها ـ اقتباساً ـ إلى كتاب: «الكتاب المقدس في الميزان» لمؤلفه الشيخ محمد علي برو ـ وللمعجمين اللاهوتيين (الكتابي والكاثوليكي) وقد قُمنا بسردِ طقوس العمادة عند الأمم القديمة إلى جانب هذا الطقس التعبدي المسيحي، دون تعليق.

رابع عشر ـ حلول المعمودية محل الختان

قلتَ في البند الثالث والعشرين:

«يسوع أنهى حكم الشريعة اليهودية ـ غلاطية ـ ٤/ ٤ ـ ٥».

«الختان المسيحي هو المعمودية (رومية ـ ٦) و(كولوسي ـ ٢/ ٩ ـ ١٢).

ونظراً إلى أن ما تقدمتَ به سواءٌ من جهة «انتهاء حكم الشريعة، أم من جهة اعتبار المعمودية هي الختان، اعتمدت فيه، على نصٍ إنجيلي قاطع.

كان لا بد من العودة إلى النص المعتمد، للوقوف على كلماته كلمةً كلمة:

١ ـ «ولكن لمَّا جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة. مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذي تحت الناموس لننال التبني» (غلاطية ٤/ ٤ ـ ٥).

هذا النص، لا يفهم منه:

«أن المسيح أنهى حكم الشريعة».

بل «وُلِد تحت الناموس ـ أي: خاضعاً لحكم الشريعة».

و «ولم يُلغِ أو ينقض، بل جاء ليفتدي الذين تحت الناموس»[1].

٢ ـ أما الإصحاح السادس من الرسالة إلى أهل رومية.

فلم أجد فيها شيئاً عن الختان، كما لم أجد فيها كلمة عن المعمودية.

لقد تضمنت رموزاً، لا تنحصر في مفهوم الختان، مثل:

«إذن لا تملكن الخطيئة في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته. ولا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر لله ٢/ ١٢ ـ ١٣».

فالتحذير:

من استعمال أعضاء الجسد لارتكاب الخطايا، ليس مقصوداً على «آلة الجنس» بل يشمل جميع الأعضاء، فالعين الزانية ترتكب، واليد الظالمة والسارقة ترتكب والقدم الضاربة على طريق الضلال ترتكب، وكذلك باقي الأعضاء.

٣ ـ وفي الإصحاح الثاني من كولوسي:

نجد الرسول بولس يقول: «أنتم ختنتُم بيسوع، ختاناً غير مصنوع بيد، بخلق جسم خطايا البشرية بختان المسيح، مدفونين معه في المعمودية التي فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات (كولوسي ٢/ ١١ ـ ١٢)».

هذا النص:

ـ صادر عن القديس بولس وليس عن المسيح.

---

(١) من الثابت أن صوت يوحنا المعمدان وعماده كانا يتحركان من خلال الناموس، ولمصلحة بني إسرائيل كما جاء في معجم اللاهوت الكتابي ـ ص ـ ٣٥٤.

ـ الشريعة، هي من وحي الله على النبي موسى، فلا يمكن نسخها، ولا إلغاؤها إلا بوحي صادر عن الله، أو بتصرف صادر عن المسيح مباشرة.

ـ طول عهد يوحنا المعمدان والمسيح، كان الختان طقساً مسيحياً عبادياً إلى جانب طقس العماد العبادي، لم يحل أحدٌ محل الآخر ولم يُغن عنه والمسيح، ختن وعمِّد، ولم يصدر عنه قول بإلغاء أحدهما أو حلوله محل الثاني.

ـ النص لا يصرح بحلول المعمودية محل الختان أو أن التعميد يغني عن الختان إذ لكل منهما حكمه وموضعه الخاص.

ومن المعلوم ـ كما يفيد سفر أعمال الرسل ـ أن إلغاء الختان، تم باجتهاد شخصي من بولس وأن ذلك كان مثار صراع شديد بينه وبين الرسل في أورشليم، حيث تمت تسوية في آخر الأمر، على أن يكون التساهل في الختان بين الأمم فقط. لذلك يقول بولس: «أنا ٱئتُمِنت على إنجيل الغرلة كما ٱئتُمن بطرس على إنجيل الختان»[1].

٤ ـ وتحويل معمودية الماء إلى معمودية الروح والنار.

لم يكن ـ كما قلت ـ بفعل المسيح، ولا بممارساته.

بل، عن يوحنا المعمدان، صدرت العبارة «تاركاً معمودية الروح القدس والنار» إلى الآتي بعده.

أما العمادة التي قام بها المسيح، في حياة يوحنا، قبل وبعد سجنه، والتي استمرت إلى ما بعد استشهاده، فقد مورِست من قبل المعلم بذات الأسلوب والإجراءات المادية والآليات الحركية التي مارسها يوحنا المعمدان قبله.

(١) لم يصدر عن المسيح أو تلاميذه هذا التفريق في الإنجيل.

ـ جاء في إنجيل متى:

«تقدم يسوع وكلمهم قائلاً: دُفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس».

وجاء في رسالة بولس إلى أهل كورنثوس:

«إن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها نفسه أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم اصنعوا هذا لذكري»

وقال بعد العشاء:

«هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري. فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذا الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء».

هذه النصوص:

ـ أبقت على الطبيعة المقدسة لطقس العمادة.

ـ ومع أن ألفاظها تغيرت في المسيحية عن اليهودية وسواها فإنها لم تهجر التعميد بالماء، ولم تحوّله إلى التعميد بالروح والنار إلا رمزاً.

خامس عشر: الأيقونات:

وقلتَ بشيءٍ من الاعتزاز والتفاخر، في الفقرة ٢ من البند الحادي عشر:

«رافائيل نحّات بارع، إنما الأيقونات الأرثوذكسية الأصيلة العريقة أجمل من تماثيله. أخذت الآن تكتسح الغرب، في روسيا أيقونات مدهشة

تعجز أميركا عن شرائها، لأن ثمنها مليارات من الدولارات الكثيرة، قد تدفع ببعضها مليار دولار للأيقونة الواحدة».

هذا القول، أربكني:

ـ لأني لست مغلق المعرفة عن «حرب الأيقونات» الذي عمَّ العالم المسيحي أكثر من قرن (ما بين حكم الإمبراطور لاون الإيسافري ـ (٧١٧ ـ ٧٤١) وحكم الأوصياء، تيوكتيست وفاردا ومنوئيل وثيوذوره، الذي دعا إلى المجمع السابع المسكوني ورعاه في الأول من الصوم الكبير الواقع بيوم الأحد في ١٩ شباط ٨٤١».

ـ ولأنه لم يتم الإجماع على التفريق بين أن يكون السجود للأيقونة أم للشخص المرسوم عليها، حيث بذل المؤيدون جهوداً مضنية، وتحملوا أنواعاً عديدة شديدة من الإذلال والتعذيب لكي يقنعوا الآخرين بأن من يسجُدُ أمام الأيقونة يجب عليه أن يرتفع بقلبه وعقله عن المنظور إلى غير المنظور، وبالرغم من مقررات المجمع السابق بشأن الأيقونات فما يزال «التكريم والتقديس» لها محاطاً بشروط ليست على الدوام، مستمرة التنفيذ، وخاصة من الشعب الذي لا يملك الوفير من التفكير اللاهوتي:

ـ وهذا، في رأيي، هو الذي حتَّم إقصاء الأيقونات عن متناول اللمس والنظر وإخفاء الثمين منها في الأماكن البعيدة المأمونة من الكنائس والأديرة[١].

---

(١) أصدر الأمبراطور لاون الإيسافري في سنة ٧٢٦ ـ م مرسوماً بوضع الأيقونات في أمكنة عالية حتى لا يصل الشعب إليها، ويقبِّلها، وكان ضد تقديس الأيقونات، ولكن قام ضد أوامره بطريرك القسطنطينية الأب جرمانوس، وتبعه في احترامها يوحنا الدمشقي، الذي كتب رسالة حادة ضد حرب الأيقونات. كما اندفع =

ـ في عام ٧٥٤ ـ دعا الإمبراطور «كبرونيم» إلى مجمع مسكوني حضره ٣٣٨ أسقفاً دون أن يتوفر بينهم وجود بترك واحد فأصدر المجمع المقررات التالية:

«إن إكرام الأيقونات هو عبادة أوثان».

«إن صورة المسيح المخلص الوحيدة هي في «الإفخارستيا ـ سر الشكر».

«رشَقَ بالأناثيما، جميع المدافعين عن إكرام الأيقونات والذين يكرمونها وخصوصاً يوحنا الدمشقي، ووضع قانوناً ضد من يكرمها مفرقاً بين أن يكون الشخص روحانياً فينزل من درجته الكهنوتية، وإذا كان علمانياً أو راهباً فليفرز من الكنيسة ويتعرض إلى القصاص بموجب القوانين الإمبراطورية.

ـ ومع ذلك:

وبالرغم من أساليب القسوة البالغة، التي اعتمدت لتنفيذ مقررات المجمع فقد استطاع الأرثوذكسيون حفظ الأيقونات في الأماكن البعيدة عن أعين البوليس، وظلوا على نضالهم الدؤوب حتى انعقد المجمع المسكوني بعام ٧٨٧م بدعوة من الملكة «إيرينا». حيث قام هذا المجمع بدرس أعمال المجمع المنعقد في عام ٧٤٥م فوجدها أعمالاً هرطوقية لذلك:

«رشقها ورشق آباء ذلك المجمع (السابع) بالحرم»[١].

= لإكرامها البابا غريغوريوس الثاني. (تاريخ الكنيسة ص ـ ٢٨٤)

(١) تاريخ الكنيسة ص ـ ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

سادس عشر: معرفة يسوع: لبطرس ويوحنا

أ ـ جاء في يوحنا ١/ ٤٠ ـ ٤١ ـ ٤٢:

«كان أندراوس أخو بطرس (سمعان) واحداً من الاثنين اللذين سمعا يوحنا، وتبعاه، هذا وجد أخاه «سمعان» فقال له: قد وجدنا مسيا الذي تفسيره «المسيح». فجاء به إلى يسوع، فنظر إليه يسوع وقال له: أنت سمعان بن يونا، أنت تدعى، صفا، الذي تفسيره بطرس.

ـ وجاء في متى ٤/ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠:

«وإذ كان يسوع ماشياً عند بحر الجليل، أبصر أخوين، سمعان الذي يقال له بطرس، وأندراوس أخاه، يلقيان شبكة في البحر، فإنهما كانا صيادين، فقال لهما: هلمّ ورائي فأجعلكما صيادي الناس، فللوقت تركا الشباك وتبعاه».

ـ وجاء في مرقس ١/ ١٦ ـ ١٨:

«وفيما هو يمشي عند بحر الجليل أبصر سمعان وأندراوس أخاه يلقيان شبكة في البحر فإنهما كانا صيادين، فقال لهما يسوع: هلمَّ ورائي فأجعلكما صيادي الناس فللوقت تركا شباكهما وتبعاه».

ـ أما في لوقا ٤/ ٣٨ ـ ٣٩ فقد جاء:

«ولما قام من المجمع دخل بيت سمعان، وكانت حماة سمعان قد أخذتها حمَّى شديدة فسألوه من أجلها، فوقف فوقها، وانتهر الحمَّى، فتركتها. وفي الحال قامت وصارت تخدمهم.

وفي الإصحاح ٥ بالآيات ١ ـ ٢ ـ ٣ من إنجيل لوقا ما يفيد:

أن المسيح ـ بعد طرد الحمَّى من حماة سمعان (الإصحاح ٤) ـ كان واقفاً عند بحيرة جنيسارَتَ فرأى سفينتين واقفتين عند البحيرة. وقد خرج

الصيادون منهما وغسلوا الشباك. فدخل إحدى السفينتين، التي كانت لسمعان وسأله أن يبعد قليلاً عن البر...

ثم جلس وصار يعلم الجموع من السفينة. ولما فرغ من الكلام قال لسمعان ابعُد إلى العمق... ثم بعد امتلاء السفينتين بالسمك... وتجاه دهشة سمعان قال له يسوع لا تخف: من الآن تكون صياد الناس[1].

أي مدقق في هذه النصوص الأربعة لا يستطيع أن ينجو بنفسه من الارتباك ففي متى ومرقس، اتفقت الرواية.

ولكنها تختلف عنها في:

ـ يوحنا الذي جاء فيه أن أندراوس، هو الذي أتى بسمعان إلى المسيح.

ـ ولوقا، الذي تبين منه:

أن بطرس لم يكن حاضراً في بيت حماته حينما طرد يسوع الحمى.

وأن يسوع التقى به صدفة بعد ذلك عند البحيرة.

وأن دعوته إليه، لكي يجعل منه صياد الناس، كانت بعد معجزة امتلاء السفينة بالسمك.

٢ ـ جاء في إنجيل يوحنا ١/ ٢٢ ـ ٢٣ ـ ٢٤:

«وشهد يوحنا المعمدان قائلاً: إني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامةٍ من السماء فاستقر عليه وأنا لم أكن أعرفه. لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء، ذاك قال لي: الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه هو الذي يعمد بالروح القدس».

---

(١) لم نتقيد في هذه الفقرة بالألفاظ. بل اقتصرنا على معناها.

ولكن إنجيل لوقا يقول ١/ ٤٠ ـ ٤١ ـ ٤٢ ـ ٤٣ ـ ٤٤ ـ ٤٥:

«فلما سمعت أليصابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها وامتلأت أليصابات من الروح القدس، وصرخت بصوتٍ عظيم وقالت: مباركة أنت في النساء، ومباركة ثمرةُ بطنك، فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي إلي. فهوذا حين صار صوتُ سلامك في أذني ارتكض الجنين بابتهاج في بطني، فطوبى للتي آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب».

وجاء في متى ١١/ ٢ ـ ٣:

«أما يوحنا، فلما سمع في السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه وقال له: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟».

هذه النصوص تطرح المفارقات الآتية:

ـ في إنجيل يوحنا، لم يكن المعمدان، يعرف المسيح سابقاً. ولكن الذي أرسله قال له الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه، هو المسيح... إذن تعرَّف عليه:

فيما كان يعمِّد، ورأى الروح مستقراً عليه. فتذكر قول من أرسله، وأيقن أنه هو المسيح.

ـ ولكن متى يقول: إن يوحنا حتى سجنه الذي انتهى باستشهاده، لم يكن يعرف المسيح فأرسل إليه ـ وهو في السجن ـ اثنين من تلاميذه ليسألاه عن حقيقة أمره[١].

ـ كما إن لوقا، يشير إلى أنهما متعارفان منذ الأجنة، حيث ركض الجنين المعمدان في بطن أليصابات مبتهجاً بقدوم الجنين الرب في بطن مريم.

---

(١) هذه الحادثة بعد تعميد المسيح، وتعرف يوحنا عليه.

كما يستدل من عبارات الحديث بين المرأتين أن كلتيهما تعرفان حقيقة الجنين في بطن مريم.

ترى!!

أي نص من هذه النصوص ينبغي الاعتماد عليه؟

وأي نص يمكن الاستغناء عنه؟

٣ ـ في إنجيل يوحنا ١/ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٦:

«وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنةً ولاويين ليسألوه من أنت. فاعترف ولم ينكر وأقر: إني لست المسيح. فسألوه إذاً ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال لست أنا. النبي أنت؟ فأجاب لا. وكان المرسلون من الفريسيين فسألوه وقالوا له فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي...».

هنا يقوم سؤال محدد:

ـ من هو النبي الذي سألوا عنه يوحنا المعمدان؟ طبعاً: هو غير يوحنا، وغير المسيح، وغير إيليا فمن هو يا ترى؟ وهل ينتظر بعد المسيح نبي غيره؟

٤ ـ جاء في إنجيل متى ١١/ ٧ ـ ١٥:

«وبينما ذهب هذان ابتدأ يسوع يقول للجموع عن يوحنا: ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا؟ أقصبةً تحركها الريح؟ لكن ماذا خرجتم لتنظروا؟ إنساناً لابساً ثياباً ناعمة؟ هوذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم في بيوت الملوك. ولكن ماذا خرجتم لتنظروا؟ أنبيّاً؟ ثعم أقول لكم وأفضل من نبي: ... الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان... وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع

أن يأتي، من له أذنان للسمع فليسمع».

هذان الإنجيليان، التلميذان المباشران لسيدنا يسوع. وقد روى أحدهما مقالة «المعمدان وشهادته عن نفسه» وروى الثاني شهادة يسوع «بالمعمدان» ففي أيهما نأخذ، وهما مختلفتان جداً.

ـ هل يوحنا هو ما قال عن نفسه: «ليس المسيح ولا إيليا ولا النبي؟».

ـ أم هو ما قاله المسيح عنه: «إيليا المزمع أن يأتي؟».

ـ وإن كان المعمدان، كما قال المسيح، أعظم من ولدتهم النساء، فذلك يعني أنه أعظم من إبراهيم، جد داوود، ومن موسى، ومن عيسى نفسه، لأنهم جميعاً ممن ولدتهم النساء.

٥ ـ اتفقت كلمة الأناجيل على ما قاله المعمدان:

«أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه (أن أنحني وأحل سيور حذائه) هو سيعمدكم بالروح القدس ونار، الذي رفشه في يده وسينقي بيدره ويجمع قمحه، في المخزن، وأما التبن فيحرقه بنارٍ لا تطفأ متى ٣/ ١١ ـ ١٢ ـ ١٣».

هذا التعظيم الوقور للقادم بعده:

ـ يمنعه أن يقوم بتعميده وقد فعل.

ـ ويوجب عليه الامتناع عن التعميد بوجوده، وقد استمر في التعميد حتى استشهد.

ـ ويلزمه بالخضوع له، واتباعه، والسير وراءه كتابع وتلميذ مثلما فعل التلاميذ ولكنه ظل، يعمد ويعظ، ويستقبل التلاميذ ويستقل بهم ويلقنهم، ويوبخ هيرودوس وهيروديا، ويقرع الطبقات الحاكمة اليهودية

ويتنبأ بمجيء نبيٍّ أقوى منه دون أن يعير الانتباه المطلوب لابن خالقه الذي سجد له وهو جنين.

هنا: تقوم حيرة أُخرى، تنبثق من النصوص.

سابع عشر: العهد الجديد

سوف يقتصر البحث على «تاريخية العهد الجديد».

أي التاريخ الذي اكتسبت فيه، مجموعة العهد الجديد (الأناجيل الأربعة والأعمال والرسائل والرؤية) هذه التسمية[١].

لقد ورد في الفقرة التاسعة من البند الخامس من مذكرتك:

«في أوربا وأميركا نسخ كاملة من العهد الجديد ونسخ ناقصة. المجموعة الكاملة في لندن تعود إلى العام ٣٠٠م وربما باعها الاتحاد السوفييتي في الثلاثينات».

ولكن:

هذا القول لا يخلو ـ تاريخياً ـ من الشكوك.

فمن المتفق عليه: «أن الكنيسة وضعت قانون الكتب المقدسة ـ الكتب الرسولية في القرن الرابع، وبعد ذلك تمّ الاعتراف بها واعتمادها مرجعاً وحيداً (تاريخ الكنيسة ـ ص: ٧٧).

كما يقول مؤرخون:

«لقد كثرت الأناجيل كثرة عظيمة فأرادت الكنيسة في أوائل القرن

---

(١) هدف هذا البحث تاريخي دون أي مساس بما رمز إليه السيد المسيح حينما أخذ الكأس بعد العشاء وقال: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم لوقا ـ ٢٢ ـ ٢٨.

الرابع أن تحافظ على الأناجيل التي تراها صادقة فاختارت الأناجيل الأربعة».

وجاء في التعليقات على الترجمة المسكونية للعهد الجديد المنشورة بعام ١٩٧٢:

«إنه على أي حال لا توجد أي شهادة تقول بوجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية قبل عام ١٤٠م ولكن (أ ـ تريكو ـ A. Trico) يقول في ترجمته للتعليقات ذاتها: منذ بداية القرن الثالث استقر العرف على استخدام كلمة «إنجيل» للإشارة إلى الكتب التي كان القديس جوستين في نحو ١٥٠م يسميها مذكرات الرسل».

ويقول موريس بوكاي:

«إن مارسيون لم يعترف إلا بإنجيل لوقا ـ لأنه في رأيه يتحدث باسم بولس.

«ومنذ أن حكمت الكنيسة على مارسيون بالهرطقة في أواخر القرن الثاني، وضعت القائمة الرسمية التي ضمت الأناجيل الأربعة ورسائل بولس. ثم ألحقت بها رسالة أعمال الرسل ومع ذلك تنوعت هذه القائمة مع الزمن فيما بعد، رفعاً ووضعاً، حتى استقرت على وضعها الذي عُرض في مجمعي «هيبون ـ ٣٩٣ وقرطاجنة ـ ٣٩٧».

(دراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة ـ لبوكاي ـ ص ٩٩ ـ ١٠٠).

جاء في ص ٧٧ ـ من تاريخ الكنيسة:

«أما ديونيسي الإسكندري، فيعرب عن شكه بنسبة «الرؤيا» إلى الرسول يوحنا، في بدء العصر الرابع وحسب شهادة أوسابيوس،

القيصري، كانت لا تزال تحت الجدل وكذلك «رسالتا يوحنا الثانية والثالثة الجامعة» و «رسالة يعقوب الجامعة» و «رسالة يهوذا» و «رسالة بطرس الثلاثية».

ولكن في العصر الرابع اعترفت الكنيسة بهذه الكتب.

ورفضت: «إنجيل اليهود» و «إنجيل المصريين» و «إنجيل نيقوديم» و «إنجيل توما» و «أعمال بطرس» و «رؤيا بطرس وغيرها».

غير أن بعض المؤرخين يقولون:

«إن أول من ذكر الأناجيل الأربعة هو «أرينيوس ـ ٢٠٩» ثم جاء بعده «كليمنس اسكندريانوس ـ ٢١٦» ثم اختارت الكنيسة هذه الأناجيل بعد أن أظهر «كليمنس» وجوب التسليم بها. ولم تكتف بالاختيار، بل أرادت الناس على قبولها والاعتقاد بها ورفض غيرها، فصارت هي المعتبرة دون سواها».

(محاضرات في النصرانية للإمام «أبو زهرة» ص ٤٢).

ممّا تقدم:

يمكن، تصور النتائج التالية:

أ ـ لا توجد، نسخة كاملة للعهد الجديد قبل ٣٠٠م (هذا ما جاء في مذكرتك).

ب ـ أما كلمة «وربما قبله» فهي لا تفيد اليقين.

جـ ـ إن كلمة «العهد الجديد» حديثة. لم تكن في عهد الرسل ولا تابعيهم.

ونقصد بذلك: إن هذه الكلمة التي رمز عليها المسيح بالكأس الأخير (لوقا ـ ٢٢/ ٢٨).

لم تطلق على نصوص الأناجيل ـ والرسائل والرؤيا إلا في وقت متأخر.

لأن تلك النصوص، لم تكن موجودة في عهد المسيح.

و ـ وفي التاريخ أن الأناجيل مع الرسائل والرؤيا ـ لم تستقر مع التوراة في مجموع واحد إلا بعد الصراع العقائدي الفلسفي الكبير الذي نشب بين الدكتور لوثر والكنيسة في القرن السادس عشر.

فقد اعتبر هذا الكاهن، أن التوراة هي الأساس وأن الإنجيل هو المكمل فلا يكمل إيمان الإنجيلي إلا مع الإيمان بالتوراة.

لذلك دعا إلى مقاومة أوامر الكنيسة وأعلن أن قراءتها وترجمتها إلى اللغات الوطنية لا ينطوي على مخالفة مسيحية، بل هو ـ على العكس ـ يعبر عن تمام الإيمان.

وقام بترجمة الإنجيل إلى الألمانية من اليونانية اعتماداً على النص المعتمد من أدازموس كذلك ترجم التوراة، ونشرها في مجموع واحد سماه (الكتاب المقدس ـ العهد القديم والعهد الجديد) تأكيداً على تلازمهما وتكاملهما. فحتى ذلك الوقت كانت نصوص العهد الجديد (الأناجيل الأربعة والرسائل الخالية من الشكوك) تسمى (الإنجيل والرسائل) ـ تاريخ الكنيسة ص ١٤٨ ـ وكانت التوراة، قابعة في كهوف الكنائس، باللغة اليونانية، غير متداولة، ولا يعرف عنها الكثير أو القليل غير الكهنة.

هـ ـ قبل اختيار الكنيسة للنصوص، ونبذها مئات النصوص الأُخرى. كان تداول التراث شفهياً. فيما كان المخطوط منه، متفرقات متعددة المصادر. حتى إذا صار اعتماد النصوص بقانون الإيمان النيقاوي

صدر حكم الإعدام على جميع ما يخالفها من كتب ومذكرات، تحريماً وتحريقاً، وتصفيات نهائية لأتباعها والقائلين بها. وهي لو بقيت لأمكن الاطلاع على ما تضمنته من تاريخ وأفكار.

ثامن عشر ـ التأثر بالفكر اليوناني والآرامي:

جاء في مذكرتك ما خلاصته:

ـ «كل العهد الجديد يوناني ولكن أهل الاختصاص، لمسوا فيه النفس الآرامي. وهكذا يسقط زعم القائلين بالتأثر اليوناني (فقرة ٨ بند ٧)»

ـ «ولكن يبقى اليوناني هو الأساس العالمي. فآباء الكنيسة في القرون (١ ـ ٣) كتبوا باليونانية أو كانوا يجيدون اليونانية ـ (فقرة ٢ بند ٢٠)»

ـ «لا علاقة للمسيحية بأفلوطين. فالخلاف بين المسيحية وبينه مع أستاذه أفلاطون خلاف شاسع. (فقرة ٢ بند ٢٠)»

ـ «المساواة بين الآب والابن واضحة في يوحنا ـ ٥/ ١٨ و١٠/ ٣٠ و١٧/ ١١ (فقرة ٣ بند ٢٠)»

ونظراً إلى أن مقولاتك الأربع، أفرغت في أسلوب تقريري، لا حجاجي، وجدت بين يدي متسعاً من التسامح، دفع بي إلى وضع دراسة مسندة، تقابل تلك المقولات حريصةً كل الحرص على أن، تترافق مع المنطق والمراجع الموثوقة. وذلك كما يلي:

أولاً:

لَمَسْتُ، يوشك أن يكون تناقضاً بين:

ـ قولك: سقط زعم القائلين بالتأثير اليوناني.

ـ وقولك: الألفاظ اللاهوتية المسيحية جميعاً هي يونانية ـ العربي مدين لليوناني أحياناً وللسرياني أحياناً أُخرى، ولكن يبقى اليوناني الأساس العالمي.

فهذا التداخل (الآرامي ـ السرياني ـ اليوناني ـ العربي) الذي ورد في أقوالك، يحسن جلاؤه والتفصيل فيه، للوصول إلى تحديد المؤثر الأبرز من بينها في الفكر اللاهوتي. وهذا لن يتسنى ما لم نضع كلاًّ من هذه المؤثرات في إطارها التاريخي الصحيح ونبرز دورها الحضاري الفاعل في عقائد المجتمع وعاداته وثقافته، خاصةً في اللغة والفلسفة الروحية.

وهذا ما سوف أحاوله فيما يلي:

١ ـ جاء في مؤلف الدكتور فيليب حتي:

كانت اللغة الأصلية لأبناء سوريا هي «الآرامية» وبنوعٍ خاصٍ «السريانية» فقد تكلمها الناس منذ ما قبل القرن السادس قبل الميلاد إلى مطالع القرن التاسع الميلادي «وبلاد آرام هو الاسم الذي ظلت تعرف به سوريا الشمالية إلى أن أطلق اليونان عليها اسم «سوريا»[(١)].

ـ وفي كتابات العهد القديم:

إشارات جمة، إلى «آرام دمشق» و «آرام النهرين»

مما يدل على أن لفظة «آرام» كانت تشمل سوريا الشمالية والمجوّفة مع بلاد ما بين النهرين.

ـ وقد ظهر الآراميون في الأحداث التي عمت الهلال الخصيب طول

---

(١) فيليب حتي ـ اللغات السامية المحكية في سوريا ولبنان ـ المطبعة الادبية ـ بيروت ١٩٢٢.

القرن الثالث عشر قبل الميلاد مع أن النصوص التاريخية تتعمق بهم إلى زمن سابق جداً اللقرن الثالث عشر. حيث كانوا قد أسسوا دولاً عديدة في سوريا: «آرام دمشق» و «مملكة حماة» و «مملكة زنجرلي» و «شمأل» وغيرها.

ـ وفي اللؤلؤ المنثور:

«الآراميون السوريون ذابوا في المسيحية ذوباناً كاملاً، فاستبدلوا اسمهم الآرامي بالتسمية اليونانية. السريان السوريون، وأطلقوا على لغتهم اسم «اللغة السريانية»[1].

إذن، وبقوة المراجع التاريخية يمكن القول:

ـ إن اليونانية من حيث الوجود المادي واللغوي والثقافي، هو وجود تالٍ للوجود الآرامي.

ـ إن اليونان وإن أطلقوا على «الهلال الخصيب» اسم سوريا، وقبل السكان هذا الاسم وأطلقوا على لغتهم اسم السريانية. فإن السريانية هي الآرامية ذاتها التي كان السوريون يتكلمونها وليس من خلاف إلا بالاسم.

٢ ـ منذ أن استوطن الآراميون، الهلال الخصيب، تبنوا العقائد السائدة، وعبدوا الآلهة المعروفة في المنطقة «آلهة الكنعانيين» و «الفينيقيين» و «الحثيين» و «الحوريين» وورثوا ثقافة المنطقة الممتدة على

---

(١) جاء في بعض المصادر التاريخية أن «سرياني»، تعني سوري. وقد تكون لهذه اللفظة علاقة اشتقاقية باشور. وقد ورد اسم سوريا في مدونات أوغاريت ـ رأس الشمرة باسم «شرن» وهو لفظ يوناني محرف عن الكنعاني.
وجبل حرمون اسمه «سريون» في الكنعانية. وقد دلت على ذلك الآيتان ٥ ـ ٦ من المزمور ٢٩: «صوت الرب مكسر الأرز، ويكسر الرب أرز لبنان. ويمرحها مثل عجل لبنان وسريون. مثل فرير البقر الوحشي.

ثمانية آلاف عام في التاريخ[١] وعلى هذا:

وعطفاً على ما قلت: إن العهد الجديد يوناني بنَفَسٍ آرامي.

تكون اليونانية ذات النفس الآرامي، متأثرة بالإرث الثقافي والعبادي والطقوسي الذي كان سائداً في المنطقة على امتداد ثمانية آلاف سنة ثم تبناه الآراميون، معتقداتٍ وعاداتٍ.

وبتعبير أكثر تحديداً:

سيراً مع مقولة «اليوناني ذي النفس الآرامي». فإن ما ينتسب إلى اليونانية من العهد الجديد، يعود في أصوله وقواعده إلى الآرامية. ثم يتوغل في التاريخ حتى يصل إلى الكنعانية والفينيقية والسومرية والأمورية والحثية التي كانت تنتشر في سوريا (المجوفة ـ الهلال الخصيب)[٢].

من هذا الاستقصاء التاريخي المختصر صار في الإمكان إدراك التأثر الحتمي الذي غزا البلاد فاكتسحها في مختلف اتجاهات الفكر والعقائد والطقوس. وذلك بقوة القاعدة الاجتماعية المعروفة: «إن المتأخر يتأثر بالمتقدم ويأخذ منه على الدوام»[٣] هذا ما سوف أقدمه ـ بعيداً عن التدخل الشخصي ـ تحت عنوان الفقرة «ثانياً».

---

(١) الآراميون ـ لدوبون سومر.

(٢) ظلت سوريا حتى القرن الخامس بعد الميلاد تمتد «بلاداً واحدة» فتشمل: شمالي العربية وكيليكيا وما بين النهرين وفلسطين. ولم تفصل أورشليم كمنطقة كنسية عن أنطاكية إلا بعد مجمع خلقيدونيا بعام ٤٥١ ـ م. وكانت أنطاكية عاصمة هذه الولاية الواسعة وقد بلغ عدد سكان أنطاكية آنذاك، نصف مليون نسمة، وكانت مقراً للأمبراطور قسطنطين الكبير في عشرينات القرن الرابع الميلادي. (الأصول الكنعانية للمسيحية ـ فايز مقدسي ـ ص ـ ٥٠).

(٣) ثمة تأثر إيجابي وهو «الحذو والاتباع» وتأثر سلبي «وهو الرفض والابتداع».

ثانياً:

١ ـ كنت في الفقرة «سادساً» استعرضت بالأحرف (أ ـ ب ـ ج ـ د ـ هـ ـ و ـ ز ـ ح ـ ط) فكرة تقديم أحد الآلهة ذبيحة، فداءً عن الخطيئة الجدية الأولى.

كذلك سردت في الفقرة (٤) طقوس العمادة وحركاتها، وآلياتها وما ترمز إليه عند عددٍ كبير من الشعوب التي سبقت المسيحية بعشرات القرون.

والعقيدة الكنعانية التي ورثها الآراميون وأورثوها تقوم على التضحية الإلهية وكانوا يسمونها «عقيدة الإله الميت» التي يقبل الإله فيها أن يموت من أجل خلاص الجنس البشري.

تلك العقيدة، التي انحدرت مع التاريخ إلى الآراميين، فكانت ملء المنطقة، وجدت نفسها في المسيحية ـ حيث تجسد الله إنسانياً، وتألم ومات من أجل خلاص البشر. وهب جسده إلى الناس ليأكلوه وأعطاهم دمه ليشربوه واتحدوا معه بقوة هذه المشاركة.

وذلك ـ في المحصلة ـ هجران للمفاهيم القديمة التي كان الإنسان فيها يقدّم التضحية لينال رضا الله ومحبته وغفرانه، فصار الله، هنا، هو الذي يقدم التضحية، محبةً للإنسان، فيبذل نفسه في سبيل ذلك.

٢ ـ والإله الكنعاني الفادي هو «بعل».

وكلمة «بعل» تعني السيد، وهي لقبٌ لا اسم، يرمز إلى أنه «سيد الأرض والندى» ويقيم في جبل «صفون» (الجبل الأقرع ـ قرب اللاذقية).

أما اسمه الشخصي فهو «حدد» أي الواحد، وسماه الآراميون، «أدون» ومعناه السيد، وهذه الكلمة ترجمة للكلمة الكنعانية «بعل».

وقد استعاد الإغريق من سوريا هذا الإله، فاشتقوا من «أدون» اسم «أدونيس»، أي بزيادة ياء النسبة لتصبح «سيدي» أو «ربي»[1].

٣ ـ وواقعة الموت والقيامة من الموت والانتصار عليه، شكلت أساس الديانة الآرامية الكنعانية البابلية القديمة.

كذلك، شكل صلب المسيح، وقيامته من الموت، أساس اللاهوت المسيحي.

فقصة «حدد» و«أدونيس» تتكرر. حيث يقدم الإله نفسه ذبيحة، ينحر على مذبح البشر، محبة لهم، فيأكلون جسده ويشربون دمه ويقول:

«من يأكل جسدي ويشرب دمي، فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق. من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه. ومن يأكلني فهو يحيا بي ـ يوحنا ٦/ ٥٤ ـ ٥٥ ـ ٥٦ ـ ٥٧».

إن قصة «بعل» ذات البعد الزمني السحيق. تتشابه مع قصة أدونيس الأقرب في الزمن.

فعن احتفالات أدونيس، في جبيل، تحدث «لوسيان السيمساطي» فقال: لقد أخبره أهل جبيل أن أدونيس مات على أثر الجروح التي أحدثها فيه هجوم خنزير بري. وأنهم يحيون ذكراه في كل عام بالبكاء والعويل حداداً على موته، ثم يقومون بدفن الإله وكأنه قد مات حقاً. ويعلنون في

---

(١) إن لفظة «أدوناي» هي لقب يشير في الأصل الكنعاني، إلى صفة من صفات حدد، وهي كما مر ـ ترجمة لكلمة «بعل» أي السيد في الكنعانية. لذلك: كان ورودها في العهد الجديد ١٣٢ ـ مرة «كما قلت في مذكرتك» تحت عبارة: أدوناي يهوة.. هو ترجمة غير دقيقة، لأنها تحمِّل «أدوناي» معنىً لا تستطيع حمله.

اليوم الثاني أنه قام من الموت وأنه حي وقد صعد إلى السماء.

لقد كان مقدراً لهذه الوقائع أن تتكرر في موت السيد المسيح وقيامته.

هنا:

ينبغي ألا يمتلكنا الرعب، إذ نرى طقوس العقائد والعبادات، تستعيد ملامحها فتصل ما تأخر بما تقدم. بل علينا أن نقرأ الشريط من أول حروفه، وقد تخففنا بعض الشيء، من الموروثات التي تراكمت في رؤوسنا وأورثتنا عمى الألوان وإذ ذاك:

سوف ندرك، أن حكمة الله واحدة، ودعوته واحدة. وأن عنايته ترافقت وترافق مع خلقه، منذ الأزل وإلى الأبد. وأن خطابه، إنما كان إلى الخلق بما يعقلون وبالأسلوب الذي يفهمون.

﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم ملكاً رسولاً﴾ «الإسراء ٩٥». **﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾** «الانعام ٨».

وإذ ذاك:

يكون من اليسير أن نتفهم، ونتقبل، صور التلاقي المدهشة بين نصوص فصلت بينها فواصل من الزمن تجاوزت آلاف الأعوام.

ـ تصف نصوص أوغاريت، قدوم «البعل» المنتظر كأنه يمتطي الغمام راكباً متون السحب.

ويصف إنجيل متى مجيء ابن الانسان آتياً على سحاب السماء بقوةٍ ومجد كثير. (متى ٢٤/ ٢٧ ـ ٣٠).

ـ وفي سفر دانيال، حذوٌ للفكر الكنعاني ـ الأوغارتي، يكاد يكون

نسخاً كاملاً: «كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن الانسان أتى وجاء إلى (القديم الأيام)، فقربوه قدامه، فأُعطيَ سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي»[1]. (دانيال ـ ٧/ ١٣ ـ ١٤).

ـ في إنجيل مرقس ١٦:

«قام يسوع صباح الأحد فتراءى أولاً لمريم المجدلية فمضت وأخبرت تلاميذه وكانوا في مناحة ونحيب».

وفي الغصن الذهبي لفريزر، وصفٌ مماثل، للنساء السوريات اللواتي كنَّ يندبن وينحن على أدونيس في أرجاء سورية كافة.

ـ «وابتدأ يعلمهم أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويقتَل، وبعد ثلاثة أيام يقوم، وقال القول علانية، فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره فالتفت وأبصر تلاميذه، فانتهر بطرس قائلاً اذهب عني يا شيطان لأنك لا تهتم بما لله بل بما للناس. (مرقس: ٨/ ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٣).

«وأخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام مرقس ـ ١٦/ ١٤».

هنا:

لن يستطيع القارىء أن ينجو من القلق، وهو يستعيد صور الشك التي ملأت نفوس التلاميذ الرسل. مع أنهم أبصروا عجائب المعلم ومعجزاته طول مسيرته معهم، وأنهم نصِّبوا قديسين، ومُنحوا مكان

---

(١) تعبير «القديم الأيام» يعني في المدونات والنقوش الاوغاريتية «السرمدي» و «إيل» و «أبو السنين».

الصدارة. وسوف يجد بين يديه بعض العذر إن شك فيما يروى، وهو لم يشاهد كما شاهدوا، ولم يتحسس بيديه مكان المسامير مثلما تحسسوا.

٤ ـ العشاء الرباني: الأفخارستيا، في اليونانية، هو من أهم الأسرار المقدسة عند المسيحيين وقد صارت ممارسة هذا الطقس، ممارسةً تعبدية، استعادةً لما قام به يسوع ليلة تسليمه، حيث قدم جسده مأكلاً، ودمه مشرباً تحت أشكال الخبز والخمر الملموسين. (معجم اللاهوت الكاثوليكي ص ـ ٢٧).

فالعشاء الرباني كان وما يزال من أقدس الأسرار بعد التعميد. حيث ظلت المسيحية تتمسك بحرفية كلام المسيح «بأن الخبز جسده والخمر دمه» وأن الكاهن الذي يقوم بهذا الطقس، يستطيع بقوته الكهنوتية أن يحول الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح. وبذلك يشترك المؤمنون في جسم الأقنوم الثاني ودمه. لقد علق الشيخ عبد الله العلايلي في «كتاب الحسين» على هذه الشعيرة بقوله: «هذا يذكرنا بعرب الجاهلية الذين كانوا عاكفين على الأصنام، فلم يستفد منهم أحدٌ من صنمه غير ثقيف التي أكلت إلهها لما أصابها القحط وكان من التمر».

ولكن:

لو تركنا مقالة العلايلي مع تعليقه.

وعدنا إلى الوراء في التاريخ بحثاً عن الأسرار عند الشعوب القديمة لوجدنا، أن «الأفخارستيا» طقس تعبدي مغرق في القدم وقد كان عند اليونان من الأسرار الكبرى، التي ينتقل إليها المريد، من الأسرار الصغرى، خلال طقوس وممارسات، مهيبة.

فالمريد يبدأ بالاستحمام، والصوم، ثم يدخل في بهو الاندماج بالجماعة السرية وهناك يتناولون عشاءً مقدساً ربانياً، إحياءً لذكرى «دِمِتْر»

فيشربون مزيجاً مقدساً من دقيق الحنطة والماء، وكعكاً مقدساً، وبعد ذلك يمرُّ المحتفلون في عدَّة مراحل حتى يصلوا إلى مكان مرتفع يتلألأ بالأنوار يمثل مسكن الصالحين وفي وسط هذه النشوة من الإلهام المقدس، كانوا يحسون باتحادهم مع الآلهة ووحدة الإله والروح، وأنهم تحرَّروا من روح الفردية وأدركوا طمأنينة الاندماج في الألوهية(١).

ويضيف المرجع إياه:

«إن ما كان يمارس من طقوس في ذلك المكان ظل خفياً، محرماً على أي إنسان أن يبوح به وإلاَّ تعرَّض للقتل(٢).

٥ ـ التثليث:

هو من العبادات القديمة جداً. حتى ليذهب البعض إلى أنه من أقدمها كافة.

وقد أجمع الباحثون، وعلماء الآثار، على وجود هذه العقيدة في الحضارات السابقة للمسيحية بزمن بعيد.

وإني فيما يلي، مستعرض، باختصار شديد كيف مارستها الشعوب القديمة.

أ ـ فمنذ ما يزيد على أربعة آلاف سنة سابقة للمسيح، كان الحثيون يتعبدون لثالوث الآلهة «إله الشمس» و«إله الجو» و«هبات اشتار».

ب ـ وعند الهنود يقول مؤلف «الآثار الهندية القديمة» ص ٣٥ ج٦: «كان عند أكثر الأمم البائدة الوثنية، تعاليم دينية، «باللاهوت الثلاثي» الإله ذي الأقانيم الثلاثة ـ ويرمزون لهذا التثليث الإلهي بعبارة (تري مورتي) أي

---

(١) قصة الحضارة ـ ج ـ ٥ ـ ٦: ص ـ ٣٤٢.

(٢) نفس المرجع ـ ص ـ ٣٤٢.

(الهيئات أو الأشكال الثلاثة) وهي (برهمة وفشنو وسيفا) ثلاثة غير منفكين عن الوحدة، يرمزون إلى إله واحد.

والأقانيم الثلاثة، هي مظاهر تنفيذية للإله برهمة، الذي لا شكل له ولا تؤثر فيه الصفات. فهو ـ برهمة ـ حينما أراد أن يخلق الخلق (الأحياء والأشياء) اتخذ صفة الفعل وصار شخصاً ذكراً «برهمة الخالق» ثم زاد فانقلب إلى صفة «الحافظ للوجود» فكان «فشنو» ثم انقلب إلى الصفة الظلالية فكان «سيفا المهلك» وفي كتاب «الهند» لألن صَنْ ـ ص ٣٨٢:

رأى أحد الصالحين أن تكون العبادة لإله واحد، فتوسل بالأرباب الثلاثة (تري مورتي) قائلاً: يا أيها الآلهة الثلاثة اعلموا أني أعترف بوجود إله واحد فأخبروني أيكم الإله الحقيقي؟ لأقرِّب له نذري وصلاتي؟ فظهر له الثلاثة وقالوا: اعلم أيها العابد أنه لا يوجد فرق حقيقي بيننا، وأما ما تراه من ثلاثة فما هو إلا بالشبه والشكل والكائن الواحد الظاهر بالأقانيم الثلاثة هو واحد بالذات».

وفي أنقاض أحد الهياكل الهندية الذي بعثره الزمن وجدَ جسدٌ من صنمٍ له ثلاثة رؤوس تعبيراً عن الثالوث.

جـ ـ ويتحدث كتاب «خرافات التوراة» ص ١٧٢ ـ عن أنصار الفيلسوف الصيني «لاوكو منذا» الذي عاش قبل المسيح بستة قرون (٦٠٤ ق.م) فقال: كانوا يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم، وأساس فلسفتهم، أن «تاوو» الذي هو العقل الأبدي انبثق منه واحد، ومن هذا الواحد «انبثق الثاني» ومن الثاني انبثق «ثالث» ومن الثلاثة صدر كل شيء.

د ـ وعبادة الفرس مثلثة أيضاً:

«أورمزد الخلاق» و«مثراث ـ ابن الله المخلِّص» و «أهرمان ـ المهلك».

هـ ـ وفي مصر:

رمزوا إلى الآلهة الثلاثة بـ (جناح طير، ووكر، وأفعى).

وكان الكهنة يعلمون الدين للمبتدئين بقولهم: «إن الأول خلق الثاني، ثم مع الثاني خلق الثالث. وبذلك تم الثالوث».

وجاء في كتاب «خرافات التوراة ص ٤٧٣، أن توليسو ملك مصر سأل الكاهن تنيشوكي أن يخبره فيما إذا كان يوجد أعظم منه. أو هل يكون بعده من هو أعظم منه؟

فقال له الكاهن: نعم يوجد من هو أعظم ـ وهو «الله أولاً» ثم «الكلمة» ومعها «روح القدس»، ولهؤلاء الثلاثة طبيعة واحدة وهم واحدٌ بالذات وعنهم صدرت القوة الأبدية. فاذهب يا فاني يا صاحب الحياة القصيرة.

ويكاد يكون من المتفق عليه بين علماء الآثار والتاريخ أن إطلاق اسم «الكلمة» أو «ابن الله البكر» على الأقنوم الثاني، بدأ من مصر.

فالمصريون هم أول من قال «بلاهوت الكلمة» وأنها منبثقة من الله، وأن كل شيء صار بواسطتها، وأنها الله.

وفي كتاب «اعتقاد المصريين» قال بونويك في ص ٤٠٢ ـ ٤٠٤:

«وفي عقائدهم المقدسة ما يردده لاهوتهم ويغرسونه في المريدين والاتباع هذه الجملة، إني أعلم بسر لاهوت الكلمة، وهي كلمة رب قبل كل شيء وهو الصانعُ لها. فالكلمة هي الأقنوم الأول بعد الإله، وهي غير مخلوقة، وهي الحكم المطلق على المخلوقات كافة.

و ـ كذلك كان الكلدانيون «مثلثة» وكانت الكلمة، في عقيدتهم، «الأقنوم الثاني».

ز ـ وعند الأشوريين كان «مردوخ هو الكلمة» و«ابن الله البكر».

وكانوا يتوسلون إليه بهذه العبارات التي وجدت منقوشة في أحافيرهم: «أنت يا مردوخ القادر الموفق، مانح الحياة، الرحيم بين الآلهة، أنت ابن الله البكر، خالق السماوات والأرض، ومالكها، ليس لك شبيه، أنت الرحيم ومحيي الأموات»[1].

حـ ـ واليونان الوثنيون كانوا يعتقدون بالتثليث، فكانوا يعتبرون جميع الأشياء المقدسة «مثلثة» لذلك كانوا يرشُون المذبح بالماء المقدس، ثلاثاً، ويرشون المجتمعين، ثلاثاً، إشارة إلى الثالوث.

وكان العدد ٣ هو أقدس الأعداد عندهم لأنه يرمز إلى الثالوث.

وكان أفلوطين، آخر فلاسفة الوثنيين، الذي تتلمذ على «أمونيوس» المسيحي المرتد، قد أسس فلسفته الإلهية على التثليث فكان يقول:

«إن الإله هو ثالوث من «الوحدة» و«الفكرة» و«النفس». ومن وراء الكائن يوجد الواحد».

وهكذا:

من يتتبَّع، تواريخ الأمم، يجد عقيدة التثليث قائمة، قيام المحور الذي تدور من حوله، وتحت قوته الجاذبة، صور الفكر اللاهوتي قاطبة.

فالفنلنديون، والمكسيكيون، والإسكندنافيون، والدرديُّون، جميعهم مثلثة.

ط ـ وكانت آخر صور التثليث هي التي اعتنقتها المسيحية.

---

(١) خرافات التوراة ـ ص ـ ٤٧٣ ـ وما بعدها.

وسوف يصطدم الباحث وهو يدقق في العهد الجديد، فلا يجد غير القليل من النصوص التي يقوم عليها أعمق وأعظم أسس العقيدة المسيحية[١].

ولكنه لا يملك، غير أن يمتلىء، احتراماً وتقديراً، للمفكرين المسيحيين، وهم يعلنون بإيمان صادق: «إن التثليث هو فوق مستوى العقل».

ففي معجم اللاهوت الكاثوليكي يقول «كارل راهنر» في شرح التثليث:

«الثالوث يعني سر الطبيعة الواحدة، فالأقانيم الثلاثة في الله، الآب والابن والروح القدس، الذي هو السر الأساسي في المسيحية. والثالوث، هو سرٌّ في المعنى الحصري، ومن غير الممكن أن يُعرف من دون وحي. والذي لا يمكن وإن أوحي به أن يسبر العقل غوره[٢].

نعم، في رأينا:

سوف يغرق العقل الإنساني في تيهٍ عميق، وهو يلقَّن: «بأن المسيح هو الله وهو ابن الله» و«أنه الخالق المعبود مع أنه مرسل لتحقيق رسالة» و«أن الله واحد مع أنه ثلاثة» و«أنهم ثلاثة» مع أنهم واحد».

ثم يعود إلى الأناجيل ليجد غير ما تعلَّمه من الأساتذة:

---

(١) وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس ـ متى ٢٨/ ١٩.
«في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله. يوحنا ـ ١/ ١ ـ ٤ ـ الإنجيل».
«فإن الذين يشهدون من السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة وروح القدس، وهؤلاء الثلاثة واحد». (رسالة يوحنا الأولى ـ ٥/ ٧).

(٢) معجم اللاهوت الكاثوليكي ـ ص ـ ٩٧ ـ مادة الثالوث.

ـ «إلهي إلهي لماذا تركتني مرقس ١٥/ ٢٤».

هذه الكلمة التي أطلقها المسيح وهو يتجرع آلام الصلب، ويتحمل مذلات الصليب أفصحت عن وجود شخصيتين مستقلتين متميزتين:

شخصية الإله، الذي يُنَادَى ويُستغاث به.

وشخصية المستغيث الذي يطلب العون من إلهه (إلهي ـ إلهي).

ـ فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره قائلاً حاشاك يا رب، لا يكون لك هذا، فالتفت وقال لبطرس: إذهب عني يا شيطان. . .» متى ١٦/ ٢٢.

فالمسيح هنا: يرفض أن يكون رباً بالمعنى الذي قصده بطرس، ويعتبر منه ذلك، عملاً شيطانياً لا يصدر عن مؤمن. لذلك أمره بالابتعاد عنه.

ـ على أن، ما لا يمكن تفسيره، ذلك هو التناقض الشديد في موقفيهما من بعضهما. ففي الآية ١٦ من الإصحاح ١٦ يقول المسيح: وأنتم: من تقولون إني أنا؟ فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحي.

فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سمعان يا ابن يُونا. . . وأنت بطرس وعَلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات. فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماوات وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماوات (متى: ١٦/ ١٦ ـ ١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠).

ولكنَّ تبادلَ الثَناء لم يدم طويلاً بينهما.

فما تأتي الآية ٢٢ من ذات الإصحاح، حتى لم يعد بطرس يستطيع الاصطبار على قول المسيح إنه سوف يقوم بعد مقتله بثلاثة أيام. فأخذه

وانتهره فكانت ردة فعل المسيح أن صرخ في وجهه قائلاً له: «إذهب عني يا شيطان، أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس ـ ١٦/ ٢٢».

في الآيات السابقة:

موقفان متناقضان، لكل من بطرس والمسيح.

ـ فبطرس بعد أن قال له أنت ابن الله الحي ـ المسيح، لا يلبث غير القليل حتى ينتهره أمام التلاميذ.

وشتان ما بين الموقفين:

ـ المسيح ابن الله، معصوم عن الخطأ والنقص والسهو.

ـ والانتهار هو الزجر، والمنع من إبداء أمر وذلك لا يكون إلا من الكبير للصغير.

ـ والمسيح. لم يلبث:

بعد أن أعطى بطرس مفاتيح السماوات وفوض إليه الربط والحل، أن اعتبره معثرة في طريقه وشيطاناً يجب ألا يقترب منه.

فأي من هذه المواقف، جديرٌ بأن يكون العقيدة؟

وهل يمكن أن يكون الاعتقاد بها جميعاً في وقت واحد؟

٦ ـ الموسيقى الطقوسية:

من المعلوم أن موسيقى «مارأفرام» هي أقدم موسيقى معروفة في الكنيسة، ففيما قبله، ومنذ أيام الرسل، تفيدنا رسائل بولس، أن المصلين الأوائل كانوا ينشدون الأناشيد الشائعة ذات الطابع الشعبي بالإضافة إلى الأناشيد الدينية التي نظمها المؤمنون الأوائل.

أما حوافز «مار أفرام» على وضع الأناشيد الدينية المبنية على

الألحان الجذابة فهي لمناهضة ومعارضة «بارديصان» الشاعر الموسيقي الوثني الذي وضَعَ مئة وخمسين نشيداً عبر فيها عن مذهبه المعارض للكنيسة.

ومع ذلك، فإن مار أفرام لم يستطع منع نفسه من استلهام بعض أناشيد بارديصان، وبالتالي منح هذا «الإرث الموسيقي» إلى الكنيسة التي أضافت إليه ميراث الغناء السوري القديم.

وفي القرن السادس، حينما تعددت الانشقاقات في الكنيسة، وتعددت معها أنماط الموسيقى الطقوسية، قام البابا غريغوار الكبير بتنظيم الغناء الطقسي ووضع ما عُرِف فيما بعد «بالغناء الغريغواري».

أما جذوره الثقافية الموسيقية، فهي البيزنطية، التي تعود عوداً مباشراً إلى الأصول السورية القديمة.

لقد تأثر البابا غريغوار بالموسيقى البيزنطية ذات الأصول السورية الآرامية الكنعانية حيث تعمق فيها، واقتبس منها[١].

كما تأثر بمار أفرام، الذي استلهم بدوره ألحان وأناشيد «بارديصان»[٢] الوارث للألحان القديمة، الوثنية.

ولقد وضعت الكنيسة مبررات تبنيها للموسيقى في الاحتفالات الطقوسية فقال «أغناطيوس برصوم»:

---

(١) كانت الموسيقى السورية الأصل شائعة في أرجاء بيزنطة.

(٢) بارديصان. هو غنوصي ولد بالرها في عام ١٥٤ ـ م وعاش في منبج اعتنق المسيحية وارتد عنها أو أفرزته الكنيسة لتورطه بمعتقدات فاسدة، مصدرها وثنيته القديمة كان شاعراً فذاً، وموسيقياً بارعاً. استطاع بموسيقاه وأناشيده أن ينشر معتقداته الوثنية بين الجمهور. ويعتقد البعض أن المزامير السريانية المنسوبة إلى سليمان هي من وضعه: وقد أتلف أو ضاع أكثر إنتاجه.

«قام بعض أئمة الدين بإدخال اللحون إلى بيعة الله على ثلاثة أسباب».

ـ أولها: مناهضة ألحان الوثنيين وأصحاب البدع.

ـ ثانيها: الاستعانة بها على النشاط في العبادة ودفع الملل عن المصلين.

ـ ثالثها: تنبيه الحواس إلى إدراك معاني الصلاة».

ويتابع أنطوان التكريتي صاحب اللؤلؤ المنثور، في الآداب والعلوم السريانية.

فيقول:

إن ما دعا «مار أفرام» إلى نظم الأغاني الروحية والميامر، هو أن بارديصان، كان قد نظم أغاني وقعها على لحون لذيذة، ضمنها أقوالاً تُفسدُ الأخلاق، والمعتقد القويم فعلِقَتْ في أذهان السذج، فجاء مار أفرام بالأغاني القدسية النقية، ومن هنا نشأ الترتيل الكنسي، ولم يستطع أئمة الدين أن يَفْطِمُوا الناس عن الغناء واللحون بعدما تعودوه من المضلِّلين.

وكان بارديصان، قد أخذ معتقداته الوثنية، وعلوم الفلك البابلية أو الكلدانية من كاهن «معبد منبج ـ هيرابوليس» الذي لقنه أوزان الشعر التي كانت تلقى في الطقوس الدينية الوثنية.

وهكذا يتبين أن ما وضعه بارديصان ونسج على منواله مارأفرام يقوم على الأساس الآرامي السوري الذي قام بدوره على التركة الكنعانية القديمة، التي أصبحت منذ مطلع القرن الرابع ـ على يد أفرام ـ التركة الشعرية الموسيقية التي ورثتها الكنيسة المسيحية. وقد كتب «بييرجرولو» حول قصيدة «الموت والشيطان» لمارأفرام فقال:

«إن بناء القصيدة ينسجم ويتفق بشكل مدهش مع آداب ما بين النهرين، سواءٌ في اللغة السومرية أم في اللغة الأكادية. وتقنية الحوار بين شخصين لإظهار التعارض بين مبدأين حيث يقوم كل منهما بتقديم ما يدحض به حجج الآخر، هو أسلوب كان شائعاً في الآداب القديمة.

فالشعر الآرامي السرياني، ورث البابلي والكنعاني.

والمسيحية، تلقت هذا الإرث فيما تلقته من تركة المنطقة الفكرية والطقوسية التي كانت شائعة الاستعمال بين أبنائها.

٧ ـ اللغة:

ونقصد بها اللغة الطقوسية الدينية.

فمن الثابت، تاريخياً أن الآرامية ـ السريانية، كانت لغة الشعب في سوريا.

ومن الثابت أن السيد المسيح، تحدث وخطب ووعظ بها وبها نادى أباه على الصليب، وطلب منه المعونة، وعاتبه على تركه مع تلك الكأس.

أما اليونانية، فقد كانت لسان الدولة الرسمي، ولكنها كانت مجهولة في المنطقة، وفي الداخل، إلا من بعض المثقفين.

وحتى القرن الثالث الميلادي لم تكن تجيد اليونانية في سوريا إلا أقلية.

أما الطقوس، فقد كانت تمارس بلغة البلاد «السريانية» وحينما كان أحد الكهنة يستخدم اليونانية في أداء الخدمة الكنسية، كان يستعين بكاهن آخر يجيد ترجمة أقواله إلى السريانية، ليفهمها الشعب.

ومن الثابت، أن الكنائس السورية اتجهت اتجاهاً تاماً إلى لغتها الأصلية وجعلتها لغة الطقوس، وهجرت اليونانية هجراناً نهائياً منذ أن

بدأت حركة الانشقاق في الكنيسة.

يقول صاحب اللؤلؤ المنثور:

«إن الآرامية كانت أول لغة استعملتها البيعة المسيحية في تقدمة القداس الإلهي».

وقال فيليب حتي في كتابه «اللغات السامية المحكية في سوريا ولبنان»:

«لا تزال الآرامية للآن لغة الطقوس الكنسية لمعظم المسيحيين في الشرق الأدنى من نساطرة، ويعاقبة وسريان كاثوليك وموارنة... وفي المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين في بيروت مجلدات دينية صخمة في اللغة الآرامية كانت مستعملة قديماً في الكنيسة الانطاكية، وفي خزائن روما من هذه الكتب مئات. وهي تثبت شيوع الآرامية السريانية قبل اليونانية في الكنيسة الأرثوذكسية السورية».

وذكر «لامنس» عن المستشرق «ساخو» قوله:

«إن الوعاظ، كانوا يستطيعون أن يكرزوا بلغة واحدة هي الآرامية من أنطاكية حتى بابل ـ هنري لامنس اليسوعي ـ تسريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من آثار».

٨ ـ أفلوطين وتأثيره الفلسفي:

كان لا بدَّ لي، قبل ولوج هذا البحث من أن أذكِّر بعبارتك «الصارمة ـ الواضحة» التي جاءت في مطلع الفقرة الثانية من البند الثاني من مذكرتك وهي:

«لا علاقة للمسيحية بأفلوطين، فالخلاف بين المسيحية وبينه مع أستاذه أفلاطون خلاف شاسع».

كما إنه من المفيد للبحث أن أقدم له برأي، تردد فحواه على ألسنة الكثيرين من مفكري اللاهوت والفلسفة حول الأسباب التي أدت إلى دخول الفلسفة حرم الديانات، وكيفية ذلك الدخول، يتلخص بالآتي:

إن القدماء ـ في الأصل ـ لم يفلسفوا الأمور الإلهية، ولم يحاولوا:

لأن إيمانهم كان يتجلى في السلوك اليومي أكثر مما يتجلى في النظريات، وحينما هبط الإيمان من القلوب إلى الكتب كثرت العقائد وازدادت النظريات. وكلما كانت ترتفع حرارة المناظرات العقائدية، كانت جذوة الإيمان تخبو، ويزحف إليها التصحُّر كذلك:

كان شأن العقيدة في المسيح، لم تبق بمنجىً عن هذه المحنة.

ففي البدايات، لم تكن تُعنى بالتفاصيل الدقيقة، ولكنها منذ مجمع نيقية في عام ٣٢٥م وقعت «أسيرة» في قبضة الفلسفات المتعددة، التي امتدت نظرياتها وأفكارها إلى عمق العقيدة، بعيدة بها، عن «الطوبى» النقية التي كانت طول الأجيال السابقة تنبعث، هديراً إلهياً صافياً يملأ القلوب ويطهِّر الأرواح.

إن حقن العقيدة، بسلطان الامبراطور، عكَّر صفاءها، وحفر بينها وبين الأصول، أخدوداً ما فَتِىء يتطاول ويتعمق مع الزمن.

فالإيمان، حينما يسقط من شغاف القلب، إلى طرف اللسان، أي حينما يُفرض الاعتقاد بقوة السلطان، فيجبر الناس على محبة ما لا يحبون، وعلى الاعتقاد بما لا يريدون، وعلى التفكير بما لا يفكرون، يكون، ذلك تحكُّماً وقهراً، والقهر، على الدوام، عدو الحقيقة.

بعد هذه النبذة:

نعود إلى البحث، الذي من حقِّه، أن نصفه «بالشديد» بسبب عمقه،

وتشعبه. على أننا، لن نزعم، أننا سوف نوفيه حقه، ونحيط بأبعاده في هذه العجالة المعترضة. بل سوف نقتصر، ونختصر، بما يستطيع أن يكون تعريفاً وتعليلاً، لا دراسة وتحليلاً.

والآن...؟

ما دام أن سيدنا المسيح، ارتفع إلى السماء دون أن يضع ما عُرف بعده «بالفلسفة المسيحية» وما دام أن أول حوار أممي جماعي، حول فلسفة الوجود والموجد، كان في مجمع نيقيا المسكوني بعام ٣٢٥م.

فإن من حق أي باحث أن تمتد عيناه إلى ما قبل ذلك التاريخ، ليرى فيما إذا كانت أمهات الأفكار التي اعتمدها «قانون الإيمان النيقاوي» و«قانون القسطنطينية» بعام ٣٨٠م. قائمة في صلب الثقافات الأممية السائدة ومستمدة منها أم لا![1].

وهذا الاستقصاء، دفعتنا إليه، مقولة: «استبعاد أية علاقة بين المسيحية، وبين أفلوطين مع أستاذه أفلاطون، والخلاف بينهما شاسع جداً».

لأن:

أفلوطين، ورث أفكار أفلاطون وفلسفته مثلما فعل الكثيرون الذين، ظلوا قروناً مديدة ضيوفاً على مائدة مؤلف «الجمهورية» العظيم.

ـ فنظرية أفكار الله، هي أساس الفلسفة الإلهية عند أفلاطون، وبمقتضاها علّل الكون والتكوين. فالله هو روح العالم، يحرك ولا يتحرك، ينظم الأحياء والأشياء، بأفكار تظهر بقوَّةٍ وفعل قوانين أزلية.

ـ والعقل هو أرقى الأفكار، لأنه الخير وأداة الخلق، والشكل الذي

---

(١) سوف نورد في سياق البحث خلاصة لبنود القانونين.

تنجذب إليه جميع الأشياء.

ـ أما الحركة وعملية الخلق فهما من قوة «المبدأ الحيوي» أو «الروح الحية» التي تكوِّن قوتهما المبدعة.

ـ والمادة ليست حقيقة إلا بعد أن تعطيها الروح شكلاً وكياناً حسب فكرةٍ من الأفكار.

ـ والأرواح التي تسكن الأحياء وتحركها، هي جزءٌ من الروح الكلية الخالدة الموجودة قبل الأشكال والتي تنتقل إلى كائنات عضوية أُخرى، أرقى أو أحط من الكائنات التي كانتها قبل موتها.

ـ وفكرة انتقال الروح إلى كائن عضوي آخر أو أكثر، قادته إلى تتبع الروح فوجدها تسلك أحد سبيلين، ينتهي أحدهما إلى جزائر المباركين وينتهي الثاني إلى الجحيم.

لذلك:

قسم الوحدة القائمة بين الروح والجسد إلى قسمين، جسدي خبيث وروح قدسية[1].

ـ «وفيلو» الفيلسوف اليهودي المتصوف، افتتن بفلسفة أفلاطون فتمسك بها وتمثّلها واعتمدها اعتماداً كلياً[2].

فالله في فلسفته، هو الكائن الجوهري، الأزلي السرمدي، الذي يدرك وجوده بالعقل، ويستحيل وصفه، لأن كل وصفٍ له تحديد وتجسيد يَجِلُّ عنهما. وهو في كل مكان. أما المادة فلا حياة لها ولا حركة، ولا صورة حتى تنبعث فيها قوة الله.

---

(١) استمد أفلاطون نظرية تناسخ الأرواح من فيثاغورس والاورفية والكارما الهندية.

(٢) كان فيلو معاصراً للسيد المسيح.

ـ ولكي يخلق الله العالم، خلق المادة، واستخدم الكائنات الوسطى التي يسميها اليهود «ملائكة» ويسميها اليونانيون «شياطين» ويسميها أفلاطون «أفكار الله». وهي «كلمة الله» و«أول خلقه» و«ابنه من الحكمة العذراء».

ـ إن عقيدة فيلو «عقيدة العقل الإلهي» كان لها أثر كبير في التفكير الإنساني. ولقد أمضى أكثر أوقات عمره، جادّاً لاهثاً، من أجل التوفيق بين «الهلينية» و«اليهودية» فلم يوفق على مستوى التاريخ والجغرافيا، ولكن تأثيره الفكري كان واضحاً في الإنجيل الرابع، وخاصةً في الإصحاح الأول منه.

أما أفلوطين:

القبطي، تلميذ مدرسة الإسكندرية، وفيلسوفها «أمونيوس سكاس» الذي استوعب فلسفة أستاذه، ثم ارتحل إلى بلاد فارس، فتلقى حكمة البراهمة، ثم استقر في روما إلى أن مات في عام ٢٤٤م.

أفلوطين: أعاد إلى الفلسفة مجدها الروحي.

ـ فقد عاش عيش القديسين، محتقراً مظاهر المادة، نابذاً حاجات الجسد من طعام ولباس إلا «ما أبقى وما ستر»، بسيطاً في أخلاقه، متصوفاً في سلوكه. فانتشرت فلسفته وصارت طراز عصره.

ـ وفي ثوابته الفلسفية حذا حذو أستاذه أفلاطون.

فالمادة ـ في نظره ـ هي إمكانية الشكل، ولا تأخذ من الأشكال غير ما تعطيها النفس (طاقتها الداخلية[١]).

وما نمو الإنسان منذ بداية خلقه في الرحم وتكونه البطيء، عضواً

---

(١) عند أفلاطون «المبدأ الحيوي».

عضواً، حتى يتكامل، إلا صورة من عمل النفس أو «المبدأ الحيوي».

ـ ولكل شيء طاقة داخلية هي التي تخلق شكله الظاهر، وليست الطبيعة سوى مجموع الطاقة أو «النفس الكلية» التي تصدر عنها جميع الأشكال.

ـ والكائن البشري يتكون من ثالوث «الجسم» و«النفس» و«العقل» فالجسد الذي هو عضو النفس المادي، هو سجنها أيضاً، وهي لصلتها بالنفس الكلية أرقى من الجسد لأنها تحيا حياتين:

أولاهما ـ في الجسد.

والثانية ـ تبلغها حين وصولها إلى الحقيقة العليا التي سقطت منها.

ـ والنفوس تختلف بنسبة الاستعداد للسعي إلى الأصل القدسي. شأن الطفل الضائع الذي يبحث عن أبويه بلهفة وانكسار. وبمقدار ما تتخفف من أثقال الحواس، وتبتعد بالعقل عن جاذبية المادة، تحسُّ بأنها مستغرقة في محيط الكينونة.

ولكن؟!؟ ما هو الله؟

يقول أفلوطين، ما قاله أستاذه أفلاطون:

هو ثالوث «الوحدة» و«الفكر» و«النفس».

ولا نعرف عنه غير أنه موجود.

وكل صفةٍ موجبة نصفه بها، أو ضمير متحيِّف نُحلُّه محله، هو تحديد له، غير لائقٍ به.

وكل ما نستطيع قوله:

«هو أنه واحد وأول وخير».

ومن وحدة الثالوث نشأ العقل الكلي[1] وهو القانون المتحكم في الأشياء، يمثل الحقيقة الباقية بعد افتراق المادة.

و«الوحدة» و«العقل الناشىء عنها».

وإن كانا قد أمسكا بالكون، ومنعاه من الانحلال والتفكك. فهما لم يخلقا فيه الحياة بل خلقها العنصر الثالث، في الثالوث، وهو النفس الكلية[2].

هكذا:

نستطيع تلخيص فلسفة الاسكندرية المتمثلة في «أمونيوس سكاس» وتلميذيه «أوريجن وأفلوطين» التي عاصرت نشأة الحوار الفلسفي المسيحي، وكانت واحداً من أبرز الأطراف فيه. وذلك بالآتي:

أولاً: لقد صدر الكون عن منشىءٍ، أول، لا تبصره الأبصار، ولا تحده الأفكار، ولا تدرك كنهه العقول.

الثاني: إن جميع الأرواح شعب واحد، تتصل بالمنشىء الأول عن طريق العقل والعقل نشأ عن الأول، مثلما ينشأ الولد عن والده.

الثالث: هو الروح الذي تصدر عنه الحياة ويتصل به كل حي.

فإذا عبرنا عن المنشىء الأول بالآب، وعن العقل المتولد عنه بالابن، وعن الروح بروح القدس، نلتقي مع المسيحية لقاءً مباشراً دون اختلاف بغير الأسماء.

ولنا في الرسول بولس دليل متعدد، كما لنا في الإنجيل الرابع أدلة.

ففي رسالته إلى كورنثوس ٨/ ٤ ـ ٥ قال القديس بولس:

---

(١) الأفكار عند أفلاطون.

(٢) المبدأ الحيوي عند أفلاطون.

«يرجع تكوين العالم وتدبيره إلى ثالوث مقدس: «الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن منه. والابن الكلمة الذي به جميع الأشياء ونحن به. وروح القدس» (٨/ ٤ ـ ٥ ـ ٦).

إذن وبدلالة النصوص الكتابية والثوابت التاريخية يمكن القول:

ـ إن التثليث المسيحي لم يتخذ قوة القرار الملزم، ولم تستقر أقانيمه على عرش الألوهية الواحد إلا بعد مجمع القسطنطينية في عام ٣٨١م.

ـ جميع الخلافات التي استدعت ـ فيما بعد ـ انعقاد المجامع المسكونية كانت تتعلق بالحوار حول طبيعة السيد المسيح دون مساسٍ بالتثليث.

ـ ثمة اختلاف وحيد بين التثليث المسيحي والتثليث السابق له، عند الشعوب القديمة كافة، أن الأقانيم الثلاثة في المسيحية هي جوهر واحد، دون أي تفريق في الرتبة والسلطان. في حين أنها في غيرها، متفاوتة في الرتبة والسلطان[1].

ـ إن بولس ـ وإن حدد الطبيعة الإلهية لكل من الآب والابن ـ لم يضف شيئاً إلى الروح القدس، الذي كان عليه أن ينتظر حتى مجمع القسطنطينية في عام ٣٨١ ليتسنم موقعه الإلهي، أقنوماً ثالثاً، ممجداً ومسجوداً له.

---

(١) في فكرة التساوي يقول اللاهوت المسيحي:
«الإبن الذي يتولد من الآب لا يمكن أن يكون أدنى منه رتبةً وكمالاً وإلا صار من طبيعة الكامل أن يصدر عنه غير الكامل، وهذا حط من رتبته. كذلك الروح القدس مساوٍ للآب والإبن. (ص ـ ٩٤ ـ من مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية. تأليف المستشرق: ليون جوتيه ـ طبع باريس ـ سنة ١٩٢٣).

بعد هذا:

نرى من المفيد للبحث، تقديم نبذة مختصرة عن بنود ومواد كل من «قانون الإيمان النيقاوي بعام ٣٢٥م» و«قانون القسطنطينية بعام ٣٨١م» كان قانون الإيمان النيقاوي قد انعقد لحسم الخلاف حول «ألوهية المسيح» و«بنوته من الله» و«وحدة الجوهر في الآب والابن» لذلك لم يتعرض للروح القدس حينذاك. غير أنه لم يمض زمن طويل، حتى ظهرت بين المسيحيين أفكار لا تعترف بألوهية الروح القدس نشأت في الاسكندرية وانتشرت منها إلى سواها، ولا غرو، فالإسكندرية كانت مهد الأفلاطونية الحديثة التي تعتقد بالتثليث، وأن المسيطر على العالم قوى ثلاث هي:

«قوة المكوِّن الأول» و«العقل الذي هو الواسطة الأزلية الأولى الذي فَاض عن المكون الأول مثلما يفيض الابن عن الأب» و«النفس العامة أي الروح القدس».

وكان مقدونيوس في الإسكندرية، أول من جاهر بأن الروح القدس، مخلوقٌ مصنوع، فشاعت مقالته بين الناس مما حمل رجال الكنيسة ورجال البلاط إلى اللجوء للملك طالبين منه المعونة للقضاء على هذا الرأي الذي هو في المحصلة، التقاء وإحياء لوحدانية أريوس وهرطقته.

فأمر الملك بالدعوة إلى مجمع مسكوني في القسطنطينية بعام ٣٨١م الذي انتهى إلى قرار لعن بموجبه «مقدونيوس» وطرده، بعد أن أكد: على أن روح القدس، هو روح الله، وأن اعتباره مستقلاً في أي زمن يعني أن الله يكون حينذاك خالياً من الروح، وهذا محال:

وقد وصف ابن البطريق قرار المجمع بقوله:

«زادوا في الأمانة التي وضعها قانون الإيمان النيقاوي، الإيمان

بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن ممجَّدٌ ومسجودٌ له، وثبّتوا أن الآب والابن والروح القدس، ثلاثة أقانيم، وثلاثة وجوه، وثلاثة خواص. «وحدية في تثليث وتثليث في وحدية، كيان واحد من ثلاثة أقانيم، إله واحد وجوهر واحد».

هذا:

وقد رأينا أن نختتم هذا البحث «الثامن عشر ـ التأثر المسيحي بالآرامية واليونانية» بالنبذة التالية:

١ ـ إن المسيحية، كما بشر بولس، بها، وكما حددها قانون الإيمان النيقاوي، وقانون القسطنطينية، تبدو، وارثة للثقافة والفكر الآراميّين، اللذين هما بدورهما وارثان عمليان للتركة الفلسفية والثقافية التي سادت بلاد ما بين النهرين. هذه الحقيقة التاريخية:

حملت البعض إلى القول بأن المسيحية وُلدت ثلاث مرات في سورية.

الأولى: في الجليل.

الثانية: في دمشق.

الثالثة: في أنطاكية ومنها إلى روما والعالم.

وقبل أن تتحول المسيحية إلى «رسولية رومانية» مرَّ عليها من الزمن ما يكفي لتتشبَّع بالطابع السوري في مجالات العقيدة والفن والهندسة والتصوير.

وقد قام ذلك جميعه في سوريا، على الإرث الآرامي القريب والإرث الكنعاني القديم.

٢ ـ جاء في ما ترجمه «جرجس زوين ـ اللبناني».

«إن شيرينطوس وأبيسون وجماعتهما، لمَّا كانوا يعلِّمون العقيدة، على أن المسيح ليس إلا إنساناً، وأنه لم يكن قبل مريم، فلذلك في سنة ٩٦م اجتمع أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح، وينادي بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون، وأن يكتب بنوع خصوصي، لاهوت المسيح».

وفي مقدمة تفسيره «من تحفة الجبل» قال يوسف الدبس ـ الخوري:

«إن يوحنا صنف إنجيله في آخر حياته بطلب من أساقفة آسيا وغيرها. والسبب أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح، فطلبوا منه إثباته، وذكر ما أهمله متى ومرقس ولوقا، في أناجيلهم».

فيستفاد مما تقدم:

ـ أن سبب كتابة الإنجيل الرابع، هو للحديث عن ألوهية المسيح، لعدم وجودها فيما سبق من أناجيل.

ـ الأناجيل الثلاثة خلت منها نهائياً.

ـ الأساقفة الذين طالبوا يوحنا بوضع إنجيل، اعتنقوا ألوهية المسيح، قبل صدور الإنجيل الرابع. وقد صار وضعُه لدعم اعتناقهم، أي إن هذا الاعتقاد لم يكن مبنياً على نص سابق متفق عليه.

تاسع عشر ـ تمجيد يسوع:

قلتَ في الفقرة ـ ج ـ من البند التاسع:

«وفي اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً: إن عطش أحد فليقبل إلي ويشرب. من آمن بي ـ كما قال الكتاب ـ تجري في

بطنه أنهار ماءٍ حي » (إنجيل يوحنا ٧/ ٣٧ ـ ٣٨).

وقلتَ:

«لقد فسَّر يوحنّا ذلك بأن المقصود هو الروح القدس الذي لم يكن بعدُ قد أعطي» (يوحنا ٧/ ٣٩).

ولكن الآية (٣٩)، تبقى دون اكتمال، ما لم تدوَّن تتمتها وهي: «لأن يسوع لم يكن قد مجِّد بعد. . .».

أي أن الروح القدس، لم يكن قد أعطي آنذاك، لأن يسوع، لم يكن قد نال التمجيد:

ولكن الحيرة، تمسك بعقل قارىء النص، وغيره من النصوص، فلا يعود يعرف على أي أرض يقف:

أ ـ العيد الذي ورد ذكره في الآية ٣٧ ـ هو عيد «المظال ـ أو الخيام»[١] آنذاك، كان يسوع، قد اجتاز شوطاً كبيراً على درب رسالته. وكانت عجائبه وخوارقه تسير معه أنى سار.

لذلك كان مطلوباً للقتل من اليهود.

فلا يعقل أنه، حتى ذلك الحين، لم يكن ممجَّداً، وأن الروح القدس لم يكن يُرافقه، وأنه والروح القدس والآب جوهر واحد، لم ينفصل في زمان أو مكان من الأزل إلى الأبد، بل ما قبل الأزل وما بعد الأبد[٢].

ب ـ أما ما جاء في الآية (٦) من ذات الإصحاح:

«فقال لهم يسوع إن وقتي لم يحضر بعد»

---

(١) هو عيد الخيام أو المظال عند اليهود، ذكرى واحتفال، بخروجهم من تيه سيناء.

(٢) هذه عقيدة المؤمن المسيحي.

فهو لا يفيد، خلوه من التمجيد في أية لحظة، ولا يفيد ابتعاد روح القدس عنه.

بل:

يفيد: أن زمن إعلانه عن نفسه لم يحن بعد:

جـ ـ لقد كانت تصدر عنه معجزات، وعجائب، وخوارق: جعلت القريبين منه والمشاهدين، يعرفون أنه المسيح ابن الله الحي.

فقد صدرت عنه الخوارق، منذ أن كان جنيناً، وسجد له الجنين «يوحنا».

وفي طفولته، على طريق مصر، وأثناء إقامته، كانت المعجزات ترافقه لتنبىء عنه. ولقد تحدث إنجيل يوحنا عن معجزاتٍ كثيرة، صدرت عنه قبل عيد المظال، مثل: «معجزة حضوره عبر البحر، وسيره على الماء، وشفاء المزمنين من المرضى، وإحياء ابن خادم الملك وغيرها: (إنجيل يوحنا الإصحاحات ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦)».

فهل كان ذلك جميعه، ليصدر عنه، وهو عادي، غير ممجَّد، وغير مترافق مع الروح القدس؟

ذلك:

لا يمكن تصوره، ولا القول به، في المنطق المسيحي.

وإذن:

يجب أن نبحث عما تعنيه في الحقيقة آيات الإنجيل الرابع. (الإصحاحات ٤ ـ ٥ ـ ٦).

العشرون ـ سلطان الأسقف:

قلتَ في الفقرتين (٦ و ٧) من البند التاسع عشر ما يلي:

«الأسقف هو وكيل الله» (تيطس ١).

«أعطي للرسل سلطان حل الخطايا ومسكها» (يوحنا ٢٠/ ٢٢ ـ ٢٣).

«وأعطي إلى الكنيسة هذا السلطان أيضاً» (١٨/ ١٥ ـ ١٨ و ١٦/ ١٩ ـ متى).

نظراً لقوة هذه الصلاحيات، وبُعدِها العقائدي، عدت إلى النصوص المعتمدة لكي أتأكد من جلية الأمر. لأنها ـ كما قلتَ ـ تمنح للمذكورين، سلطاناً إلهياً لا حدود له. وتكرس إشرافهم تكريساً ربانيّاً على بني الإنسان، وبالتالي تجعل منهم جهات إلهية فوض إليها الحساب والعقاب.

وفيما كنت، أقرأ الإنجيل، بحثاً واستقصاءاً، وقد ملأتني الرهبة، وجدتُ فيها ما توقعت، وما توقعت، هو غير ما قرأته في مذكرتك.

وذلك كالآتي:

أ ـ «بولس عبد الله ورسول يسوع المسيح لأجل إيمان مختاري الله ومعرفة الحق الذي هو حسب التقوى (الآية ١ من الإصحاح ١ من الرسالة إلى تيطس) وهي ـ كما ترى ـ خالية مما يفيد بأن الأسقف، أيَّ أسقف، هو وكيل الله، فالوكالة، منصب خطير، إن كانت عن الله.

وهي دوماً تعني وضعين:

ـ أولهما عجز الموكل عن إتمام العمل أو انشغاله عنه بسواه.

ـ الثاني أهلية الوكيل لتنفيذ العمل كما يشاء الموكل.

وهذان الوضعان مرفوضان شكلاً وموضوعاً.

لأن الله، لا ينسب إليه عجز، ولا يشغله أمر عن أمر.

ولأن أياً من مخلوقاته، لا يستطيع أن يكون وكيلاً في تنفيذ أعماله عنه.

ثم:

وهذا مهم: إن هذا المنصب، لا يستدل عليه إلا بنص يسوعي ثابت.

ب ـ «فقال لهم يسوع أيضاً سلامٌ لكم، كما أرسلني الآب، أرسِلكم أنا، من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت» (يوحنا ٢٠/ ٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٣).

يتبين:

إن السيد المسيح، بدأ كلامه من الآية ٢٠/ ١٩ متوجهاً إلى التلاميذ ـ الرسل أي: إن التكليف والصلاحية، ألقيت، حصراً، على عاتق الحاضرين آنذاك من الرسل.

ـ «توما» لم يكن حاضراً ـ لذلك لم يشمله العهد (يوحنا ـ ٢٠/ ٢٤ ـ ٢٥).

ـ «لوقا» و«مرقس» ليسا من عداد الرسل. كذلك «بولس» و«برنابا» و«السبعون» الذين لم يكونوا حاضرين.

ـ إن شدة الاستقصاء التزام عقائدي، لشدة الصلاحيات المعددة لأنها تنقل «غفران الخطايا» و«محوها» من الله إلى من توجه إليهم خطاب المسيح، وهي أمور عظيمة، منحها المسيح، للمستحقين والمؤهلين من الله.

ـ إن صكوك الغفران، كانت تعتمد على تفسير خاطىء لهذه

النصوص لذلك كانت من أبرز أسباب الثورة على الكنيسة. حيث اتهمها، المصلحون بالطغيان في تفسير النصوص الإنجيلية والانحراف بها عن حقيقتها.

جـ ـ «وأنا أقول لك أيضاً أنت «بطرس» وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ـ متى ١٦/ ١٩».

«إن أخطأ أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما. إن سمع منك فقد ربحت أخاك. وإن لم يسمع فخذ معك أيضاً واحداً أو اثنين لكي تقوم كل كلمةٍ على فمِ شاهدين أو ثلاثة، وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة، وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار» (متى ١٨/ ١٥ ـ ١٦ ـ ١٧).

هذه النصوص:

ـ صريحة وحاسمة في منح بطرس بالتحديد والحصر، مفاتيح السماوات وبناء الكنيسة الأبدية، وسلطان الحل والربط.

ـ أما ما تبقى منها فلا يفيد أن هذا السلطان أو أي قسمٍ منه أُعطي إلى الكنيسة[١].

العشرون ـ المعزي ـ مشتهى الأمم:

كلمة «المعزي» وردت في مراثي «إرمياء ـ ١/ ٩» وفي إنجيل يوحنا «١٤/ ١٦ ـ ١٧ ٢٦ و ١٦/ ٧ ـ ٨ ـ ٤ ـ ١٣».

وفي كلٍّ من المصدرين، عبَّرت عن معنى مخصوص، ينسجم مع سياق القول.

---

(١) بالطبع، لا يقصد من الكنيسة اللجوء إلى بناء. بل اللجوء إلى الكهنة أو الكاهن القائم على خدمتها.

ـ ففـي إرميـاء وردت فـي معـرض الحـزن علـى المـدينـة التـي جلسـت تبكـي فـي الليـل ودمـوعهـا علـى خـديهـا، بعـد أن بسـط العـدو يـده علـى كـل مشتهيـاتهـا، وانحطـت انحطـاطـاً عجيبـاً وليـس لهـا معزٍّ[1].

فالكلمة هنا، تعبر تماماً عمَّا أريد منها.

ـ أما في يوحنا: فقد وردت على لسان يسوع وهو يعِد بقادمٍ بعده، سوف يرسله الله، ليرشد الناس إلى الحق، ويبكِّتهم على خطاياهم. متحدثاً ليس من نفسه بل بما يسمعه من الله.

وهي هنا:

تبشر بالأمل، والطمأنينة، والثقة، بعيدة كل البعد عن الحزن.

وكنت قد قلت في مذكرتي الأولى:

ـ إن اللفظ العربي «المعزي» لا يستطيع استغراق جميع المهمات التي سوف تُلقى على عاتق الموعود به، ولا تعبر عنها.

فالمعزي، من «العزاء» الذي يكون في معرض الأحزان، وقد وردت صحيحة التعبير في مراثي «إرمياء».

ولكن الموعود به قادم للإرشاد والحساب ووضع قواعد العدل، وليس للتعزية عن الأحزان.

ـ والمعزي، يطلق عبارات التعزية من نفسه، مما يستوحيه من ظروف العزاء. بحيث تتغير العبارات بتغير الظروف الزمانية والمكانية والإنسانية.

---

(١) هي مدينة أورشليم بعد تهديمها وتخريبها.

أما «الموعود به» فهو غير مفوض بالكلام من نفسه بل بما يسمعه من مرسله.

لذلك:

رأيت أن كلمة «المعزي» هي ترجمة خاطئة، لا تفي ولا تعبر عن المعاني الحقيقية التي قصدها سيدنا المسيح.

وينبغي العودة إلى أصلها الآرامي، لإعطائها لفظاً عربياً، يغطي المهمات التي أناطها بها المسيح.

ـ هنا:

مثلما تساءلت سابقاً، أتساءل:

ـ ما دام أن سيدنا المسيح هو الذي أعلن البشارة، بمجيء الموعود به بعد ارتفاعه إلى السماء، أي: أن الموعود به، هو شخص غير المسيح. فمن هو هذا الشخص؟ وهل جاء أم نحن بانتظار سواه؟ وهل سوف يسبق مجيء المسيح ليحقق ملكوت الألف عام؟ أم يلتقيان؟

وما هي مهمة كل منهما آنذاك؟

تساؤلات، تضغط على نفسي، فلا أجد لها جواباً إنجيلياً.

ثم جاءت أجوبتك، بعيدة عن الغاية، مقتصرة على التحقيق اللغوي لكلمة «periglitos» الذي لا يغني.

الواحد والعشرون ـ الأريوسيون:

جاء في الفقرة ١، من البند الثلاثين من مذكرتك، أن عدد الأساقفة الذين حضروا مجمع نيقية كان ٣١٨ أسقفاً منهم ٢٢ أسقفاً أريوسياً.

ونظراً:

ـ إلى أن مجمع نيقية هو أول مجمع مسكوني صدرت مفرداته بصيغة قانون ملزم مفروض بقوة السلطان.

ـ وإلى أنه تضمن أموراً عقائدية لم يكن متفقاً عليها[١] ولعله كان من أهمها الاستبعاد التكفيري الشديد لجميع من لا يؤمنون بأن جوهر الأب والابن واحد وأنهما متساويان في الأزلية والأبدية، ولعنهم، وطردهم، وتصفيتهم فكرياً وجسدياً[٢].

ـ ونظراً لما كان لهذا المجمع من أهمية قصوى، وما تركه في تاريخ المسيحية من آثار حاسمة:

وجدت أن السطر الوحيد الذي خصصته له، لا يعفي، من التوسع فيه بعض الشيء، لإعطاء فكرةٍ عنه تقربه من القارىء.

وذلك:

ـ من حيث عدد المجتمعين.

ـ ومن حيث الأسباب التي بني عليها الاجتماع.

ـ ومن حيث عدد مؤيدي قانون الإيمان النيقاوي، وعدد الرافضين.

ورأيت أن أترك الكلام لابن البطريق المؤرخ المسيحي الأرثوذكسي القبطي الذي قال:

١ ـ كان أريوس يقول: «إن الآب وحده الله، والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الآب إذ لم يكن الإبن، وفي الزمن الآتي، يكون الآب ولا يكون الإبن.

ويتابع:

---

(١) مر معنا بعض ما صدر عنه من مقررات.

(٢) هم الذين كانوا يتبعون أريوس ويقولون مقالتهم، وسواهم.

«لم يكن بدعاً من القول بهذه الفكرة بين المسيحيين، بل كانت معروفة مذكورة مشهودة من قَبْله، كما جاء في أقوال المسيحيين أنفسهم، حيث جاء في تاريخ الأمة القبطية ما نصه: الذنب ليس على أريوس بل على فئاتٍ أُخرى سبقته في إيجاد هذه البدع.

٢ ـ «تدخل قسطنطين» إمبراطور الرومان فأرسل كتاباً إلى أريوس وبطريرك الإسكندرية، يدعوهما إلى الوفاق ثم جمع بينهما فلم يتفقا فدعا إلى نيقية.

٣ ـ «بعث قسطنطين إلى جميع البلدان فجمع البطاركة والأساقفة فحضر في مدينة نيقية ثمانية وأربعون وألفان من الأساقفة (٢٠٤٨) وكانوا مختلفين في الآراء، فأمرهم قسطنطين أن يتناظروا لينظر الدين الصحيح مع من، ولكنه جَنَحَ أخيراً مع رأي الـ ٣١٨ ـ أسقفاً الذين اعتمدوا على رأي بولس الرسول».

٤ ـ «وضع الملك لهؤلاء الأساقفة الـ ٣١٨ مجلساً عظيماً» وجلس بينهم وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه، فدفعه إليهم، وقال: قد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين، فباركوه وقلدوه سيفه وقالوا له: أَظْهِر دين النصرانية وذبَّ عنه، ووضعوا له أربعين كتاباً في السنن والشرائع».

٤ ـ إن عدد معارضي القانون هو:

٢٠٤٨ − ٣١٨ = ١٧٣٠ ألف وسبعماية وثلاثون.

وعدد القائلين بدعوة أريوس: هو أكثر من سبعماية أسقفاً. وفيه يقول ابن البطريق:

«كان هذا العدد أكبر عدد نالته نحلة من النحل المختلفة».

الثاني والعشرون ـ إنجيل برنابا:

كنتُ في البند ٣٦ تساءلتُ عن برنابا:

«الذي ذكرته أعمال الرسل سبع عشرة مرة» و«الذي تبنى بولس وقدمه إلى التلاميذ» و«الذي كان أول من اختير بالاسم من الروح القدس» و«الذي صار ترشيحُهُ مكان يهوذا» و«الذي يشير إليه كليمنت الإسكندري ـ دوماً ـ كرسول».

ما هي قصة إنجيله؟ متى تم تحريمه؟ ما هي أقدم وثيقة بتحريمه؟ على اعتمدت وثيقة التحريم على مؤيدات ثابتة؟

ولكن الأجوبة الواردة في مذكرتك، اقتصرت على عبارتين، خلتا من الجواب على أي سؤال من الأسئلة: حيث اكتفيت بالقول:

١ ـ الإنجيل مكتوب بالطليانية ولا أساس له في اليونانية واللاتينية والسريانية.

٢ ـ متى ثبت أصله اليوناني، كان لكل حادث حديث[1].

٣ـ إنه ينطوي على أخطاء لا تحصى في التاريخ والجغرافيا.

لذلك:

وبما أننا الآن، لسنا في صدد دراسة ونقد إنجيله.

وبما أن التساؤلات، ترمي إلى تحديد وقائع تاريخية.

سوف، أتولى عنك الجواب على بعضها، بما توفر لدي من

---

(١) دوماً: اليوناني، مع أن المسيح والرسل، لم يكونوا من اليونان. ومع أن المسيح والرسل في العهود الأولى لم يتكلموا ولم يكتبوا باليونانية: فلماذا ينبغي أن يعتبر اليوناني هو الأصل؟

المعلومات المتواضعة:

أ ـ إن أقدم نسخة عثروا عليها، من هذا الإنجيل، حتى الآن، هي التي ظهرت في سنة ١٧٠٩م عند «كريمر» أحد مستشاري ملك بروسيا. ثم انتقلت إلى البلاط الملكي في ڤيينا بعام ١٧٣٨م.

ب ـ رجَّح المحققون أن النسخة الاسبانية مأخوذة عن الإيطالية، وأن الإيطالية عثر عليها الراهب «فرامرينو» في مكتبة البابا «سكتس الخامس».

وتقول مقدمة الترجمة:

«إن فرامرينو كان قد عثر على رسائل «لإيريانوس» وفيها تنديدٌ بما كتبه بولس الرسول استناداً إلى إنجيل برنابا. فدفعه حب الاستطلاع إلى البحث عن هذا الإنجيل وقد وصل إلى مبتغاه بعثوره عليه في مكتبة البابا ـ (ص ـ ٦١ ـ من كتاب الإمام، «أبو زهرة»).

جـ ـ قبل عام ١٤٠م، يقول موريس بوكاي:

لم يكن هناك ما يشهد بوجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية المتفق عليها. وكان ينبغي الانتظار حتى ١٧٠م لكي تكتسب الأناجيل صفة الأدب الكنسي المعترف به. ولقد أوصت الكنيسة في عصورها الأولى تلك بإخفاء بعض الكتابات والأناجيل (أبوكريفس ـ أو المخفية الممنوعة).

وتقول الترجمة المسكونية:

لقد بقي من النصوص مؤلفات جرى الاحتفاظ بها، ومنها «رسالة برنابا» ولكن هناك نصوصاً أُخرى استُبعدت بشكل عنيف، وأخفيت عن أنظار المؤمنين مثل «أناجيل الناصريين» و«أناجيل العبرانيين» و«أناجيل المصريين» و«إنجيل توما» و«إنجيل برنابا».

(ص ٩٨ و٩٩ من كتاب دراسة الكتب المقدسة لبوكاي).

د ـ وجاء في دائرة المعارف البريطانية ط١٣ ـ ج٢/ ١٨٠:

«إن البابا جلاسيوس الأول ٤٩٢ ـ ٤٩٦م أصدر حكماً قاطعاً بتحريم الأناجيل التالية في الأقطار المسيحية وهي: «إنجيل برنابا» و«إنجيل تدَّاوس» و«إنجيل هيمس» و«إنجيل برتولوماس» و«إنجيل أندريو».

وهذا يعني:

أن تلك الأناجيل كانت منتشرة بين الناس قبل ذلك التاريخ دون أن تكون محكومة بتحريم.

الثالث والعشرون ـ التوراة

قلتَ في الفقرة ب ـ من البند الثاني عشر من مذكرتك:

«بعد ظهور المسيح، لا نعترف على اليهود، وكتابهم المقدس عاد كتابنا فعلاً، وكتابهم اسماً».

ولكن:

ماذا يعني هذا القول؟

إلى أين ينتهي بقائله؟ ما هي حدود الإيمان بالتوراة؟

هل هو مطلق يقدس ويعظم بالتساوي جميع ما فيها بدءاً من بدء التكوين وانتهاءً بنهاية «ملاخي»؟

هل يشمل الإيمان، ما أنزله الله على نبيّه موسى؟ وما وضعه البشر من بعده؟

هل تتمتع أسفار عزرا ونحميا واستير ونشيد الإنشاد وعاموس

وعوبديا وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجي وزكريا وملاخي، بذات مستوى القداسة التي تتمتع بها الأسفار الخمسة الأولى التي أملاها الله على موسى؟ إن إطلاق الإيمان دون قيد على جميع ما احتواه كتاب التوراة ينطوي على مجازفة مع الله.

ولكن:

الذين يحترمون عقولهم، من المؤرخين، ذوي البحث الجاد الدؤوب، تتبعوا مسيرة التوراة في التاريخ، ووقفوا لا يحيرون جواباً شافياً للسؤال المتحدي: من هو مؤلف العهد القديم؟

إنهم:

لم يكونوا أغبياء عن الجواب الذي حفظه البسطاء الطيبون عن ظهر قلب، دون التعمق في مضمونه: وهو إن العهد القديم كتبته أيدٍ بشرية عديدة ألهمها الروح القدس».

ولكنه لم يمنحهم القناعة ولا اطمئنان الإيمان.

فهم، المتتبعون، الذين يعرفون جيداً، أن قارىء التوراة لا يملك دليلاً يفرق فيه بين التنزيل الإلهي والوضع البشري.

وأن إيمان المؤمنين، يقوم على مسؤولية المجامع المسكونية التي بدأت بتطمين الناس بإلهية النصوص كافة، منذ مجمع فلورنسا بعام ١٤٤٩ وانتهاءً بمجمع الڤاتيكان بعام ١٨٧٠م.

ومع هذا التطمين:

فإن التوراة، التي تحدثت عن كينونة الكون، وبدء الإنسان، منذ تكوينه وسقوطه، ورحلته الشاقة على الأرض، حتى استقرت السلالة المميزة في أرض كنعان.

نقول: هذا الكتاب ينسب إلى الله تصرفات تنفي عنه صفة الحق وتبرزه، متعطشاً لسفك الدماء، عدوّاً لدوداً لخلقه جميعاً غير بني إسرائيل، متردداً، بطاشاً خالياً من الرحمة.

والكتاب، لم يكتب في عهد موسى، ولا في عهود الأجيال القريبة منه بل كان عليه، أن يتعثر في القرون، حتى يكتسب وضعه النهائي في القرن الأول بعد الميلاد[1].

كما كان عليه، أن يبقى، محدود الانتشار حتى القرن السادس عشر، حيث أسبغت عليه صفة التقديس الشامل لجميع نصوصه، واعتبر الكتاب الأصل الذي جاء العهد الجديد تماماً له، وإكمالاً.

نعم:

قال بولس في رسالته إلى أهل رومية: «لأن موسى يكتب في البر الذي يصدر من الناموس» ١٠/ ٥ اعتماداً على ١٧/ ١٤ من الخروج و٣٣/ ٢ من العدد و٣١/ ٩ من التثنية التي نسبت كتابة التوراة إلى موسى.

---

(١) تعود رسائل صفنيا وناحوم وحبقوق إلى ما قبل النفي بمدة قريبة.
ـ وكتب حجاي وزكريا وأشعياء الثالث وملاخي ودانيال ـ إلى ما بعد العودة من نفي بابل.
ـ وسفر الجامعة، ونشيد الإنشاد وأخبار الأيام وكتب عزرا ونحميا إلى القرن الثالث قبل الميلاد.
ـ وكتاب بن سيراخ في القرن الثاني قبل الميلاد.
ـ وسفر الحكمة لسليمان والمكابيين في القرن الأول قبل الميلاد.
وفي مقال «التوراة» بدائرة معارف أونيفر ساليس للكاتب ج. ب ـ ساندروز الأستاذ بكليات الدومنيكان بسولشوار: تأكيد على أن هذا التحديد الزمني المتباعد بين أسفار العهد القديم، يعتمد على ما حققه متخصصون، على درجة عالية من الكفاءة.

ولكن:

ما كتبه موسى ـ أو ما يمكن أن يكون قد كتبه موسى ـ هو الأسفار الخمسة، التي تلقاها وهو حي، وبذلك يخرج من هذه الدائرة، جميع ما كتب في التوراة بعد تلك الأسفار، كما ينصرف كلام بولس، إلى هذه الأسفار فقط[1].

إذ:

لا يعقل أن يكون قد كتب شيئاً بعد موته.

حتى: الأسفار الخمسة، ليست خالية من الشكوك وإليك المثال:

لقد تحدث الإصحاح الرابع والثلاثون من سفر التثنية عن موت موسى، ودفنه وبكاء الشعب عليه مدة ثلاثين يوماً[2].

وسفر التثنية، من الأسفار الخمسة التي يؤكدون كتابة موسى لها.

فهل يعقل أن يكون موسى كتب كيف مات وكيف دفن وكيف ناح عليه الشعب ثلاثين يوماً بعد موته؟

لذلك:

قلتُ في بداية هذه الفقرة:

إن الإيمان بالتوراة يجب أن يكون تحت قيد التحفظات التاريخية أو المنطقية.

طرطوس في أوائل آذار
من عام ١٩٩٦
أحمد عمران الزاوي

---

(١) جاء في الاصحاح ٣٤ ـ من سفر التثنية، وصف لموت موسى ودفنه في أرض موءآب مقابل بيت فغور. ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم. (٣٤/ ٥ ـ ٦).

(٢) فكملت أيام بكاء مناحة موسى ـ ٣٤/ ٨.



الخاتمـــة

هذه الخاتمة:

هي مني، بطاقة اعتذار، أوجهها:

ـ إلى من يجد في أفكار الكتاب ما يصدم مسلماته الأدبية.

وإلى من يجد فيها، أخطاءً في التحليل، أو قصوراً في القياس والاستنتاج.

فللأول أقول:

ما حيلتي؟! ووقائع التاريخ مبثوثة في كل مكتبة، تعرض نفسها على من يشاء في أي وقت يشاء.

فما كان في مقدوري أن أمر بها عابراً.

لأن الحياد في العلم مذموم. ولأن «الحديد بالحديد يحدَّد» دوماً.

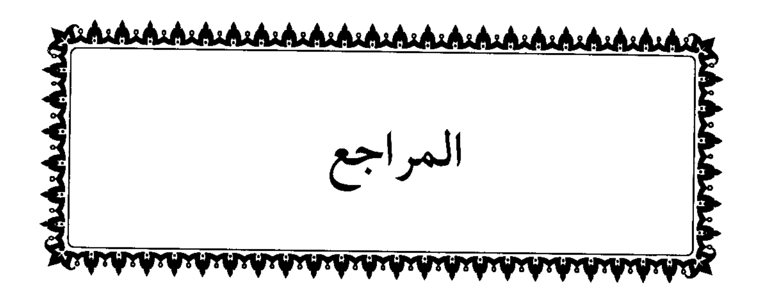
وبعد:

فما يقلقني ما دمت قد التزمت طريق الحق، وألزمت نفسي منذ أن بلغت سن التلقي بمقولة ذلك الحكيم: «وجه إلى الأدب قلبك وأذنيك الى المعرفة، وابتعد عن نفسك لتحفظها، فقلب الحكيم يرشد فمه، ويزيد شفتيه علماً.

وللثاني أقول:

معلومات الكتاب، تتقدم إليك، وتضع نفسها ـ بتواضع ـ بين يديك فإن تلاقت مع قناعاتك العلمية والأدبية، فتلك غايتي، وإن قصَّرت فذلك جهدي، وهو جهد المقل، الذي يتطلع إلى أرباب الفكر تطلع القريب إلى البعيد والمتعثر إلى مستقيم القامة. منتظراً تسديد خطاه وتصحيح أخطائه. فنهر المعرفة مستمر بلا انقطاع، وهو يستقبل الروافد من كل صوب.

المحامي احمد عمران



المراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الانجيل الطاهر ـ والاعمال والرسائل والرؤيا.

٣ ـ التوراة ـ الاسفار.

٤ ـ قصة الحضارة: وول ديورانت.

٥ ـ تفسير العهد الجديد: جمعيات الكتاب المقدس في المشرق.

٦ ـ معجم اللاهوت الكتابي: جمعيات الكتاب المقدس في المشرق.

٧ ـ الاغاني ـ للأصفهاني.

٨ ـ تاريخ اليعقوبي.

٩ ـ الطبقات لابن سعد.

١٠ ـ السيرة المكية.

١١ ـ سيرة ابن هشام.

١٢ ـ تاريخ الكنيسة المسيحية ـ مترجم عن الروسية ٩٦٤.

١٣ ـ الحقيقة الصعبة في الميزان ـ للمؤلف.

١٤ ـ السيرة الحلبية.

١٥ ـ مؤلفات مدرسة الكتاب المقدس ـ في القدس «الأب نوا والأب بوامار».

١٦ ـ التاريخ لابن البطريق.

١٧ ـ تفسير الانجيل ـ هورن.
١٨ ـ المقارنات بين الكتب السماوية لـ «تولستوي».
١٩ ـ دراسة الكتب المقدسة: لـ «موريس بوكاي».
٢٠ ـ العهد الجديد ـ كولمان.
٢١ ـ قاموس الكتاب المقدس لـ: الدكتور بوست.
٢٢ ـ محاضرات في النصرانية ـ للامام أبي زهرة.
٢٣ ـ محمد في الكتاب المقدس: لـ: عبد الأحد داوود.
٢٤ ـ معجم اللاهوت الكاثوليكي: ترجمة: عبده خليفة منشورات دار المشرق ـ بيروت ٩٨٦.
٢٥ ـ الملاك المسيح ـ لـ: بنسون.
٢٦ ـ خرافات التوراة وما يماثلها في الديانات لـ: دوان.
٢٧ ـ شرح بشارة لوقا: لـ: القس ابراهيم سعيد.
٢٨ ـ مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين.
٢٩ ـ إنجيل برنابا ـ ترجمة الدكتور خليل سعادة.
٣٠ ـ موجز تاريخ الأمة القبطية.
٣١ ـ محاضرة المطران خضر «المسيحيون العرب».
٣٢ ـ الكتابات المسيحية اليهودية ـ الكاردينال دانيللو.
٣٣ ـ المجلد الأول من رحلة هوك.
٣٤ ـ الآثار المسيحية ـ جورج كوكس.
٣٥ ـ الديانات القديمة ـ كوينيو.
٣٦ ـ تاريخ آداب اللغة السنسكريتية لـ: «ماكس مولر».
٣٧ ـ تاريخ بوذا ـ العلامة بيل.
٣٨ ـ ديانة الهنود ـ وليمس.
٣٩ ـ المكزون ومعرفة الله ـ الدكتور اسعد علي.

٤٠ ـ التفصيل والتحليل ـ لامبرلي.
٤١ ـ التعليقات على الترجمة المسكونية للعهد الجديد لـ:
أ ـ تريكو A.Trico .
٤٢ ـ اللغات السامية المحكية في سوريا ولبنان فيليب حتي.
٤٣ ـ الآراميون ـ لـ: دوبون سومر.
٤٤ ـ الاصول الكنعانية للمسيحية: لـ: فايز مقدسي.
٤٥ ـ كتاب الهند ـ لألن ـ صن.
٤٦ ـ اعتقاد المصريين لـ: بونويك.
٤٧ ـ تسريح الابصار فيما يحتوي لبنان من آثار لـ: هنري لامنس اليسوعي.
٤٨ ـ تحفة الجبل ـ الخوري يوسف الدبس.

الفهرس



للمؤلـف

١ ـ الحقيقة الصعبة في الميزان ـ رد على «قس ونبي» لأبي موسى الحريري الطبعة الأولى ـ في دار النخبة ـ بيروت. الطبعة الثانية في مؤسسة الاعلمي ـ بيروت.

٢ ـ القراءة المعاصرة للقرآن في الميزان: وفيه رد وتصحيح لمقالات الدكتور محمد شحرور في القرآن.

٣ ـ القرآن والمسيحية في الميزان: وهو رد وتصحيح لاقوال الاستاذ الحداد في كتبه وخاصة «القرآن دعوة نصرانية».

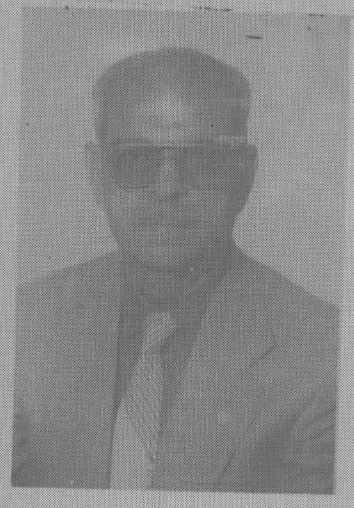
٤ ـ قراءة في التشيع وكتب أخرى للسيد الغريفي.

٥ ـ العدل الالهي والتناسخ.

٦ ـ هذا الكتاب والكتب ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ مطبوعة وموزعة في المكتبات أما الكتابان ٥ ـ ٦ فهما قيد الطباعة.

سوف يصدر له قريباً كتاب عن: «العنصرية في اليهودية والصهيونية».

المؤلف في سطور



- أحمد عمران «الزاوي» ولد في عام ١٩٣٠ في إحدى القرى التابعة لصافيتا من الجمهورية العربية السورية. و«الزاوي» نسبة «الى الجد القديم الشيخ عمران» الذي بنى من ماله الخاص «زاوية» للصلاة والعبادة في قريته واستمر في الانفاق عليها، وأورث أولاده وذريته من بعده هذا الواجب.
- تلق الأبجدية الأولى في القرية على يد «شيخ كتاب» والتزم من والديه - توجيهاً - بالقرآن الكريم، وبنهج البلاغة.
كما درس قواعد اللغة - على يد أحد شيوخ النحو، الذي كان يعتمد على كتب رشيد الشرتوني.
- التحق بالجمعية الغرَّاء في دمشق بعام ١٩٤٥، مع عدد من أبناء الأسر الدينية.
- درس على نفسه مناهج الاعدادية والثانوية فنال الأولى في عام ١٩٤٧ ونال الثانية في عام ١٩٥٠، ثم شهادة الحقوق من الجامعة السورية في صيف ١٩٥٤. وفي ١/١/١٩٥٥ سجّل محامياً في نقابة المحامين باللاذقية وكان طول المدة ما بين ١٩٤٧ وحتى تفرغه للمحاماة يدرس مادة اللغة والادب العربي في المدارس الخاصة للصفوف الثانوية، فيما كان يتابع دراسته على نفسه.
- في شباط من عام ١٩٦٨ انتخب أمين سر النقابة في اللاذقية وحينما توحدت النقابات انتخب نقيباً فرعياً لفرع النقابة المركزية لدورتين.
كما انتخب إلى عضوية المكتب الدائم لاتحاد المحامين العرب. لدورتين.
- وحينما احتفل الاتحاد على مدرج الجامعة السورية في دمشق بمناسبة مرور خمسين عاماً على قيامه. كان المؤلف أحد «المكرّمين» الذين قدم إليهم درع الاتحاد مع شهادة التقدير.
- بسبب انصرافه الكلي الى مهنة المحاماة، اقتصر نشاطه الأدبي على المناسبات الى أن اضطرته ظروفه الصحية الى التخفيف من نشاطه المهني والعكوف على التأليف.